الإعجاز القرآني

في أسلوب العدول

عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي

الأستاذ الدكتور

حسن منديل حسن العكيلي

كلية التربية للبنات

جامعة بغداد

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: الإعجاز القرآني
في أسلوب العدول
عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي

التصنيف : دراسات نحوية
المؤلف : د. حسن منديل حسن عكيلي
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 224
سنة الطباعة : 2009
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى

Title: Al-ʾiʿjāz al - Qurʾāni
fi uslūb al-ʿudūl
ʿan al-niẓām al-tarkībi
al - naḥwi wal - balāğī
classification: Syntactical studies
Author : Dr. Ḥasan Mandīl Ḥasan al-ʿUkayli
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages : 224
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه(ثانية)
على النفقة الخاصة، من جامعة بغداد/
كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية.
وكانت بعنوان«العدول عن النظام التركيبي
في أسلوب القرآن الكريم - دراسة نحوية أسلوبية »
وقد نوقشت يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٩/٢/١٩ ،
في قاعة المصطفى في الكلية

جميع الحقوق محفوظة
2009

ISBN 2-7451-6115-6
ISBN 978-2-7451-6115-4

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(النحل: ١٠٣)

الإهـداء

إلى أساتذة قسم اللغة العربية / كلية التربية للبنات

أهدي

نتاج التفاعل العلمي بيننا

شكر وعرفان

أجد من الواجب أن أشكر وزارة التعليم العالي، ورئاسة جامعة بغداد لمنحهما إياي الإجازة الدراسية والتفرغ العلمي لكتابة هذه الأطروحة.

وأشكر الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد الذي أشرف على الأطروحة.

وأشكر أهل الفضل جميعاً.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي شرفني بدراسة لغة القرآن وجعل منها موضوعاً لأطروحتي ووفقني لهذا وهداني إليه، وأنعم عليّ بتدبر كلامه العظيم.

والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد، القائل، (**أعوذ بالله من علم لا ينفع**). اللهم انفعنا بعلمنا واجعله نافعاً، ولا تجعلنا نتشاغل بعلم لا ينفع، أو لا يرضيك.

وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً وبعدُ

طالما أوقفتني بعض التراكيب في أسلوب القرآن، التي تبدو متقاطعة مع قواعد النحو ومقاييسه، ولاسيما في شهر رمضان الكريم الذي يفتح الله فيه أبواب الرحمة والهداية، متدبراً في جوّ إيماني، فهداني الله إلى أنها عدولات عن النظام النحوي العقلي الذي وضعه البشر، وليست عدولات عن نظام (لغة القرآن) تنضوي على دلالات إعجازية وأسرار بيانية ولمحات فنية جمالية.

فعزمت على دراستها في ضوء هذا النظام اللغوي الاستعمالي المعجز، بعد تتبعه في عناصر اللغة ومكوناتها ولاسيما في المجالين النحوي (التركيبي) والبلاغي (الأسلوبي) موضوعي الدراسة. معتمداً النصّ القرآني وحده في جمع الشواهد في ضوء معرفتي النحوية التقليدية، لا العدول في مفهومه الواسع لدى البلاغيين ولاسيما الأسلوبيون المعاصرون الذين عدّوا منه ما لا يتقاطع مع القواعد النحوية كما في علمي المعاني والبيان، وما نطلق عليه بالانزياح الدلالي من تصوير واستعارات ومجازات دلالية وغيرها.

ملتزماً منهجاً يؤسس على التحقيق من الأسس التي بنى عليها النحاة والبلاغيون قواعدهما في دراسة العدول محدداً النصّ القرآني ميداناً لدراسة العدول من غير خلطه بالمستويات اللغوية المختلفة كالقراءات القرآنية المشهورة منها والشاذة، واللهجات العربية، والضرورات الشعرية، والملاحن، والغريب، والشاذ

وغيرها مما نجده مختلطاً في الموروثين النحوي والبلاغي في ضوء مناهج عقلية دخيلة على أنظمة اللغة العربية تتقاطع مع الدلالة القرآنية أحيانا. وأدى إلى نتائج تربك الباحثين وتنأى بهم عن الجادة العلمية الرصينة وتفقدهم الجهد والوقت ما لا يتناسب مع قيمة النتائج التي يصلون إليها، ذلك إن بعضهم بنى دراسته على الموروث من غير تحقيق، أو قلد الحديث الغربي من غير ملاحظة خصوصية النصّ القرآني، فدرسه في ضوء مناهج لغوية مستقاة من لغات وآداب وثقافات ومعتقدات تنأى كثيراً عن النصّ القرآني ونظامه اللغوي المتماسك، وأكره لغة القرآن على قبول مناهج حديثة دخيلة وقديمة تلجا إلى التأويل والتقدير في الغالب.

لذا اتبعت منهجاً يُبنى على التتبع والشمول والتقصي والتحقيق والاستفادة من المناهج القديمة والحديثة بحسب طبيعة الموضوع لا التقليد والمتابعة، مركزاً على فكرة الموضوع الرئيسة، متجنباً المقدمات المكررة والإطالة والإسهاب ما أمكنني ذلك محاولاً الاجتهاد في مواضع عديدة مستفيداً من التراكم المعرفي الذي يشهده عصرنا وتيسير الترجمة والاتصال بالمواقع العلمية مما كان معدوماً لدى علماء العربية القدامى. فقد سئل يونس بن حبيب عن علم ابن أبي إسحاق الحضرمي قال: "لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذٍ لضحك به"[1].

إنّ الدراسات القرآنية الأولى كانت تفسّر العدول في النص القرآني على أنه من أساليب العرب ومجازاتها وسننها وطرائقها في كلامها الذي نزل القرآن بها ذلك أنهم فهموا من التحدي الذي وجهه القرآن الكريم للعرب أن لغة القرآن هي لغة العرب نفسها من غير اختلاف وهو استدلال منطقي، فكانوا يقارنون بينه وبين الشعر القديم الذي لم يسلم من الوضع إلاّ نادراً.

أما المنهج النحوي فيهتم بالشكل والاطراد العقلي المنطقي ونظرية العمل ويلجأ إلى التأويل والتقدير والتعليل العقلي في الغالب، ويعالج ما يعدل عن الأصول النحوية التي قررها النحاة من صور الجملة الإسمية والفعلية وملحقاتها ورتبة كل مكّون من مكوناتها، ليعيد العبارة إلى أصولها، لكنه لا يعمد إلى التفاصيل الفنية للمعنى كما لدى البلاغيين في منهجهم الفني الذي يعنى بتفاصيل الدلالة إلاّ

(١) طبقات فحول الشعراء ١/١٥.

أنه اعتمد على المنهج النحوي في تقدير الأصول اللغوية المفترضة من أصل القاعدة وأصل الوضع وأصل المعنى.

وقد آثرت مصطلح (العدول) بدلاً من اصطلاحات ا لمعاصرين كالانزياح والانحراف والانتهاك وغيرها مما لا يعبّر عن حقيقة أسلوب العدول في العربية وواقعه وأسبابه، ولاستعماله في الموروثين النحوي والبلاغي فضلاً عن عدم ملائمة إطلاق هذه الاصطلاحات على قدسية أساليب النصّ القرآني.

إنّ لغة القرآن مبنية على نظام خاص بها، نظام استعمالي واحد منتشر في كل مستوياتها: الصرفي والنحوي والبلاغي وغيرها، يزيدها ترابطاً وتماسكاً بين مكوناتها اللفظية وبين دلالاتها من جهات مختلفة، من خلال انسياقها في ضوء نظام واحد متجانس متعلق بعضه برقاب بعض، وأقصد بالواحد إنّ النظام الصرفي يشبه النظام النحوي وكلاهما يشبهان النظام البلاغي وهكذا كل أنظمة مكونات لغة القرآن يحكمها (نظام المشابهة) ويربطها النظام نفسه ويشد بعضها إلى بعض، وهذا سبب روعة أسلوب القرآن وجماله وتماسكه وعذوبة نغماته وترابط دلالاته مما بهر السامعين ولا سيما المتذوقين.

وقد تناولت النظامين: النحوي والبلاغي- وهما موضوعا الأطروحة – في الفصلين الأول والثاني تنظيراً. وتناولتهما في الفصلين: الثالث والرابع تناولاً تطبيقياً.

في الفصل الأول تناولت حمل الوظائف النحوية بعضها على بعض ومشابهتها بعضها لبعض في الدلالة النحوية والعمل النحوي والإعراب والاقيسة وغيرها.

وفي الفصل الثاني تناولت النظام البلاغي وبينت أن التوسع في التركيب يحدث في ضوء النظام نفسه ليعبّر عن دلالات بلاغية وإشارات إعجازية وأسرار بيانية أو ما أطلقوا عليه بالمعاني الثانية واللمحات الأسلوبية.

وفي الفصل الثالث تناولت شواهد (العدول النظامي)، وأطلقت عليه هذا الاصطلاح كونه يحدث في ضوء نظام العربية (نظام المشابهة): كالحمول بأنواعها: الحمل على المعنى والحمل على الموضع والعطف على المعنى وعلى التوهم، والتناوب والتضمين والمطابقة والنقل والمجاز.

وفي الفصل الرابع تناولت (العدول الصناعي) وأقصد به العدول بحسب الصنعة النحوية ومنهج النحاة العقلي التعليمي: كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة وكل ما ينضوي تحت خيمة التقدير النحوي لدى النحاة.

أما الفصل الخامس فحاولت دراسة العدول التركيبي في ضوء الطرح الأسلوبي المعاصر، بعد التعريف بالأسلوب والأسلوبية ونقدهما، وما سمّوه بالأسلوبية العربية الإسلامية، وتعرضت لجذورهما في الموروث البلاغي المنجز، وصلتهما بالألسنية المعاصرة والنقد الأدبي الحديث.

متناولاً بعض شواهد العدول الإعرابي بالتطبيق الأسلوبي في ضوء نظام اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) مستفيداً من التطبيق الأسلوبي المعاصر ولكني لم أحاكه تمام المحاكاة كما في القراءات الأسلوبية المنجزة ذلك أني لست ملزما به بقدر إلزامي بمنهج الأطروحة لإثبات أن العدول عن النظام النحوي في القرآن الكريم ليس عدولا عن النظام الاستعمالي للغة القرآن.

أما في التمهيد فقد تناولت تحديد موضوع الدراسة وطبيعتها وخصوصية النّص القرآني، وصلة القرآن بالقراءات القرآنية. وأوجزت النتائج التي توصلت إليها في الخاتمة.

لقد تعرّضت في أثناء كتابة الأطروحة إلى ما تعرّض إليه كثير من العراقيين من إقامة جبرية أولا – لفقدان الأمن – ثم التهجير ألقسري داخل الوطن وخارجه لا احمل سوى جذاذاتي، مما أثّر سلباً في قائمة المصادر والمراجع بذلت جهداً كبيراً لإصلاحها كالاعتماد على أكثر من طبعة للمصدر الواحد، والاختلاف في بعض الإحالات بسبب فقدان مكتبتي الشخصية العزيزة بعد مرحلة جمع المادة، وقد اعتمدت على مصادر بعضها لم أجده في المكتبات العامة للتثبت والتوثيق والمعلومات حول المصدر.

والحمد لله رب العالمين الذي يسّر لي مواصلة البحث من غير انقطاع في مدّة استثنائية قبل المدة المقررة.

التمهيد

خصوصية أسلوب القرآن الكريم

إن بواعث البحوث العلمية، والحاجة إليها، والأسس التي تبنى عليها والمناهج التي تنتهجها ومنطلقاتها الفكرية، هي مؤثرات في خطوط البحث العلمي ونتائجه.

وان دراسة النص القرآني دراسة نحوية دلالية أسلوبية لذاتها تنأى عن الدراسة التي تأتي عرضاً في أثناء المنافحة عن القرآن وإثبات إعجازه الذي هو دليل على صدق نبوة نبينا محمد، والوقوف أمام التيارات العدائية للدين الإسلامي والشبهات التي أثيرت حول النص القرآني والطعن الموجه لأسلوبه ونظمه ومعانيه. وإثبات أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبها ومجازاتها كما لدى الأشاعرة والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم. يتضح ذلك من مصادر البلاغة الأولى كمجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٠هـ) ورسائل الجاحظ وكتبه [١]، وابن قتيبة (٢٧٦هـ) في (تأويل مشكل القرآن) وكتب إعجاز القرآن ناهيك عن خلطهم النص القرآني بالقراءات القرآنية ولاسيما الشاذة منها والمستويات اللغوية الأخرى.

إن مدار البحث البلاغي والأسلوبي للنص القرآني هو قضية إعجاز القرآن، وإن البلاغة في مراحلها الأولى نشأت في هذا الجو وفي ظل خلافات مذهبية وسياسية وصراع على السلطة، وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن السياسة صنعت البلاغة [٢].

استقت المؤلفات الأولى [٣] مادتها من هذا المناخ الفكري والسياسي الذي يقوم على الصراع ومن حلقة مفقودة في تاريخ علوم العربية والدينية التي اعتمدت على الإخباريين والرواة قبل التدوين وظهور كتاب سيبويه فجأة يجمع بين دفتيه علوماً لغوية ونحوية وبلاغية وقرآنية تكاد تكون مكتملة، الكتاب الذي لم تشر إليه

---

(١) ينظر رسائل الجاحظ ١٨٦/٣ والحيوان ٨٥/٥.

(٢) بنظر: البلاغة والأسلوبية ٣٠.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن ٣٨ ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن، الجويني ٢٠٤.

المؤلفات الأولى إلا نادراً ولاسيما (مجاز القرآن) لأبي عبيدة و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة. وقد خلا من كل مظاهر الصراع الفكري والديني التي نشأ فيها.

من هنا يشترط علينا تحديد الدراسة وأهدافها وأسسها والتزام الرصانة العلمية والموضوعية والتحقق من الموروث اللغوي قبل البناء عليه، ومن نتائجه ووسائله. يقول تمام حسان: إذا درست اللغة بمنهج جديد، فسوف تخرج بنتائج جديدة [١].

تحدد دراستنا في النص القرآني المحفوظ بين دفتي المصحف (الإمام)، وعدم خلطه بالمستويات اللغوية الأخرى كالقراءات واللهجات والضرورات الشعرية وسائر الأدلة النقلية الأخرى فما يرد في الدراسة من ذكر (اللغة العربية) نقصد بها (النص القرآني) أو عربية القرآن الكريم.

والأساس العلمي الأخر الذي يبنى عليه منهج الأطروحة هو: ملاحظة خصوصية أسلوب القرآن من حيث المرسل والرسالة والمرسل إليه، ومن حيث دلالات الرسالة، وطريقة نقلها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

فالمرسل خالق الرسالة [٢]، خالق كل شيء واحد أحد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (سورة الإخلاص ٣-٤) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى: الآية١١)، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٣)، ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (سورة النور: الآية٣٥)، وغير ذلك من الصفات غير المتناهية التي تفرّد بها المرسل ﷻ. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ ﴾ (سورة الزمر: ٦٧) .

---

(١) اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان، مجلة فصول م٤ ع٣ ١٩٨٤.

(٢) لا نقصد بذلك قضية (خلق القرآن) ولا نسعى إيقاظ (النائمة)، لكنا نريد بأنها رسالة تنأى عن كل رسالة مما يتناوله علم اللغة الغربي الحديث.

أما المرسل إليه فعام من إنس وجان في كل مكان وزمان، وهو خاص من حيث الإقبال على الرسالة بقلب مطمئن وليس كل متلقٍ لها. إذ ثمة صلة روحية بين المتلقي والرسالة، تختلف من متلقٍ إلى آخر بحسب إيمانه وثقافته وعصره وهدايته وسلوكه إلى الله تعالى.

أما الرسالة وهي النص القرآني فمفتوحة، ثابتة الألفاظ متحركة المعانى تصلح لكل متلقٍ في كل زمان ومكان كونها تحمل الحقيقة المطلقة، تحمل دلالات بعضها فوق طاقة العقل الإنساني واستيعابه ولاسيما في تعبيرها عن الغيب، دلالات شاملة لمخلوق عام، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة الإسراء: ٦١)، لم يدرك العقل البشري الملائكة وكيفية سجودهم إذ لا يمكن تصور المعنى في الحياة الدنيا المادية وإن أسعفنا الخيال والتجريد والتشخيص، والآيات من هذا النوع كثيرة التي تصف الغيب وأحداثه لكن يمكن الاستدلال بهذا أن الرسالة صالحة لكل المتغيرات الزمانية والمكانية وعالم الغيب والشهادة. فقد يكون معنى الملائكة – والله أعلم- ما نحس آثاره ولا نراه مما يحفظ الكون ويديم الحياة كالهواء والماء والكهرباء والأثير والظواهر الكونية والكيمائية والفيزياوية، تطوعت لخدمة الإنسان عن طريق علم الإنسان بها وبأسمائها بأمر من الله تعالى، فعبّر عن هذا التسخير بـ: (فسجدوا) وفي اللغة (السجود) لمطلق التسخير [1] أي سخّر الله تعالى الملائكة لخدمة الإنسان وحفظه في الحياة الدنيا. فأسلوب القرآن يتفرد بوصفه للحقيقة المطلقة الشاملة فوق المؤثرات الزمنية والمكانية وما يدركه العقل البشري وما لا يدركه، فيصف وصفاً دقيقاً الأشياء ليستوعبها العقل وقد أشار أكثر من باحث معاصر إلى ذلك كالدكتور محمد شحرور [2]. وعالم سبيط النيلي الذي قال " اللفظ عند المخلوق له معنى إتفاقي إصطلاحي، وفي كلام الخالق له معنى أصلياً " سماه (المعنى الحركي) وهو أصل جميع المعاني لا يتغير، لأنه حقيقة الشيء في

---

(١) اللسان: (سخر).

(٢) ينظر القرآن والإنسان، د. محمد شحرور ١٨.

مقابل، (المعنى الاصطلاحي) [١].

فالنص القرآني ينأى عن النص البشري بكل أجناسه لذلك يشترط على الدارس ملاحظة تلك الخصوصية ودراسته دراسة خاصة تختلف عن دراسته النصوص الأخرى. كما نجد في الموروثين: النحوي والبلاغي وكذلك في طروحات علم اللغة الحديث ومناهجه، لم تلحظ خصوصية الرسالة في النص القرآني في كثير من طروحاتهم كالوصفية والتوليدية والسيميائية والتاريخية وكذلك الأسلوبية وغيرها.

كقوانينهم في تطور اللغات أو تقسيم اللغات على فصائل وأسر وعدّهم فكرة نشأة اللغات والمفاضلة بينها ضرباً من الأساطير، وقولهم باعتباطية اللغة وهو قول يتقاطع مع النظام المحكم للغة العربية. وغير ذلك مما ستناوله مفّرقاً في ثنايا الأطروحة.

ولا يمكن دراسة نص القرآن الكريم في ضوء الشواهد المجترة والموضوعة أحيانا، وقد أنكر بعض العلماء ذلك [٢]، قال أبو حيان الأندلسي (٧٥٤هـ) في مقدمة تفسيره: «إنَّه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشمّاخ والطرمّاح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة» [٣].

وذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أبعد من هذا فقد أخذ على القدامى بناءهم النحوي واللغوي والبلاغي، وردّ كثيراً من الأسس التي بنى عليها الموروث كقولهم بالمجاز والكناية، وناقش القراءات ونظرية النظم وغير ذلك، واقترح منهجاً جديداً أقرب إلى خصوصية النص القرآني سمّاه بـ (المنهج اللفظي) [٤]، وإن لم نؤيده في بعضها، إلا أنها تدل على أن ثمة مشكلات في الموروث اللغوي والنحوي

---

(١) النظام القرآني ١٠.

(٢) ينظر: القياس في العربية ٢٩، دراسات لغوية، د. عبد الصبور شاهين ٦٤.

(٣) البحر المحيط ١٢/١.

(٤) ينظر تفصيلات هذا المنهج: النظام القرآني ١٠.

والبلاغي حول النص القرآني في الفهم والمنهج والأهداف، ينبغي الوقوف عليها والتحقق منها ومعالجتها قبل البناء عليها كي لا تؤدي بنا إلى نتائج غير علمية كما أدت ببعض الدارسين المعاصرين ذوي النظرة الضيقة والجهل بالعربية فدعوا إلى نبذ العربية وإحلال العامية محلها ناهيك عن هجومهم على علوم العربية لما وجدوا من خلل فيها من غير تحقيق وتدقيق ودراسة رصينة، فضلاً عن مآرب أخرى تجاوزت بهم من النقد العلمي إلى الهدم والتقويض.

آخرها كتاب (جناية سيبويه) الذي ذهب فيه مؤلفه إلى أن سيبويه وضع النحو لأمثاله من الأعاجم ليتعلموا العربية. وقد ردّ عليه غيرُ باحث، مصححاً انحرافاته ومفنداً لها وساخراً منها [١]. وكتاب: (نظرية النحو العربي) للدكتور كما شاهين، جمع فيه كل مأخذ أخذه المعاصرون على تراثنا النحوي العلمية منها والمغرضة فدعا إلى التخلي عنه.

ثمة فارق لابد من ملاحظته بين الهجوم على العربية والهجوم على النحو العربي فالهجوم على العربية يصدر عن جهل بها أو لأسباب مغرضة غير علمية، أما الهجوم على النحو العربي فمنه ما نؤيده ومنه ما لا نؤيده ذلك أن في مناهج علم النحو من خلل لا يخفى على الدارسين.

إنّ النص القرآني عبادة، مطلق المعاني، سر الخالق بينه وبين عباده، وإنَّ الدراسة الشكلية للغته على وفق المنهج النحوي المعياري تفقده خصوصيته وما فيه من فحوى الخطاب وأسرار بيانه وإعجازه المفتوح غير المتناهي [٢]، لذلك اتجه الصوفية اتجاهاً ينأى عن المناهج النحوية الشكلية في دراسة البيان القرآني دراسة روحية [٣] تكشف عن أسرار بيانية تقترب من التحليل الأسلوبي العلمي.

ركز النحاة والبلاغيون على الإعجاز اللغوي لانبهارهم به وبأسلوب القرآن المتفرّد فقد استغرق الوجه الخاص بلغة القرآن من وجوه الإعجاز أكثر من نصف مؤلفاتهم في الإعجاز كالزركشي في (البرهان في علوم القرآن) والسيوطي

(١) نحو: (نظرات في كتاب جناية سيبويه)، د. نبيل أبو عمشة.

(٢) ينظر: القرآن يتحدى ٢٥.

(٣) مثل: تفسير القشيري١/٥ والنحو القلوب٧، والعجزات القرآنية للنورسي١٣، ٢، ٣١، ٧١.

في (معترك الأقران).

قال الزركشي: هذا النوع "هو المقصود الأعظم من هذا الكتاب وهو بيت القصيد وأول الجريدة...ودرة التاج وإنسان الحدقة" وقال أيضا: "اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان..." (١).

وقال السيوطي: "هذا الوجه من أعظم إعجازه حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر" (٢).

لقد تناولوا بعض خصوصية النص القرآني فيما سموه بـ (علوم القرآن) كالمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل، والعام والخاص، ومبهمات القرآن ولغات القرآن، ومشكل إعراب القرآن، وغريب القرآن، والتأويل، وتنزيه القرآن، والوجوه والنظائر وعلم خواص القرآن، ووقوع الأعجمي منه وغيرها (٣).

وهي - في الأصل- تتعلق برد المطاعن الفلسفية والعقائدية والفكرية التي وجهها أعداء الإسلام وتصدّى لها المتكلمون والمعتزلة وغيرهم (٤). وإقرارهم بأن في القرآن معانٍ استأثر الله بعلمه، واختلافهم في دلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران: ٧)، بوظيفة الواو النحوية بين العطف والحال والاستئناف (٥)، الذي يختلف المعنى مع كل احتمال، ومثل هذا في أسلوب القرآن الخاص كثير كونه نصاً مفتوحاً، متحرك المعنى.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٨٢/٢.

(٢) معترك الأقران ٥١٤/١.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٥٥/١، ١١٣، والإتقان ٧٩/٤، ومعترك الأقران ١٤/١، ٨٠، ٩٤، ١١٥، ٢٨٤، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، د. مطلك الجبوري، وغريب القرآن للطريحي، مقدمة الكتاب. ومن كنوز التراث ٧٩-٧٣ وتيجان البيان في مشكلات القرآن، محمد امين الخطيب العمري.

(٤) ينظر: تنزيه القرآن ٢٥ والمغني للقاضي عبد الجبار ٥٥/١٦.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٠٠ ومقدمتان في علوم القرآن ١٧٦ والبرهان ١١٣/١، ٦٩/٢ والإتقان ٣/٣ ومعترك الأقران ١٣٦/١ ودراسات قرآنية، الصغير ١٢٠.

ويقصد البلاغيون بالمتشابه التشابه اللفظي الشكلي والاختلاف اليسير الذي يرد في مواضع مختلفة من النص القرآني كتغير حرف أو حركة أو كلمة أو حذفها في موضع وإثباتها في موضع آخر أو تقديمها في موضع وتأخيرها في موضع آخر وتناولوها تناولاً أسلوبياً بحسب الأذواق سموّها (علل الاختيار) مستنبطين منها أسراراً بيانية، وقد برع فيها غير واحد من العلماء كالإسكافي وابن الزبير الثقفي والزمخشري والفخر الرازي وأبي حيان الأندلسي وغيرهم.

القراءات القرآنية

أهم قضية تواجه الدارس المعاصر للنص القرآني، فتؤثر في نتائجه وتجعلها غير مستقيمة، خلط النص القرآني بالقراءات القرآنية سواء المشهورة منها أو الشاذة، فضلاً عن المستويات اللغوية الأخرى التي مزجت في الدراسات النحوية واللغوية في الموروث العربي كلهجات العرب وكلامهم من شعر ونثر مما أدى إلى نتائج أضرّت بفهم النص القرآني وتفسيره وتحليله الأسلوبي.

ولا يزال كثير من الباحثين يخلطون بين هذه المستويات اللغوية المختلفة في دراساتهم النحوية والبلاغية والأسلوبية، فقد سئل الدكتور فاضل السامرائي عن تفسيراته البيانية وتحليلاته الأسلوبية والملامح الفنية الجمالية ألا تنتقض بالقراءات، لكنه لم يأت بجوابٍ شافٍ [1].

وباحث آخر اضطر إلى تفضيل بعض القراءات على النص القرآني ليستقيم المنهج الذي درس فيه النص القرآني كتعليقه على قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ (سورة الشعراء: ٤)، قال: " أصل الكلام: (فظلوا لها خاضعين) فأقحمت (الأعناق) لبيان موضع الخضوع" وعنده قراءة (لها خاضعة) الصحيحة ذلك أنها توافق العربية، لكن القراءة المثبتة في المصحف جاءت (مراعاة للتناسب) في فواصل الآيات، وهي: مؤمنين، خاضعين، معرضين، يستهزئون... [2].

ولكي تستقيم لنا النتائج نحدد دراستنا في مستوى لغوي واحد هو النص القرآني من غير خلطه بالقراءات والمستويات اللغوية الأخرى وهذا ما أكده علم اللغة الحديث واشترطه على الباحثين في دراسة اللغة، فضلاً عن أسباب أخرى منها:

١- إن في لغة القرآن نظاماً دقيقاً مترابطاً مبنياً على المشابهة وحمل الكلام بعضه على بعض وتعلق بعضه برقاب بعض، يستعمله القرآن الكريم في توسيع المعنى وتأدية معانٍ عالية بليغة وأسرار لا يؤديها الكلام المباشر،

---

(١) ينظر: على طريق التفسير البياني ١٠.

(٢) ينظر: من بديع لغة التنزيل ٢٤٣، ٦٩، ٧٣، ٣٦٧، وينظر: الكشاف: ٧٥٤.

يفسّر العدول ومخالفة الظاهر الذي ورد في النص القرآني في ضوء هذا النظام وإن القراءات والمستويات اللغوية الأخرى تفقد هذا النظام وتؤثر في جمال أسلوبه، وتماسكه وترابطه، ويؤثر في الأحكام الشرعية، ودلالات التراكيب بل يضر ببعض وجوه إعجازه كالإعجاز العددي القائم على الإحصائيات الدقيقة، وبالنظم الذي أجمع علماء الإعجاز عليه.

وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك وأخذ على علماء العربية بذلهم الجهد في القراءات وعنايتهم باللغة والنحو أكثر من عنايتهم بالنظم وعلم البيان وأدهشه إهمالهم إياه، والإكثار من الغريب والمحافظة على الإعراب وتجنب اللحن [١].

٢- إن النص القرآني هو النص العربي الوحيد الذي أقرّ البحث الحديث بالاطمئنان إليه من سائر النصوص العربية، ذلك أنه نقل إلينا نقلاً متواتراً وأن الكشوفات الآثارية والتنقيبات لم تعثر على نصٍ قبله أو في زمنه يضاهيه أو يشبهه تمام الشبه [٢].

٣- أقرّ علماء القرآن بـ"أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان" فالقرآن هو الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي قراءة القارئ [٣].

٤- اختلافهم الشديد في مدلول الحديث الشريف: "إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" [٤]، فقد بلغت الأقوال في تفسيره أكثر من أربعين قولاً ورأياً أكثرها متقاطع بعضه مع بعض متناقض وبعضها "ينبو عنه السمع وينفر منه القلب، ولا تميل إليه النفس، وأنا أستغفر الله من حكايته" [٥].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٥ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية ٨٧، ٩٠ والمدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية ٩٦، واللهجات نشأةً وتطوراً ٤٢.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب ٨.

(٣) البرهان ٣٨١/١.

(٤) تفسير الطبري ٢١/١ والنشر ١٩/١.

(٥) الإتقان ١/ ١٥٣، ٣/ ٣٣٥.

وكان كبار علماء القراءات يستشكلون معنى الأحرف السبعة، قال ابن الجرزي: "ولازلتُ أستشكلُ هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة" [١].

لذلك شكك بعض المستشرقين في المقصود بهذا الحديث [٢] وبعضهم اتخذ القراءات سبباً للطعن بإعجاز القرآن ومدخلاً لعدائهم للإسلام وعدّوا القراءات تحريفاً [٣].

٥- طعن بعض الصحابة (رضي الله عنهم) وتابعيهم، وكبار النحاة والمفسرين وعلماء القراءات في كثير من القراءات سواء كانت من السبعة أو غيرها بحيث لا يكاد قارئ سلم من الطعن في قراءته: ابن عباس، ابن مسعود، الحسن البصري، عاصم بن أبي النجود، حمزة، نافع، أبو عمرو وغيرهم.

قال الفراء: "فإنه قلّ من سَلِمَ منهم من الوهم" [٤]. وعلى الرغم من أن سيبويه لم يجز مخالفة القراءة لأنها السنة [٥]. فقد طعن في قراءات كثيرة طعناً صريحاً وخفياً، وقد شاركه شيخه الخليل في ذلك [٦] في معارضته لبعض القراءات، وكثير من المفسرين والنحاة عارضوا بعض القراءات وردوها كالكسائي والمبرد والفراء والأخفش الأوسط والنحاس والمازني

---

(١) النشر ١/٥.

(٢) ينظر: تاريخ القرآن، نولدكة ٤٥-٤٨، وفي اللهجات العربية أنيس ٤٥، ومباحث في علوم القرآن، الصالح ١٠٣.

(٣) مثل: نظم القرآن والكتاب، يوسف درة الحداد، ٣٣، ومباحث قرآنية، القس وليم غولدساك وتدوين القرآن، كانون سل، وغيرها من الكتب المعادية للإسلام التي طبعت في أوربا نهاية القرن العشرين وأعاد نشرها موقع الكتروني لا أرغب بذكره بعده عن روح البحث العلمي.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٧٥.

(٥) كتاب سيبويه ١/ ٨٢.

(٦) ينظر سيبويه والقراءات ١٤، ١٦-١٨٠. ذكر د. أحمد مكي الأنصاري معارضات سيبويه الكثيرة للقراءات.

وكذلك المتأخرين كالزمخشري والعبكري والسيوطي [١].

وكذلك ابن جني الذي انتصر للقراءات الشاذة محاولاً تأويلها لتصحّ وتتوافق مع أصول العربية [٢]، وقد أفرد الدكتور عبد الخالق عضيمة باباً في كتابه الكبير (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) جمع فيه معارضات القراءات لدى الصحابة والتابعين ﷺ والمفسرين والنحاة وغيرهم [٣].

٦- اتجه البحث اللغوي المعاصر إلى دراسة القراءات القرآنية في مستوى اللهجات العربية [٤] وأنهم يرون أن اللهجات كانت سبباً لظهور القراءات، وأدت إلى تنوعها وتعددها، قال الدكتور إبراهيم أنيس "إن مرجعها اختلاف اللهجات القديمة ولا بدّ من نسبتها إلى قبائل أو بيئات" [٥] وقد سبقه إلى هذا القول بعض المستشرقين [٦] وكان بعض النحاة ينسبون بعض القراءات التي تخالف قواعدهم إلى اللهجات العربية، كالفراء وتبعه النحاس نسبا قراءة (إنّ هذان لساحران) إلى بني الحارث بن كعب الذين يجعلون الاثنين بالألف رفعاً ونصباً وجراً. ونسب الأخفش قراءة الأعمش والحسن البصري (ما تنزّلت به الشياطون) إلى ناس من العرب وهي غلط لدى النحاة أجمع [٧].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للاخفش الأوسط ١/ ١٩ والبيان والتبيين ٢/ ٢١٩، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٧٥ والسبعة ٥٣، ٢٨٧ والمنصف ١/ ٣٠٧، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٣٢ وتأويل مشكل القرآن ٥٨-٦١ والمعارف ٢٣٠ وتفسير القرطبي ٥/ ٢-١٥٢٦ والبرهان ١/ ٣١٩، ٣٢١ والإتقان ١/ ٢٠٥، والاقتراح ١/٣، ٦٧، ٦٩.

(٢) ينظر: الخصائص ١/ ١٩١ والمحتسب ١/٣.

(٣) ينظر: ١/٢١-٨٢.

(٤) ينظر: أثر القراءات في الدراسات النحوية ٩٧، واللهجات العربية نشأة وتطوراً ٣٩١-٤٤٤، والقياس في العربية د. محمد حسن ٧٢، وفي اللهجات، أنيس ٤٥-٤٨.

(٥) في اللهجات العربية: ١١.

(٦) ينظر: المصاحف، مقدمة التحقيق ١/ ١١٥ -١٢١ وتاريخ القرآن، نولدكة ٤٥-٤٨.

(٧) ينظر معاني القرآن، الأخفش ١/ ١٤، ٢٦٣، وتأويل مشكل القرآن ٥٨ ومعاني القرآن، الفراء ٢/ ١٨٣، ٣١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٣. والكشاف: ٦٦،

ويرى بعض المستشرقين أن سبب اختلاف القراءات هو خط المصحف وخلوّه من التنقيط والشكل فضلاً عن زيادات تفسيرية كما في مصحفي عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ﷺ [1].

وعلينا ألاّ نأخذ بأقوال المستشرقين وأرائهم في القرآن الكريم ولغته ونحذر منها، كون أكثرهم لا يؤمنون بإعجاز القرآن الكريم ولا بخصوصية لغته وأسلوبه، وإن بدا منهم ذلك.

٧- ومما يدلل على أن القراءة مغايرة للنّص القرآني، خاصة بالقارئ أن أكثر القراءات للتراكيب التي تخرج عن القياس النحوي العقلي، تنسجم مع قواعد النحو، وكأنها محاولة لإخضاع النصّ القرآني للصنعة النحوية المنطقية.

كقرأتهم لقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة التوبة: الآية٣) بجر (رسوله)، لتطرد مع الصنعة النحوية. وهو أمر تتغير معه دلالة الآية الذي أراده الله تعالى، ويؤثر على إعجاز القرآن.

وقراءة (تستكثرْ) بالجزم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ (سورة المدثر: ٦)، بالرفع.

وقراءة (النجوم) بالنصب لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ ﴾ (سورة النحل: ١٢)
بالرفع.

=

والبحر المحيط ١٣١/٥.

(١) مذاهب التفسير، جولدتسير ٣-٩.

وقراءة (قولهم) بالرفع لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤٧)، بالنصب. و(بينكم) بالرفع لقوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٩٤)، بالنصب. والشواهد على ذلك كثيرة تكاد تشمل جميع شواهد العدول في أسلوب القرآن الكريم [1].

٨- وأختم هذه الأسباب بحجة داحضة هي إن ما يدعو إلى التساؤل قول القدامى وتبعهم المعاصرون إن الشعر العربي القديم سَلِمَ من اللهجات العربية في الغالب لأن الشعراء كانوا ينظمون شعرهم باللغة العربية المشتركة، لكن لغة القرآن الكريم لم تسلم من هذه اللهجات.

(١) ينظر: الكشاف ١٠٨، ١٣٥، ١٩٨، ٤٣٧، ٤٤٠، ١٠٦٨ وغيرها، والبحر المحيط ٢/١٣١، ١٤٠، ٣/٣٧٣ وتفسير ابن عرفة ١/٢٢١، والتحرير والتنوير ٢/ ٤٩٩، ٣/ ٥٠٠ وغيرها.

الفصل الأول

النظام النحوي

تمهيد

الكون نظام يحوي أنظمة كثيرة، وكل منها يحوي أنظمة أخرى أصغر منه متعلقة بعضها برقاب بعض يؤدي بعضها إلى بعض ويؤثر بعضها في بعض ويفسر بعضها بعضاً مبنية على المشابهة والاطراد والاستمرار: الكون، النظام الشمسي، العالم، الدولة، المؤسسات، المجتمعات، الأسرة، الأيدلوجيات، السياسات، الديانات، الحكومات، اللغات، العلوم وغيرها ذلك إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق الإنسان سدى ولا الحياة خلقاً اعتباطياً وتمتاز هذه الأنظمة بالآتي:

- التنوع: منها المادية ومنها المعنوية والروحية، فنظام الإنسان يشمل أنظمة عضوية ونفسية وروحية متصلاً بعضها ببعض.
- الثنائية: كل نظام يقوم على الثنائية فأصغر خلية تتكون من نواتين سالبة وموجبة، أو ذكر وأنثى، أو لفظ ومعنى إلا الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد خالق الأنظمة كلها.
- الاطراد: كل شيء له نظام مطرد منعكس خاص به، يحفظه من الخلل. فالخلل في إحداها يؤثر في غيرها من الأنظمة.
- الحركة: تتصف أنظمة الكون بالحركة والتطور والتجديد والتوليد، قال تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس ٤٠) فحركة الشمس تولد يوماً جديداً بما يتبعه من تغيرات وتجديد. والآية الكريمة تقرأ من الجهتين كأنها تدل على الأنظمة الكونية المطّردة. والقرآن الكريم صورة لتلك الأنظمة يهيمن عليها ويصفها بحركة معناه من خلال قراءته وتدبره كما أمرنا الله تعالى بذلك.

وغير ذلك من الصفات كالتشابه والاتصال بين الأنظمة.

ولسنا معنيين بالاستطراد بذلك لكنه مدخل إلى نظام اللغة الذي هو أهم تلك الأنظمة ويمتاز بالسمات المذكورة وهو انعكاس وتفسير لتلك الأنظمة مرتبط بها

من هنا تتضح رؤية الفلاسفة ومنهج الصوفية الذين يربطون اللغة بالوجود، ويتضح صلة علم اللغة الحديث بالعلوم الأخرى: علم النفس، علم الاجتماع، علم العلامات، علم الجمال وهو النظام نفسه والفلسفة البنيوية التي ولد من رحمها علم اللغة الحديث تقوم على ربط كل شيء بالنظام الكوني أو البناء العام للكون [١].

لذلك لا يخلو تعريف من تعاريف اللغة الحديثة المختلفة على كثرتها بحسب علماء اللغة ومناهجهم من عبارة (اللغة نظام).

وقد حدّد فردناند دي سوسير مهمته في دراسة أنظمة العلامات مما يفهم بها البشر بعضهم بعضاً. وعلم اللغة جزء من علم العلامات وهو "العلم الذي يُعنى بدراسة تألف الظواهر التي تستند إلى نظام علامي إبلاغي في الحياة الاجتماعية كنظام الأزياء أو المأكل". وانتقل إلى مناهج النقد الأدبي الحديث، "فتولدت علامية الأدب وهي تسعى إلى إقامة نظرية في نوعية الخطاب الإنشائي باعتباره حدثاً علامياً، أي نظاماً من العلامات الجمالية" [٢].

جوهر العلم نظامه وماهية الشيء وحقيقته الكشف عن نظامه وربطه بالنظم الأخرى والنظام الكوني العام، كما ترى الفلسفة البنائية، والبحث العلمي الرصين هو تنظيم المعلومات ووضع الأشياء مواضعها من النظام العام واستقراء الشيء ثم تنظيمه يؤدي إلى الحقائق العلمية الرصينة، وعلى هذا يقوم علم المنطق الذي يعصم التفكير من الخطأ، لذلك اختلط مع علم اللغة وأُفرغت بعض مباحثه وتصوراته في الموروث النحوي الذي هو أوضح نظم اللغة العربية.

من هنا ينطلق بحثنا إن شاء الله إلى الكشف عن نظام العربية لبلوغ حقيقتها وجوهرها ثم دراسة العدول في ضوء نظامها. فالعلم بحث عن حقيقة مرتبطة بالنظام العام واللغة العربية خير ما يمثل هذا النظام. إذ هي من صنع البارئ عزّ وجلّ ومشيئته، للتعبير عن المعنى الحقّ والحقيقة المطلقة، فأنزل بها كتابه الكريم الذي يهيمن على الكون والوجود والأنظمة كلها، مرتبط بنظام لغته العربية المبينة

(١) ينظر: مشكلة البنية ٧.

(٢) الأسلوبية والأسلوب، المسدي ١٧٨.

ارتباطاً عضوياً لا يمكن فصلهما كما أكّد أحد المستشرقين [١]

وكلاهما يقوم على المشابهة وتعلق بعضه برقاب بعض وتفسير بعضه بعضاً كما سنرى من غير اختلاف ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة النساء: ٨٢)، وسائر أنظمة الكون مبنية على هذا التشابه والتعلق.

لذلك لم يتلُ الرسول القرآن بغير لغته العربية وإن كانت دعوته عامة للعرب وغيرهم، وأجمع علماء القرآن الكريم على استحالة نقل القرآن الكريم إلى لغة غير لغته العربية وعدّوا ذلك تفسيراً له وليس قرآناً، ذلك أن الترجمة تفقده معناه المرتبط بنظام لغته العربية المبينة المرتبطة بنظام العقيدة الإسلامية، سواء كانت هذه الترجمة حرفية أو نصية، مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها.

والأمر الغريب أن من يتصيّد بالماء العكر من المنافقين اتخذوا ذلك شبهة كونه خطاباً للناس جميعاً وليس للعرب وحدهم [٢] وفي ثنايا هذا البحث ردّ عليهم وعلى شبه أخرى طعنوا بها النص القرآني.

لكل لغة نظامها والترجمة النصية هي نقل نظام اللغة المرتبط بنظام المجتمع وثقافته إلى النظام الآخر.. فالجملة الإنكليزية:

Arab Student Aid International

ترجمتها الحرفية: العبارة الأولى **Arab Student** تدل على الطالب العربي أو الطلبة العرب أو تلاميذ أو دارس ودراسة ودارسين، والعبارة الثانية **Aid International** تدل على مساعدة (عالمية) ومعانٍ أخر مقاربه لها. فتكون الترجمة الحرفية من غير النظام الذي يفهمه المتكلمون بالإنكليزية في ضوء نظامهم اللغوي المرتبط بمجتمعهم وثقافتهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم: طالب عربي مساعدة عالمية.

والترجمة إلى النظام العربي: المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب. لكن

---

(١) القرآن وعلم القراءة، جاك بلاك ٢٥.

(٢) شبهات حول القرآن وتفنيدها، د. غازي عناية (موقع)، وينظر: إعجاز القرآن وترجمته، د. جعفر دك الباب (بحث) مجلة التراث العربي ع٧، س٢ نيسان ١٩٨٢.

لا نعرف هذا المعنى إلا من خلال صياغته على وفق نظام العربية.

يتصف نظام العربية بالسعة والمرونة والتماسك ما يجعله أنجح وسيلة للتعبير عن المعاني التي تتصف بالتعقيد والتغيير والتطور المستمر ليواكب حركة الحياة المستمرة وضعفه وخفائه ورقته وصلته بالنظم الاجتماعية والنفسية الأخرى وتفرعه من أصول إلى فروع واختلافه من شخص إلى آخر ومن مستوى لغوي إلى آخر واختلاف الأساليب في التعبير عن المشاعر والمعاني المادية والروحية. وعن المعاني المطلقة العالية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، والمعاني الثانية والأسرار البيانية والدلائل الإعجازية.

إن الوقوف على هذا النظام واتخاذه منهجاً في الدراسات اللغوية والنحوية والأسلوبية والدلالية وغيرها يضعنا في المسار العلمي الرصين في دراسة العربية والنص القرآني.

وتعد دراسة أسلوبية ذلك أن نظام العربية هو أسلوبها فضلاً عن ارتباط هذا النظام بدلالة النصّ ولاسيما الدلالة البلاغية والفنية. وهذا مما تعنى به الأسلوبية الحديثة وإن كنا لم نقلد مناهجها لأنها وضعت لأنظمة لغوية تنأى كثيراً عن نظام العربية الخاص بها.

النظام النحوي

نظام اللغة العربية يشمل أنظمة مرتبطة بعضها ببعض كلها تخدم المعنى أهمها النظام الصوتي وقوانينه. والنظام الصرفي الذي يقوم على جذور واشتقاقات مطرّدة قد تصل إلى أكثر من مئتي تصريف محفوظ للجذر الواحد تتسع بالزوائد والحذف والإعلال والإبدال وتعاور الحركات وقوانين جمع التكسير والنسب والتصغير والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث على وفق نظام مرن مفتوح يستوعب كل معنى جديد لمواكبة التطور ويسعف المبدعين والمعربين وغيرهم [1].

---

(١) بلغت بعض كتب تعليم اللغة العربي لغير الناطقين بها إلى أكثر من مئتي تصريف للجذر الواحد. ينظر:

An Introduction to Modern Arabic, by Farahat J. Ziadeh and R. Bayiy winder, ١٩٥٧, London: Oxford University Press.

وينظر: أطلس النحو العربي، عباس المناصرة، ٨ وقاموس تصريف الأفعال والأسماء، د.

قال د. تمام حسان: "إن الصرف يتكون من نظام من المعاني التي تعبّر عنها المباني لأنّ هذه المباني تتحقق بدورها بواسطة العلاقات فمن المعاني والمباني تتكون اللغة، ومن العلاقات يتكون الكلام..." [١].

ونحن معنيون بالنظام النحوي وهو نظام تركيب المفردات للتعبير عن الدلالة. والنظام نفسه دلالة كما يتضح بالترجمة الحرفية والنصية الذي مرّ بنا.

ويعتمد النظام النحوي على أنظمة اللغة الأخرى ولاسيما النظام الصرفي كلها تتعاضد لخدمة الدلالة والبيان كالنظام الإعرابي ونظام الربط وغيرها. قال تمام حسان: "النحو يتخذ لمعانيه مباني من الصرف لذا لم يفصلوا بينهما في كتب النحو [٢]. وقال: "ان النحو لا يستعمل من المباني المعبرة عن معانيه إلا ما يقدمه له الصرف من مباني التقسيم وتحتها الصيغ، ومن مباني التصريف وتحتها اللواصق ومن مباني القرائن وتحتها العلامات الإعرابية، والرتبة وزوائد العلاقة كالهمزة والتضعيف للتعدية وكأدوات العلاقات وكالتضام وأدوات الربط وهلم جرّا مما يعبر عن معاني نحوية صرف" [٣].

ويرى أن النظام النحوي للغة العربية ينبني على الأسس الآتية:

١- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

٢- طائفة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية.

٣- مجموعة من العلاقات تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كعلاقة الإسناد والتخصص والنسبة والتبعية وكل فرع وهي قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.

=

أميل بديع يعقوب.

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٤.

(٢) نفسه ١٧٨.

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ١٧٨، ١٦٤.

٤- ما يقدمه علماء الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية وصرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف ومباني القرائن اللفظية.

٥- القيم الخلافية أو المقابلات بين أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

يرى الدكتور تمام حسان اللغة نظاماً، ولكل نظام ثوابته ومتغيراته، فالثوابت أطر دائمة لا غنى للنظام عنها، ولا يقوم بدونها. والمتغيرات لا تتصف بالدوام، وإنما تخضع لظروف تدعو إلى تحولها في حدود اطر الثوابت وبشروطها الأولى كالإستراتيجية (الثوابت) والثانية كالتكتيك بحسب المتغيرات. وثوابت النحو العربي ثلاثة هي: أمن اللبس في المعنى وطلب الخفة في المبنى، والاطّراد أي نظام العربية يُبنى على المعنى والمبنى والاطراد [1].

الدكتور تمام حسان من أبرز المعاصرين الذين حاولوا الكشف عن أنظمة اللغة العربية وربطها بالمعنى، إلا أنه تناولها في ضوء المنهج الوصفي الحديث الغربي الدخيل على لغة القرآن وخصوصيتها فضلاً عن اعتماده على المتأخرين من النحاة كأبي البركات الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف). ولاسيما في كتابه (اللغة العربية مبناها ومعناها) الذي عدّه أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الفكر اللغوي تجري بعد سيبويه وعبد القاهر [2] خلص إلى تقسيم جديد للكلم العربية يقوم على فروق في المعنى والمبنى وتعدد المعنى الوظيفي لحروف المعاني والأدوات والضمائر تكشف عن الطابع المرن بل الاقتصادي لنظام اللغة الذي يصل بالقليل من العناصر اللفظية إلى ما لا حصر له من المعاني بوساطة نقل العناصر من أحد أقسام الكلام إلى آخر، كنقل (ما ومن وأي) من الموصولية إلى الشرطية وحاول في كتبه الأخرى تفسير العدول على فكرة الأصل الذي قال بها النحاة والبلاغيون وحلّ نظام القرائن المعنوية محل العمل النحوي كقرينة الإعراب

(١) الخلاصة ١٥.

(٢) الخلاصة ٦.

والتـضام والـرتبة الـنحوية وغيـرها [١]، ونتـيجة للـنقد المـوجه إلـيه انبـرى فـي كتابه (الخلاصة النحوية) ليقدم محاولة تطبيقية لنظريته بعد وقت طويل، أعاد فيها ترتيب أبواب النحو والصرف بحسب منهجه ونظريته يبدو للقارئ للوهلة الأولى أنه تقسيم ملفق بين أنظمة اللغة المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فضلاً عما سمّاه المكملات والظواهر الإعرابية التي تناول فيها العدد والممنوع من الصرف والحكاية وإعراب المقصور والممدود مستخدماً الجداول والخطاطات كعادته. تناول ذلك كله باقتضاب من غير تفصيل فقد يختزل عدة أبواب في باب واحد موجز بأقل من صفحة. فضلاً عما أهمله من أبوابٍ وذكر أبواب دعا أكثر أصحاب التيسير النحوي المعاصر إلى تركها أو دمجها في أبواب أخرى [٢].

يسمح النظام النحوي بالتوسع من خلال المشابهة وحمل الكلام بعضه على بعض ويتصف بالمرونة والتداخل كنظام الـ **Windows** في الحاسوب بكثرة نوافذه التي يؤدي بعضها إلى بعض والدخول إليه من أي نافذة وليس على شكل سلسلة وإنما منتشر متداخل الفروع متماسك كأبواب النحو التي تقوم على المشابهة والمرونة، لذلك نجد في كتب النحو كثرة الإحالات في هوامشها على الأبواب والمسائل والفروع وخير شاهد على ذلك كتاب (النحو الوافي) لعباس حسن الذي جاءت هوامشه وإحالاته أكثر من المتن الذي هو كالمفاتيح على دخول النظام النحوي.

وللأستاذ عباس المناصرة محاولة تكشف هذا النظام جلياً في كتابه (أطلس النحو العربي) [٣]، فقد عرض النحو على شكل شجرة لها فروع تمثل أبواب النحو الرئيسة تتفرع منها فروع متصلة بعضها ببعض، عرضها على شكل مشجرات تمثل مسائل النحو ومكوناته، وإن كانت محاولته معيارية تعليمية لأنه أراد أن ينظم أجزاء النحو المتناثرة ويربطها بنظامها الشامل للتلاميذ بدلاً من تناولها مشتتة في سنوات الدراسة. لكنها محاولة تدل على الترابط والتماسك بين أبواب النحو وفروعه

(١) نفسه ٣٤- ٣٥، ٤٣.

(٢) الخلاصة النحوية ٧-٨.

(٣) تنظر الصفحة ١٢.

ومسائله على وفق نظام رصين مطرد، كثير المداخل.

وكذلك محاولة العقيد الركن انطوان الدحداح في (معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات) وهو أوسع تناولاً وأكثر تفصيلاً وتطبيقاً وأشمل موضوعات وغيرها من الكتب النحوية التعليمية التي تكشف عن النظام النحوي المترابط الذي يقوم على التعاضد والمداخل والترابط وإن لم تكن تقصد إليه قصداً بقدر هدفها التعليمي.

وهذا النظام كان سبباً لما امتازت به كتب النحو الأولى من التداخل والتكرار والاضطراب المنهجي أحيانا مثل كتاب سيبويه. والكتب التي لها صلة بأنظمة اللغة العربية (كدلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر و(الخصائص) لابن جني وغيرها، وكذلك في هذا البحث إذ ستتكرر الفكرة في أكثر من مبحث.

النظام النحوي يؤسس على مواقع محددة تسمى معاني نحوية أو وظائف اصطلح عليها النحاة بمصطلحات محددة كالإسناد والفاعلية والمفعولية والوصفية والتبعية وغيرها على وفق ترتيب مرن يسمح بتغيرات داخل نظامه مشابهة له وتعضده أنظمة أخرى كنظام الإعراب والربط والنظام الصرفي ونظام الإضافة والتعلق وغيرها.

نظام مبني على أصول محدودة ثم يتوسع فيها باتجاهات عديدة بحسب المعنى المراد وإن كان دقيقاً أو ملمحاً أو لغزاً أو إبداعيا أو إبلاغياً بتوسع هذه الأصول إلى ما يشبهها وهذا الشبه قد يكون واضحاً جلياً كقواعد النحو ونظام الإعراب وقد يكون خفياً كالعدول في ضوء النظام نفسه.

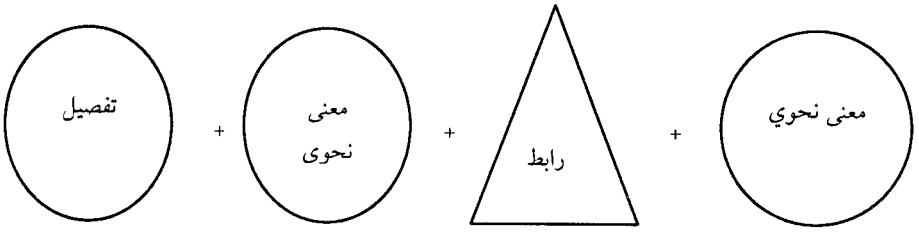

فالأصل يركب من معنيين نحويين ورابط وتفصيل يزيد المعنى وضوحاً وبياناً كالتمييز والحال والنعت والتوابع الأخرى ثم يتوسع بإحلال معانٍ مختلفة

بالموقعين النحويين أو الوظيفتين أو المعنيين وكذلك الرابط يتوسع فيه بإحلال روابط مختلفة كالأداة والضمير والحرف وحركات الإعراب التي تعضد النظام، وكذلك الأمر للتفصيل، وكل معنى نحوي أو موقع تحل محله وظائف نحوية مختلفة كالفعل والاسم المبتدأ وما يشبهها من الأفعال الناقصة والأخرى المشبهة بالفعل في المعنى النحوي الأول. وتحل محل المعنى النحوي الثاني أو الموقع معانٍ نحوية أو وظائف متعددة كالمفعولية والخبرية وغيرهما، وتحل معانٍ نحوية مختلفة في (التفصيل) كالتبعية. ومهما يتوسع النظام فيقوم على مشابهة الأصل حتى الأساليب التي يختلف نظامها كالاستفهام والشرط والاستثناء والنداء وغيرها.

والنظام الصرفي يعتمد على النظامين الصوتي والدلالي والنظام النحوي يعتمد على الأنظمة الصوتي والصرفي والدلالي والنظام الأسلوبي يعتمد على أنظمة اللغة جميعها.

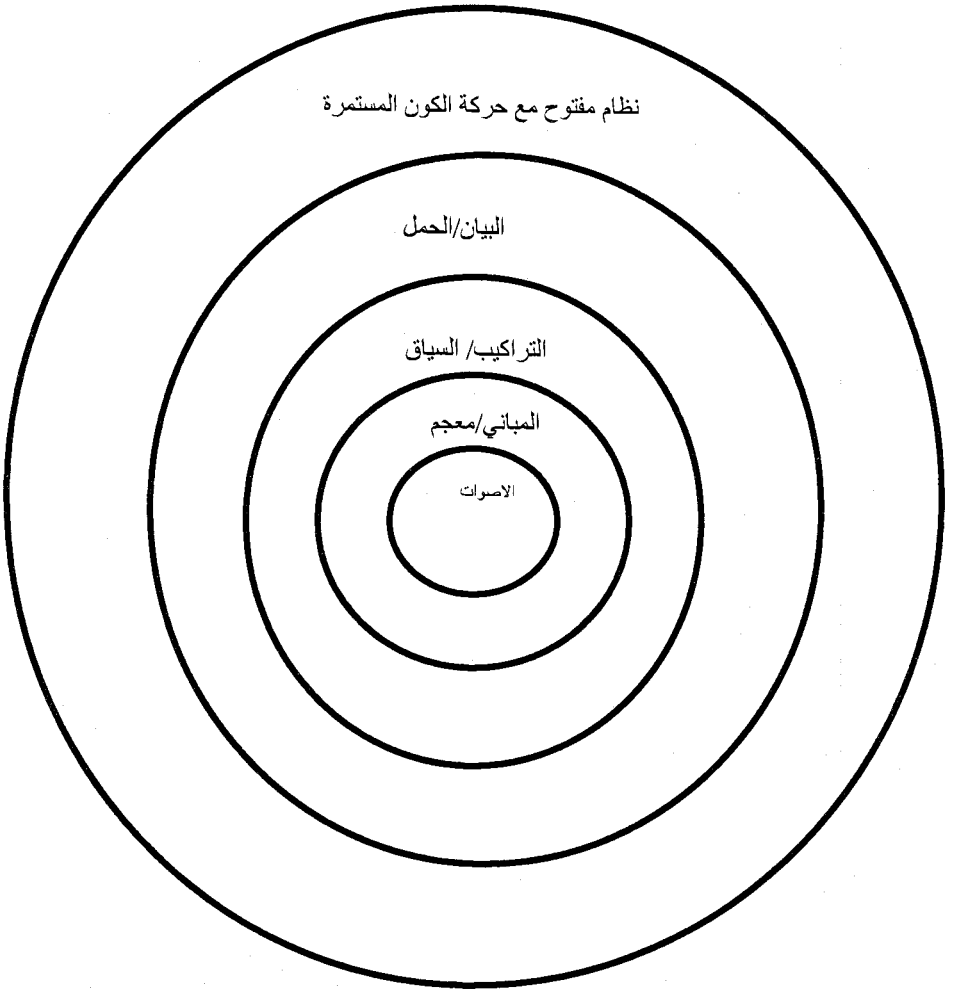
نظام مفتوح مع حركة الكون المستمرة
البيان/الحمل
التراكيب/ السياق
المباني/معجم
الاصوات

مخطط النظام اللغوي يمثل تلازمه وانتشاره وتداخله وارتباطه بعضه ببعض ليؤدي المعنى المتحرك بحسب تطور المجتمع والثقافات وغيرها. قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة يّس: ٤٠)، أي في نظامه وليس الحركة خارج الفلك دائماً وإنما يسبح ضمن نظامه وفلكه والله أعلم.

إن البشرية تغيرت على وفق أحداث كبرى تبعتها تغيرات في التفكير والمعتقدات والعلوم واللغات وطرائق العيش والعادات وغيرها فالعلم اختلف مثلاً بعد الحروب العالمية وبعد الحرب الباردة وبعد الانفجار المعرفي وعصر الصناعة والكهرباء وآخرها شبكة الاتصال الالكترونية العالمية- (الانترنت). لكن نظام القرآن المفتوح استوعب كل هذه التغيرات وتحرك معها المعنى مع بقاء النص ثابتاً. ولولا هذا الأمر لفسّر النبي محمد القرآن تفسيراً نهائياً، لذلك قالوا القرآن (حمّال أوجه). وقد خضعت اللغات المختلفة للتطور والتغيير إلاّ النصّ القرآني كما نزل يحوي المتغيرات بسبب نظامه المعجز.

ونظام الإعراب يعضد هذه المعاني فيمنح لكل معنى حركة إعرابية الرفع للإسناد والفاعلية والفعل المعرب. والنصب للمفعولية وإن أحدثتها عوامل ظاهرة أو مقدرة فحملاً على الأصل، والجر للإضافة والجزم خاص بالأفعال ولكلٍ دلالته.

هذا أصل الإعراب وينوب عنه علامات فرعية في نفس معناه كالإعراب بالحروف والإعراب المقدر والمحلي الذي لا يظهر لدواعٍ صوتية، كالثقل والتعذر واشتغال المحل، فيحمل على الأصل في ضوء صفة الاطراد والانعكاس لنظام العربية.

أما البناء فغالباً لأسباب تخص اللفظة ولاسيما الأدوات تلزم حركة بناء واحدة لكنها تقع في مواقع الإعراب المختلفة، ويقدر عليها النظام الإعرابي نفسه، هذا للبناء اللازم.

أما البناء العارض كالمنادى العلم واسم لا النافية للجنس ومركب الأعداد فسنرى أنها محمولة على معانٍ نحوية أخرى تشبهها.

إن النظام الإعرابي أوضح أنظمة العربية لذلك أولاه النحويون جلّ عنايتهم. إن سعة النحو العربي لا يتضح بهذه العجالة وسيزداد الأمر وضوحاً فيما يأتي في هذا المبحث والمباحث الأخرى إن شاء الله.

أدرك علماء العربية القدامى نظام العربية الذي يختلف عن المنطق العقلي الذي خلط بينهما النحاة المتأخرون، وكان منهج الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى (١٧٥هـ) النحوي في معالجة النصّ القرآني يقوم على لحظ هذا النظام الذي يقوم على مشابهة الكلام العربي بعضه ببعض وتعلق بعضه برقاب بعض. قال تلميذه سيبويه: "ومن كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء" [١].

وكان يفسر العدول عن القياس النحوي المنطقي لا اللغوي الذي يرد في النصّ القرآني في ضوء نظام العربية، وكان فهمه للقياس النحوي على هذا الفهم لذلك قالوا عنه إنه صححّ القياس بعد أن جرّده ابن أبي إسحاق وغيره أي جعله منطقياً عقلياً وليس لغوياً في ضوء الواقع الاستعمالي للغة.

فمن أقيسته بناء المنادى على الضم على بناء (قبلُ) و(بعدُ) على الضم في حالة إفرادهما وعدم تنوينهما ونصبه على حالة نصبهما [٢]، وجزم (إنْ) الفعل على جزم جواب الأمر [٣]. وهكذا كما سيمر بنا.

وكتاب سيبويه مليء بمعالجة العدول عن القياس العقلي المنطقي المجرّد نقلاً عن شيخه الخليل، الذي كان سيبويه يسأله عنه فيفسره في ضوء نظام العربية رابطاً إياه بالمعنى ذلك أن هذا النظام من خلال اتساعه يستوعب المعاني المختلفة ولاسيما الدقيقة منها التي اختصّ بها كتاب الله تعالى. وهي ملامح أسلوبية تنطلق من حقيقة العربية ونظامها ويعد ذلك أهم تفسير للعدول أسلوبياً.

قال سيبويه: (هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جواباً لأمر أو نهي أو استفهام أو تمنٍ أو عرضٍ) نحو (أتني أتِكَ، لا تفعلْ يكنْ خيراً لك، ألا تأتني

---

(١) الكتاب١/ ٩٦ وينظر١/١٢٢، ١٨٢، ٣/٢٧٨، ٣٢٠. والأصول١/٩٣والخصائص١/١١٠.

(٢) كتاب سيبويه ١٩٩/٢.

(٣) نفسه ٦٢/٣ وينظر ٣٧٤/٣.

أحدِثْك، أين تكن أزرْكَ، ألا ماءَ أشرْبهُ، ليته عندنا يُحدِّثنا، ألا تنزل تُصِبْ خيراً).

قال الخليل: "كلها فيها معنى (إنْ) فلذلك انجزم الجواب." ومما ورد منه في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ (سورة الصف: ١٠ - ١١) فلما انقضت الآية قال: (يغفر لكم)..." [١].

إن للدلالة نظاماً مبنياً على أصول وفروع تناوله البلاغيون في علم البيان: فهي أما خبر أو إنشاء، أي طلب ثم تتفرع على المعاني المختلفة: استفهام وأمر ونداء وغيرها ثم تتركب مع غيرها من المعاني وتتداخل. ونظام العربية خير من يعبر عنها لأنه يتوسع بحسب تركيب المعاني وتشعبها فيعبر عن الشرط مثلاً بالأداة (إنْ) ثم تحمل عليها أدوات وأساليب أخرى للتعبير عن معاني إضافية فضلاً عن معنى (الشرط). كاجتماع الأمر والشرط في الجملة الأولى والنهي والشرط في الثانية والعرض والشرط في الثالثة والاستفهام الشرط في الرابعة وهكذا.

قال ابن جني: " من عادة العرب أنّهم يؤثرون التجانس والتشابه فلذلك حملوا الفرع على الأصل وردّه إليه، فمن ذلك حمل النصب على الجر في التثنية والجمع الذي على حدّه ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حدّه، فأعطوا الرفع في التثنية الألف والرفع في الجمع الواو، والجر فيهما الياء، وبقي النصب..." [٢]، فحملوه على الجر.

ومن ذلك حمل النصب على الجر في جمع المؤنث السالم نحو: (رأيت الهنداتِ)، مع قدرتهم على فتح التاء " فدلّ دخولهم تحت هذا، مع أن الحال لا تضطر إليه على إيثارهم واستحبابهم حمل الفرع على الأصل [٣].

قال ابن السراج: "وكثيراً ما يعملون الشيء عمل الشيء إذا أشبهه في اللفظ

---

(١) الكتاب ٩٨/٣.

(٢) الخصائص ١١١/١، ٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه.

وإن لم يكن مثله" [١].

ومنه توكيد الفعل المضارع بعد (لا) النافية حملاً على لفظ (لا) الناهية [٢]. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٥)، ويعملون الشيء عمل الآخر للشبه المعنوي كأعمال (ما) عمل (ليس) لاشتراكهما في النفي، وحمل (أنْ) الناصبة على (ما) المصدرية في الإهمال، ولأنهما تكونان مع الفعل بعدهما بمنزلة المصدر، كما أن (ما) تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر. وحمل (إنَّ) وأخواتها على (الفعل) في العمل، لشبههما في اللفظ والمعنى والبناء على الفتح واقتضائهما الاسم [٣].

وغير ذلك الكثير مما ذكرته كتب النحو ولاسيما المتأخرة منها وكتب أصول النحو. مما أخذه النحاة المعاصرون عليهم ولاسيما أصحاب التيسير النحوي وعدّوه جدلاً ومنطقاً ينبغي رفعه من النحو، لكنه هو الذي ينبغي دراسة العربية في ضوئه لأنه يكشف لنا عن نظامها الدقيق ويفسّر لنا ظواهر لغوية كثيرة اختلف فيها النحاة كما سيمر بنا في باب (الحمل على المعنى).

يمكننا تلخيص أرضية التفكير النحوي عند النحاة بأنهم قاسوا المنصوبات على المفعول به، والمرفوعات على الفاعل، والضمير في البناء على الحروف لشبهه في قلة الحروف. والتوابع على المجاورة لما قبلها بسبب، والأسماء العاملة على الأفعال والممنوع من الصرف على الأفعال [٤].

هذا الذي ينبغي الالتفات إليه في الدرس النحوي العربي ذلك أنه مرتبط بحقيقة اللغة العربية ونظامها الذي يرجع إلى أصول ثم تتوسع في داخله، وهو مطّردٌ في النصّ القرآني.

وليس العربية مبنية على المشابهة الشكلية إنما على نظام دقيق بعضه واضح

---

(١) الأصول ١/٩٣.

(٢) ينظر: الخصائص ١/١١ ومغني اللهيب ٢/٤٧٦.

(٣) ينظر: الإنصاف م٧٧ ص٢/ ٥٦٣، و٤٨٤، ٦٢٧، والحمل على المعنى في العربية ٧.

(٤) ينظر: أطلس النحو العربي، عباس المناصرة ٣٢.

جلي وكثير منه خفي لا يستنبطه إلا العلماء كونه أسرار العربية، وبعضه يبدو لنا عدولاً عن القياس النحوي وانحرافاً إلا أنه يقع في داخل النظام اللغوي للعربية نفسه ولكنه يحتاج إلى تدبر وقد ورد في النص القرآني الكثير منه للتعبير عن معانٍ دقيقة لا تؤدى بالكلام المباشر.

ولابد له من داعٍ يدعو إليه وهو التوسع في اللغة وفي المعنى بحيث تتسع العربية لتؤدي أي معنىً كالمعاني المطلقة الإلهية. ويضيق فيعبر به العامة وبين ذلك درجات تلبي حاجة المبدع للتعبير عن تجربته النفسية بالمعاني المباشرة والمعاني الثانية وظلال المعاني من خلال استعمال فني إبداعي داخل النظام نفسه الذي هو مبني على المشابهة في كل مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية. فالمستوى النحوي مثل:

المحمول عليه	المحمول	السبب	الحكم
اسم الفاعل	الفعل المضارع	الشبه اللفظي من حيث عدد الحروف والإعراب والإسناد	الرفع
الحرف	الحرف	قلة الحروف	البناء
ما النافية	ليس	النفي	البناء
الفعل	إنّ المشبّه بالفعل	الشبه اللفظي واقتضاء الاسم	البناء
الفاعل	النائب عن الفاعل	الإسناد	الرفع

وقد ذكر النحاة ضروباً من القياس من هذا النوع يمكننا تتبعها في النحو كله.. وليس غرضنا الاستقصاء بل الاستدلال فإن ما يدل على التشابه في النحو ومسائله واقيسته في اقوال النحاة وخلافاتهم كثيرة كقول الكوفيين " ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول ". وقولهم بالتقريب وهو أن يعمل اسم الإشارة عمل كان وغير ذلك كثير [1].

(١) ينظر: مجالس ثعلب ٤٣/١ الإنصاف، مسألة ٢٣ ص١٨٥/١.

إلا أن مناهج المتأخرين والمعاصرين نأَتْ في دراسة العربية عن هذا النظام.

أما المتأخرون فقد أسرفوا فيه لأدنى مشابهة، وفلسفوه وتناولوه تناولاً عقلياً لا فنياً أسلوبياً، ومزجوه بالمنطق الأرسطي فانحرفوا عمّا كان الأوائل عليه، وغالوا فيه وصار جزءاً من علم الجدل الذي اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً وتناولوه في جدلهم وعللهم تناولاً منطقياً فانحرفوا عن حقيقته التي تكشف لنا عن أساليب العربية الفنية الدقيقة الجميلة.

فكانت العلل لديهم: علة شبه وعلة طرد، واختلفوا في حجية التعليل، وذكروا قوادح للعلة كثيرة أي أموراً تبطلها نحو: النقض وتخلف العكس، وعدم التأثير، والقول بالموجب وفساد الاعتبار، وفساد الوضع وهلم جرّا مما لا جدوى فيه [1].

لقد تناولوا النظام اللغوي الجميل تناولاً عقلياً منطقياً افقدوا روحه وحقيقته، على شكل أركان: مقيس ومقيس عليه أو أصل وفرع وعله جامعة سبب المشابهة والحكم الذي هو وجه الشبه وفرّعوا الأخيرين فروعاً كثيرة، واشترطوا للمقيس عليه والمقيس شروطاً عقلية متأثرين بذلك بالمنطق الأرسطي.

وبعضهم كان تناوله أما جزئياً، أو مشتتاً هنا وهناك، أو مختلطاً مع المنطق الأرسطي أو دراسته دراسة غير مباشرة على وفق مناهج وأسس لا تبنى على النظام العام كما في كتب الإعجاز وأساليب القرآن. وفي كتب أصول النحو كتجريد القياس.

فمن تناولهم الجزئي المشتت لنظام العربية في البلاغة باب الحمل على المعنى وفروعه الكثيرة، أما في النحو فتناولوه من خلال ظاهرة النيابة النحوية والتناوب والتضمين وغير ذلك. وظاهرة النيابة النحوية باب واسع يشمل ظواهر لغوية كثيرة بمستويات مختلفة فضلاً عن تداخلها مع الظواهر الأخرى من غير حدود فاصلة واضحة فهي مشتتة في أبواب المجاز والاتساع والحمل على المعنى.

وقد توسع الدكتور هادي نهر بهذه الظاهرة لتشمل كل مستويات اللغة

---

(١) ينظر: لمع الأدلة ٥٨-٦٣ والأغراب في جدل الإعراب ٦٠ والاقتراح ١٥، والقياس في النحو، الزبيدي ٣٢.

وظواهرها وجعلها بديلاً من نظام العربية الذي نعنى به. قال: "نحن نألف هذه الظاهرة شاخصة في المستويات اللغوية كافة صرفاً ونحواً ودلالةً، فهي في الدرس الصرفي تستأثر بنصيب كبير في أبنية المصادر وأنواع المشتقات وجموع التكسير وموضوعات النسب والتصغير والتثنية والجمع وغير ذلك" [١].

وقال في الدرس النحوي قلما نجد باباً من أبوب النحو يخلو من ذكر النيابة أو ما اختلط بها وتداخل منها مصطلحات متعددة أمثال: العوض، التعويض، والبدل، الساد مسدّه والقائم مقامه، والاستغناء والتعاقب والإبدال والحمل والتأويل والإيجاز والاختصار والحذف والاتساع والتجوز والمجاز وغيرها ثم تناول أبواب النحو والصرف في ضوء النيابة متوسعاً بها كنيابة الحروف عن الأفعال والأسماء نحو: يا عبد الله، تنوب عن ادعوا أو أنادي لدى النحاة و(إلاّ) تنوب عن الفعل (أستثني) و(الواو) عن (أعطف) وليت عن (أتمنى) و(هل) عن (استفهم) و(ما) عن (انفي) وغير ذلك. ونيابة الحروف عن الأسماء كنيابة (عن) عن جانب و(على) عن فوق و(إلا) عن (غير). وفي باب المرفوعات، كنيابة المبتدأ عن الفعل ونيابة المصدر عن الذات الواقع خبراً أو نيابة الحال عن الخبر، ونائب الفاعل، والنيابة في الموصولات الاسمية، وفي باب المصدر وهو باب واسع وفروع كثيرة والنيابة في باب المفعول فيه والمضاف إليه عن المضاف ونيابة الجمل، والنيابة في الأفعال، كالاسم عن الفعل واسم الفعل عن الفعل وغير ذلك متوسعاً بذلك ومعتمداً على تأويلات النحاة وتقديراتهم وفلسفتهم وشواهدهم المؤولة كنيابة (الحمد لله) عن (أحمد الله)، وهو موضوع نحوي وليس أسلوبياً كما في تناوب حروف الجر بعضها عن بعض الذي ردّها متابعاً للبصريين، والقول بتضمين الفعل معنى فعل آخر كما سيمر بنا [٢].

أمّا خلطه بالمنطق وأصول الفقه فبمباحثهم في أصول النحو كالجواز والتقدير وتجريد القياس واستصحاب الحال، ونظرية العامل، وركزوا على النظام الإعرابي خاصة لكونه أظهرها وهو جزء من النظام العام للعربية تابع له يعضده

(١) النيابة النحوية في القرآن الكريم وأنماطها ودلالاتها ١٥-١٩.

(٢) النيابة النحوية ٧٤. وينظر: إعراب القرآن، الدرويش ٣/ ٣١٦.

وقولهم بالإعراب المحلي والمقدّر، إذ قالوا بسريان النظام الإعرابي وأثر العوامل وإن لم تظهر الحركة الإعرابية فيقدروها.

وتقدير العوامل، ونيابة بعضها عن بعض كنيابة (لو) عن الفعل و(يا) عن (أدعو) في النداء، ونيابة الجملة الفعلية عن الخبر وغيرها مما هو كثير ومقيس ومما يعدّ بعضه عدولاً عن أقيستهم النحوية وغيره [١].

وقد ذكر أبو البركات في ما نقله من أصول الفقه إلى أصول النحو: (استصحاب الحال) فقد جمع أقوال النحاة مما يتصل بهذا النظام مختلطاً بالمنطق نحو قولهم: الأصل في الأسماء أن لا تعمل وأصل العمل للأفعال، والأصل في الجزاء أن يكون بالحرف، والأصل في الأسماء التنكير والجمع فرع على الواحد، والأصل في الأسماء الصرف، والأصل في الأفعال البناء، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وأصل كان الناقصة التمام، والأصل في الفعل الدلالة على الحدث والزمان [٢].

وغير ذلك مما جمعه من كتب المتقدمين [٣] ويدل على النظام والتشابه الأسلوبي في العربية إلا أنه ورد مختلطاً بالمنطق وعلم الجدل.

ومنه قولهم الحمل على الضد والنقيض وحمل الأصل على الفرع، أي حملاً معكوساً وقد يدل على مرونة نظام العربية وكثرة مداخله وإن كان معكوساً، ومن الأصول النحوية التي ذكروها: "الحمل على ماله نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير". و(الحمل على أحسن القبيحين) و(الحمل على الأكثر أولى من الحمل على الأقل). و(الحمل على الظاهر) و(الحمل على أحسن الوجوه)... وغير ذلك [٤].

---

(١) ينظر: النيابة النحوية، د. هادي نهر ٩.

(٢) ينظر: الإنصاف، المسائل ٥، ١١، ١٨، ٢٢، ٩١، ١٠٦، ١١٦، ص١/ ٤٦، ٧٨، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ٦٤٤/٢، ٧٣٥، ٨٠٧، ٨٢٦، وغيرها. وارتقاء السيادة في علم أصول النحو ٥٧.

(٣) كتاب سيبويه ١٤٢/١، ٢٧٦/٤٢، المقتضب ١٤٢/١، الأصول لابن السراج ٥٠/١، ١٢٣.

(٤) ينظر: الخصائص ٢٥٩، ٤٤٠، ٤٦٦، ٧٧/٣. والأشباه والنظائر ١/ ١٣٨، ١٧٩، ١٩٨، ٢٠٢، ٣١١، ٣٢١. والحمل على المعنى في العربية ٧. والحمل على النقيض في

وتناولوه بمناهج مختلفة وأسامي مغايره نحو: (خلع الأدلة) ويريدون به تجريدها من المعاني المعروفة لها وإرادة معان أخر لها كخلع أدلة تعريف (أل) في نداء لفظ الجلالة [١]. ونحو باب (السلب) أي سلب معنى الفعل وسلب معاني أسماء الاستفهام والشرط في (كم ومن وأي وغيرها) [٢].

و (تقارض اللفظين) [٣] كإعطاء (غير) حكم (إلا) في الاستثناء بها، وإعطاء (إلا) حكم غير في الوصف بها. وإعطاء (إذا) حكم (متى) في الجزم بها وإهمال (متى) حملاً على (إذا)، وإعطاء (ما) النافية حكم (ليس) في الاعمال، واعطاء (ليس) حكم (ما) في الاهمال عند انتقاض النفي بـ (إلاّ) كقولهم: (ليس الطيب إلا المسك) وإعطاء الفاعل إعراب المفعول وعكسه كقولهم (خرق الثوبُ المسمارَ)، ومنها تناوب حروف الجر وهو باب واسع سنفرد له مبحثاً إن شاء الله.

ومنه ما يدخل في الخلافات النحوية بين المذهبين البصري والكوفي نحو (الحمل على أحسن القبيحين)، قال ابن جني: "وذلك أنَّ تَحضُرَك الحال إلى ضرورتين لا بدّ من ارتكاب إحداهما، فينبغي حينئذٍ أن تحمل على أقربهما وأقلهما فحشاً نحو (هذا قائماً رجل) و(فيها قائماً رجلٌ) فإما ترفع (قائماً) فيتقدم الصفة على الموصوف، وهذا غير جائز، وإما أن تنصبه على الحال من النكرة وهذا قبيح لكنه جائز، فعملنا على أحسن القبيحين" [٤].وهو رأي سيبويه خلافاً للكوفيين [٥].

ومنه (حمل الأصول على الفروع) كاستواء النصب والجر في المظهر نحو: (رأيت الزيدين ومررت بالزيدين). ومنه حذف حرف العلة في الجزم وهي أصول حملاً على حذف الحركات وهي زوائد نحو (لم يخشَ) و(لم يذهبْ)، وحمل الجر على النصب في الممنوع من الصرف إذ الأصل أن يُجر الممنوع من

=

الاستعمال العربي ٣٣٧.

(١) الخصائص ١/ ١٨١ والأشباه والنظائر ٢٠٢/١.

(٢) الخصائص ٣ /٧٧.

(٣) مغني اللبيب ٥١٧/٢-٥٢١.

(٤) الخصائص ١/ ٢١٢، والأشباه والنظائر ٣٨/١.

(٥) الكتاب ٢٧٨/١، ومجالس ثعلب ٤٣/١.

الـصرف لكـن الجـر حمـل علـى النـصب فنـصب فـي حالـة الجـر [١]. ومـنه مـا سـمّوه (بالاستغناء) كاستغنائهم عـن تثنية (سواء) بتثنية (سيّ) فقالوا: (سيان) ولـم يقولوا (سواءان) [٢].

وغير ذلك مما شوّه نظام العربية وانحرف به إلى درس جافٍ يفقد جمال العربية وحيويتها ويفقد أسرارها وإعجازها.

وكان ابن جني مسؤولاً عن هذا المنهج في تناول نظام العربية تناولاً عقلياً منطقياً أفقدها جمالها وأسرارها الأسلوبية. ولاسيما في كتابه (الخصائص). وخلط بين لغة القرآن التي استعملت هذا النظام استعمالاً دقيقاً وبين القراءات القرآنية واللهجات ولاسيما الشواذ منها والضرورات الشعرية، وعدّها كلها مستوى لغوياً واحداً. ومن جاء بعده بنى على دراساته العقلية فكثرت التعليلات والتأويلات المنطقية وابتعدوا كثيراً عن نظام اللغة العربية، إذ كان يستشهد كثيراً للنّص القرآني بالضرورات واللهجات والانحرافات اللغوية [٣].

أما التناول الجزئي فكاهتمامهم بالنظام الإعرابي وتغليبه على أنظمة العربية الأخرى كالنظام اللغوي والبلاغي، ولاسيما لدى المتأخرين من النحاة كابن هشام والسيوطي وغيرهما.

ومنهم من اهتم بما سمّوه بـ (الكليات في النحو) وهو مصطلح أقرب إلى المنطق اللغوي لا الواقع الاستعمالي، نحو قولهم: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب وكل مضاف مجرور (لفظاً أو تقديراً) وهكذا، وإن كانت طريقة ميسرة في التعليم في إعطاء قواعد كلية شاملة مطّردة، وتدل على الاستقصاء والشمول والإحصاء والتتبع الدقيق ثم الاستنباط، لكنها لا تطرد مع نظام العربية دائماً ولا تستمر كما سنرى في النظام الإبداعي (البلاغي). وقد ذكر الكفوي مئات القواعد الكلية ولاسيما في آخر كتابه (الكليات في النحو) [٤]، وكان الأخفش الأوسط سعيد

---

(١) الخصائص ١/ ٣١٠، ٣٠٦.

(٢) الأشباه والنظائر ١/٣١٠، ٣٠٦.

(٣) ذكرنا تفصيلات عن ذلك في بحثنا (المخطوط): (الطعن الخفي لدى ابن جني).

(٤) ينظر: الكليات ٢٠٣.

ابن مسعدة استعملها في بحوثه القرآنية فتوصل إلى قواعد كلية عرف بها نحو كل شيء في القرآن قوله (حقاً) انما هو (أحق ذلك حقاً). وكل ما كان بدلاً من اللفظ بالفعل فهو نصب بذلك الفعل، وكل شيء بعد القول فهو حكاية، وكل شيء في القرآن (أو) فللتخيير إلا قوله تعالى: (أن يُقَّتلوا أو يصَّلبوا) [١]، وغير ذلك.

ومن التناول الجزئي لهذا النظام ما تناوله علماء الإعجاز القرآني الذين تناولوا النظم القرآني وأساليبه كالخطابي والباقلاتي والقاضي عبد الجبار لإثبات وجه الإعجاز بنظمه والذي استوت لدى عبد القاهر الجرجاني نظرية مشهورة مازالت، تكشف عن جوانب هذا النظام وليست كله ولاسيما إنهم انطلقوا من البحث في وجه إعجاز القرآن من ردّ المطاعن التي كانت توجه لأسلوب القرآن ولغته ولم تكن غايتهم دراسة هذا النظام اللغوي وربطه بالنظام القرآني وقد ولد منها علم المعاني الذي يفترض خروقات النظام المنطقي العقلي وليس النظام للواقع ألاستعمالي كالتقديم والتأخير والتنكير والتعريف والذكر والحذف وغيرها من المباحث التي عدّوها أساس علم المعاني والحق أن النظام البياني أو البلاغي للغة العربية هو نفسه النظام النحوي إلا أنه يوّلد تراكيب جديدة وأساليب في ضوء النظام نفسه كما سنرى.

وهذا التناول الجزئي أيضا تناولته كتب نحوية ولغوية وصرفية مختلفة نحو الجمهرة لابن دريد وما تناوله من اشتقاق أسماء القبائل وردها إلى أصولها أي النظام اللغوي [٢]. وتأثر ابن فارس به في معجمه (مقاييس اللغة) الذي أرجع المواد اللغوية إلى معنى مشترك، قال "إنّ للغة العرب قياساً وإن العرب تشقّ بعض كلامها من بعض" [٣]. وقال في مقدمة معجمه المذكور: "إن للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يُعربوا في

---

(١) ينظر: منهج الأخفش الأوسط، الورد ٣٣٤-٣٦٤، وتاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب ١٤٢.

(٢) ينظر: الجمهرة ٢٣.

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٣٩.

شيء عن ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس ولا أصل من الأصول، والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدّرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عمّا يَسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه" [١].

وإن كان ما ذكرناه لدى النحاة من تناول جزئي للنظام وخلطه بالمنطق، يعدّ دلائل واضحة على النظام الذي اختصت به العربية، إلا أن المعاصرين قد أهملوا هذا النظام عن قصدٍ وغير قصد لأسباب مختلفة، منهم لاعتماده وبنائه على المتأخرين من غير تحقيق وتدبر وملاحظة دقيقة ومعالجة جذرية لدراساتهم والتحقق منها، وكان المتأخرون بنوا دراساتهم على مناهج الدرس النحوي والدراسة الشكلية للنص القرآني في دراسات القرن الرابع الهجري ولاسيما كتب ابن جني التي خلطت بين نظام العربية والعلوم العقلية وأصول الفقه.

ومنهم من تأثر بالمناهج الغربية ودراساتهم اللغوية التي استنبطوها من واقع لغوي وأنظمة لغوية تختلف اختلافاً كبيراً عن نظام اللغة العربية الذي نزل به القرآن الكريم، وإن التقت في الأطر العامة كون العربية لغة إنسانية وقد أثرت وتأثرت باللغات الأخرى في تاريخها الطويل.

فقد أخذ جلّ المعاصرين مآخذ كثيرة على الموروث النحوي ولاسيما على أقوالهم التي تتصل بنظام العربية كقياس العلة واستصحاب الحال ونظرية العامل والتعليل النحوي [٢].

وبعضهم دعا إلى إهمالها لأنها سببٌ في تعسير النحو والخروج به عن جادته العلمية الرصينة لكنهم لم يقدّموا بديلاً نحوياً يبنى على نظام العربية مرتبطاً بالنظام القرآني حتى أولئك الذين دعوا إلى (النحو القرآني) [٣].

---

(١) مقاييس اللغة ١/١.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير: ٩٣ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه: ٦٩.

لذلك ارتفعت اليوم أصواتٌ ما كان لها أن ترتفع لولا الانحرافات القديمة والمعاصرة في الدراسات النحوية وعدم بناء نحو جديد يقوم على هذا النظام فدعوا إلى هدم النحو واستباحوا حرمة سيبويه وشيوخه الذين حاولوا بناء النحو على وفق نظام العربية [١].

(١) نحو كتاب (جناية سيبويه) وكتاب نظرية (النحو العربي) د. كمال شاهين وغيرهما.

الفصل الثاني

النظام البلاغي (أساليب العدول)

استقرّ مفهوم البلاغة لدى المتأخرين بأنها "العلم الذي يبحث في تركيب الكلام وصوره البيانية من تشبيه ومجاز وكناية ومحسناته اللفظية والمعنوية" [١].

وعرفها بعض المعاصرين بأنها: "العلم الباحث عن القواعد التي تصيّر الكلام دالاً على جميع المراد" [٢] وهو تعريف أقرب إلى فهم المتقدمين للبلاغة.

قال ابن وهب الكاتب: "حدُّها عندنا: القولُ المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام، وفصاحة اللسان" [٣].

وقد أطلق بعض المعاصرين عليها أسامي مختلفة منها: (فن القول) و(فن التأليف الأدبي) و(علم الأساليب).

إنّ مباحث البلاغة والنحو واللغة والتفسير والنقد وغيرها، ولدت مختلطة ولاسيما في كتب المتقدمين كسيبويه والفراء والمبرد وثعلب وابن قتيبه [٤].

واستحالت لدى المتأخرين كالسكاكي والتفتزاني وغيرهما منطقاً وقواعد معيارية واستقرت على ثلاثة علوم متباعدة: أحدها أقرب إلى علم النحو وهو علم المعاني والآخر أقرب إلى علم الدلالة تناولوا فيه الحقيقة والمجاز وطرائق أداء المعنى، وهو علم البيان. وآخر يجمع بينهما وغيرهما من ظواهر تتصل باللفظ وبالمعنى سموها محسنات لفظية ومعنوية. وهو علم البديع.

أخذ المعاصرون على البلاغيين المتأخرين بعض المآخذ أهمها فصلهم بين علم المعاني وعلم النحو وكانا علماً واحداً مما اضرَّ بالعلمين كلاهما وأدى إلى

---

(١) البحث البلاغي عند العرب ٩.

(٢) موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور ٣.

(٣) البرهان في وجوه البيان ١٦٣.

(٤) ينظر: تاريخ النقد الأدبي، د. إحسان عباس ١٠٢، ودلالة الإعراب ٢٠٦-٢٣٨.

صعوبة النحو وتعسيره [١].

والحق أن العلمين مختلفان منهجاً وغرضاً وإن اتصل بعضهما بالأخر، وقد أدرك البلاغيون ذلك، وكان الواحد منهم إذا صنّف كتاباً في النحو التزم بمنهج علم النحو كما فعل الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (المقتصد في شرح الإيضاح) مع تقدّمه بعلم البلاغة ومنهجه في كتبه البلاغية.

يهتم البلاغيون بالمعنى وظلاله أو المعاني الثانية وأسرار البيان القرآني والقيم التعبيرية للألفاظ والتراكيب. وبالعدول فيهما، إلا أنهم اتخذوا مقاييس علم النحو أنموذجاً وأصلاً يقيسون عليه العدول. وهي مقاييس منطقية في الغالب.

وقد تنبه بعضهم إلى ذلك، كابن الأثير الذي كان يهوّن من شأن النحو في شروط الفصاحة والبلاغة [٢]. ويميّز بين القياس والنحو والاستعمال القرآني. قال: "لكني رفضت القياس (النحوي)، وقدّمت ما استعمل في الكتاب العزيز" [٣].

وقال ابن أبي الحديد: "غيرَ أن الكتاب العزيز أحق أن يُتَّبع فيقاس عليه، فوجب ترك القياس" [٤].

ونقل الزركشي –عن بعضهم– قوله: " وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو الفقه كان من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان" [٥].

إلا أن المتأخرين عدّوا الخروج عن القياس النحوي ومقتضى الظاهر من أسباب قوادح البلاغة والغموض والتعقيد اللفظي والمعنوي [٦]، وقد التمس الدكتور تمام حسن العذر لهم بقوله: "إنّ من الغريب أن يجعل البلاغيون من

---

(١) ينظر: نحو المعاني ٥-٧ وأثر النحاة في البحث البلاغي ١٠، والتراكيب النحوية، لاشين ٥، ودراسات في اللغة والنحو ٦٧.

(٢) ينظر: المثل السائر ١/ ٢٨٧، وينظر: النقد اللغوي، عزاوي ١٧٠، وتأملات في اللغة والنحو ٩.

(٣) المثل السائر ٤/٢٤٣.

(٤) الفلك الدائر، ضمن كتاب (المثل السائر) ٤/٢٣٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٢٤.

(٦) علوم البلاغة، المراغي ١٤٠.

عناصر فصاحة اللفظ عدم مخالفة القياس. ولعل التماس العذر للبلاغيين من هذا التجاوز الظاهري أن يقال: إن القياس الذي قصده البلاغيون غير القياس الذي تكلم عنه النحاة، فقياس البلاغيين قياس المتأخرين على كلام المتقدمين، أما قياس النحويين فهو قياس ما ورد في التراث مما لم يسمع على ما ورد في التراث مما سمع، فالمقيس عند النحاة من الفصيح، والمقيس عند البلاغيين من أدب المتأخرين" [١].

ومهما يكن من أمر فإن موقف البلاغيين مضطرب من اتخاذ النحو أصلاً يقيسون عليه بلاغة الكلام وفصاحته، فقد اشترط جلّهم لشروط فصاحة الكلام أن تكون جارية على العرف النحوي في تأليف الكلام [٢]. ومنهم ابن الأثير على الرغم من رأيه السابق فهو له أكثر من رأي في هذا الأمر [٣].

أما عبد القاهر الجرجاني الذي أقام نظريته (نظرية النظم) على توخي معاني النحو، والذي رأى النظم هو وجه الإعجاز القرآني وأسرار البلاغة "أن تقع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو".

وقال: "فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتّصل بباب من أبوابه" [٤].

ورأى الزهد في النحو والتهاون به من العيوب الكبيرة في الفصاحة والبلاغة، وشبهه بالصدّ عن كتاب الله تعالى وعن معرفة معانيه [٥].

التفسير البلاغي للعدول:

اقتبس البلاغيون أصلاً نموذجاً (معياراً)، من المنهج النحوي يقيسون عليه العدول، وهو أن الأصل في كل جملة أن يكون لها ركنان أساسيان: (مسند ومسند

---

(١) الأصول ٣١٤.

(٢) ينظر: سر الفصاحة ٨٧، ٩٧ والفلك الدائر ٤/ ٣٩.

(٣) ينظر: الجامع الكبير ٧-١٢.

(٤) دلائل الإعجاز ٥٥.

(٥) أسرار البلاغة ٥٠ وينظر: دلائل الإعجاز ٥، ٢١، ٤٦. والتراكيب النحوية، لاشين ٤-٥، وعلم المعاني – طبل ٢٩.

إليه)، والأصل فيهما أن يكونا مذكورين ظاهرين لا محذوفين ولا مضمرين. وأخذوا بأصول متعلقة بالرتبة مثل: الأصل في الكلام، الرتبة المحفوظة...والأصل في المسند إليه أن يتقدم والمسند أن يتأخر. وأصل الجملة الاسمية الثبوت والجملة الفعلية التجدد وهلم جرّا.

أطلقوا عليه: (الاستعمال الأصولي) و(أصل الوضع) و (مقتضى الظاهر) وغير ذلك. وأطلقوا على الخروج عليه: (العدول عن أصل القاعدة أو أصل الوضع) [١].

يرى الدكتور تمام حسّان: إنّ الالتزام بهذا (الأصل) كان أصولياً يعتمد على القرائن. وربما لدواعٍ أدبية وذوقية ونفسية، ولإحداث تأثير معين يعدل عن الأصل فيصير (أسلوباً أدبياً) ذا تأثير. وهو عدول مقبول مستحب وذلك لأمن اللبس بتضافر القرائن وهي عنده: قرينة البنية، وقرينة الرتبة، والربط، والتضام، والإعراب، والمطابقة، والأداة، والنغمة. حيث يسمح الترّخص في إحداها أو أكثر إذا امن اللبس بتضافر القرائن الأخرى.

وضحّ ذلك بقوله: قد يجعل واحدة من القرائن زائدة على مطالب وضوح المعنى لأن غيرها يُغني عنها فيكون الترخّص بتجاهل التمسك بهذه القرينة كالترخص في رفع الثوب ونصب المسمار في قول العرب: (خرق الثوبُ المسمارَ) أغنت قرينة التضام، إلى جانب قرائن أخرى كاسمية الفاعل ورتبته متأخراً عن الفعل وغيرها لذا أمكن تجاهل دلالة الإعراب على المعنى النحوي.

واشترط للرخصة أن تكون مرهونة بمحلها فلا تصلح لأن يقاس عليها ولا تبرر بها أخطاء المحدثين. وميّز بينهما وبين الضرورة فالأولى تقع في النثر أما الثانية ففي الشعر.

وعرّف الرخصة بأنها: "تركيب الكلام على غير ما تقتضي به القاعدة اتكالاً على أمن اللبس، فإن لم يؤمن اللبس نسب الكلام إلى الخطأ لا إلى الترخص" [٢].

---

(١) الأصول ٣٥٠ وتنظر تفصيلات اخرى ص ١٣٩، ١٤٣-١٤٥ واللغة العربية مبناها ومعناها ١٩٠- ٢٣٠، واللغة العربية والحداثة ١٣٥-١٣٨ والبيان في روائع القرآن ٢٢٩/١.

(٢) البيان في روائع القرآن ١/ ١٢- ١٣، واللغة العربية مبناها ومعناها ٢٩٧.

فيعدل عن قرينة البنية عن استعمالها الأصلي بوسائل عدّه، ذكر منها عدداً من ظواهر العدول هي: النقل والتضمين وتسخير اللفظ لتوليد المعنى الأدبي بوساطة جرسه أو موقعه من الكلام- وتكرار اللفظ- والتنكير فالنقل كنقل المصدر إلى استعمالات فعل الأمر والموصولات (من ما وأي) إلى معاني الشرط والاستفهام والاسم الجامد إلى استعمال الأوصاف فيصير خبراً نحو (هذا رجلٌ) ونقل اللفظ من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي، وكتضمين الفعل اللازم معنى المتعدي والعكس واللفظ معنى لفظ آخر... وإعطاء الضمير وظيفة أخرى كالشأن...

ويعدل عن قرينة التضام وهو مصطلح قديم استعمله استعمالاً حديثاً، ويقصد بها الأصول التي جردها النحاة (الذكر، الوصل، وتجاهل الاختصاص نحوياً ومعجمياً...) وغيرها ويكون العدول عنها بـ الحذف، والفصل وفي عدم الزيادة وتجاهل الاختصاص والمجاز كالفصل بين المتلازمين والاعتراض ويقصد بتجاهل الاختصاص كالحروف بدخولها على الأسماء أو الأفعال وإضافة بعض الظروف إلى الجملة الفعلية... [١]

ويعدل عن قرينة الرتبة بالتقديم والتأخير وعن الإعراب بالجمل على الجوار والربط بالالتفات والتغليب وحذف الرابط وهكذا بقية القرائن بشرط أن يكون في أثناء الاستعمال الأدبي وامن اللبس أي الإفادة وسماه (العدول الأسلوبي) وهو الذي يقاس أي الذي جاء في عصر الاستشهاد وليس بعده سماه (الرخصة) فميّز بينهما [٢].

وعرف العدول الأسلوبي بأنه "خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطرّاد رُقيّ بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها..." [٣].

فكل قرينة من القرائن صالحة أن يترخص فيها وأن يعدل عن الاعتماد عليها أما الترخص (فمغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين

---

(١) ينظر: البيان ٢/٧٧-٩٦، ١/٢٤٩ واللغة العربية والحداثة ١٣٩-١٤٢.

(٢) البيان ٢/ ٧٦.

(٣) نفسه ٢/٧٧.

لحدث من قبيل الخطأ). وسرد أنواع العدول تحت هذا التفسير الشمولي وإن كان يحمد له غربلة التراث مقسماً ظواهر اللغة في ضوء نظرة تكاد تكون شمولية.

ذكر الدكتور تمام حسان هذه الطروحات النظرية في أغلب كتبه وبحوثه منها (التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها) وقد أشرنا إلى كتبه الأخرى في الهوامش. وطبقها على النص القرآني في كتابه (البيان في روائع القرآن). وعلى النحو والصرف في كتابه (الخلاصة)، وهو في نزوعه إلى الجديد وتأثره بمناهج العرب كان أقرب إلى الموروث وألصق به من المناهج الغربية أسلوباً وأفكاراً وطرحاً.

لقد كان الدكتور تمام حسان أكثر المعاصرين عناية بظواهر العدول. وقد تبعه كثير من المعاصرين. وقد أفنى عمره على نظرية تفسّر العدول نحوياً وبلاغياً لم تسلم من الافتراض العقلي على الرغم من نقده المنهج العقلي المعياري للنحاة والبلاغيين [١] لاعتماده على نحو المتأخرين وكتب أصول النحو (العقلية) ولاسيما كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات الأنباري، الذي أثبت البحث المعاصر عدم دقته في عرض مسائل الخلاف فضلاً عن مزجه بين النحو والمنطق والفقه والجدل وغيرها من العلوم العقلية [٢].

وتبعهم في الخلط بين مستويات اللغة: النص القرآني وقراءاته، والضرورات الشعرية، واللهجات والشواذ، وأمثلة النحاة، نحو: (خرق الثوبُ المسمارَ) و(أكل الكمثرى موسى)، والشواهد المشكوك في روايتها، بل اللغة اليومية المعاصرة أحياناً لتأثره بالمنهج الوصفي الغربي الحديث ومحاولة تطبيقه على العربية الفصحى [٣].

فهي محاولة وإن بذل جهداً محموداً بها – تكبره- إنما هي تمثل وجهة نظره، ولسنا ملزمين بالضرورة بالأخذ بها كما هي، ذلك إننا نفسر العدول في ضوء نظام العربية.

---

(١) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ٩٧، ٣٣٦، ٣٣٩.

(٢) ينظر: أبو البركات الأنباري في كتابه الإنصاف، د. محي الدين توفيق ٩٧، والإنصاف والخلاف النحوي، د. محمد خير الحلواني ٣٧.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٢، ٣٤٥.

لقد أراد د. تمام حسان من ذلك أن يجعل القرائن بديلاً من نظرية العامل للتخلص من المعيارية والشكلية وعدم الاهتمام بالمضمون والمعنى – كما يرى- [١] في الموروث البلاغي والنحوي لكنها طريقة أعسر على المتعلمين عندما طبقها في كتابه (الخلاصة النحوية).

لقد توسع الدكتور تمام حسان بالقرائن وكان البلاغيون أكثر عناية بالقرينة الحالية أو المقامية، بل عدّوا البلاغة مراعاة هذه القرينة أو ما سموّه بمراعاة مقتضى الحال أو المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال [٢]. لكن الدكتور تمام وضح هذه القرينة خير توضيح.

فالمقام عنده يضم "المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات (والخزعبلات) [٣].

إن قضية الأصل والفرع، أو استصحاب الأصل والحال هي: أصل نحوي افتراضي منطقي استعمله ابن جني – وإن لم يصرح به [٤]. وقد صرّح أبو البركات الأنباري بأنه أخذه من أصول الفقه، وهو أضعف أدلة النحو [٥]. يرى الدكتور عاطف فضل أن أبا البركات وضع هذه النظرية دون منازع وهي مسألة أصولية مطلقاً وقاعدة فقهية مطلقاً وفيها خلافات بين الفقهاء كثيرة [٦]. فقد اختلفوا في حجية (استصحاب الحال) وضعفوها وردّوها، بالنص القرآني والعقل والإجماع، والاستقراء بالأخبار [٧].

واستصحاب الحال لغةً: (طلب الصحبة) واستمرارها. أما اصطلاحاً فـ "إبقاء

---

(١) المصدر نفسه ٢٥٢-٣٤٢.

(٢) الخصائص ١/٣٨، والأشباه والنظائر ١/ ٦٣، معجم الصطلحات البلاغية ٢٤٣، واثر النحاة في البحث البلاغي ٦١.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٥٢، ٣٤٣.

(٤) ينظر: ابن جني النحوي ٣٣٠.

(٥) ينظر: الإنصاف م ١٤ ص ١١٢.

(٦) استصحاب الحال بين أصول الفقه وأصول النحو ٣٣٠.

(٧) الاستصحاب ٣، ٨٦، ٨٨.

اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل" [١].

وفي أصول الفقه: "ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاؤه في الزمن المستقبل، وهو قولهم: الأصل بقاء ما كان حتى يقوم الدليل على تغيير حاله" [٢].

فالمعنى الشرعي له هو "عدم نقض اليقين بالشك"، قال الإمام علي (كرم الله وجهه) "لا ينتقض اليقين بالشك" وقوله: "من كان على يقين فشك فليمض على يقينه فإن الشك لا ينقض اليقين"، "وإنما تنقضه بيقين آخر". وفي الأخبار: "كل شيء هو لك حلال حتى تعلم أنه حرام" [٣]، لكن ما صلة ذلك بالنحو ونظام العربية. إلا أنهم ربطوا استصحاب الحال بالمقام والحال، والصلة بينهما في النحو والفقه غير جلية إلاّ بتكلف.

فهي قضية انحرف بها أبو بركات وجعلها منطقية معيارية بحتة. فالأصل فيها أوسع مما ضيقه، حيث نلحظ نظام العربية مبنياً على أصول وفروع يحمل عليها لأن العربية ترجع إلى أصول ثابتة كما تناولنا. فيقولون مثلاً الاسم أصل للفعل والحرف وإنهما فرعان على الاسم لذا جعل التنوين دونهما ولأن الكلام لا يخلو منه دلّ على أصالته ويخلو منهما دلّ على فرعيتهما.

وإن المشتق فرع عن المشتق منه لأنه "اقتطاع فرع من أصل" [٤]. وغير ذلك، فهل يمكننا القول بأن الفعل والحرف عدول عن الأصل (الاسم) كما فسّروا العدول.

أما قولهم (أضعف الأدلة فهو ينتقض بقولهم: (أحد الأدلة المعبرة) في النص الآتي:

لقد استعمل أبو البركات الأنباري (استصحاب الحال) في الخلاف الجدلي الذي صنعه في عرض مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين كما في خلافهم في (كم) بين التركيب والإفراد. ذهب البصريون إلى أنها مركبة وحجتهم "إن الأصل

(١) الإعراب في جدل الأعراب ٤٦ ولمع الأدلة ١٤٢.

(٢) إرشاد الفحول ٢٣٧ والمستصفى من علم أصول الفقه ٢٢٣، واستصحاب الحال بين أصول الفقه وأصول النحو ٣٣٥.

(٣) الاستصحاب ٩، ٢٩، ٧، ٦١، ٨٦، ٨٨، ١٣٤، ١٦٨.

(٤) الأشباه والنظائر ١/ ٥٣، ٥٦.

هو الإفراد، وأنّ التركيب فرع، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة" [١].

إن تفسير المعاصرين للعدول – ومنهم الدكتور تمام حسان- في ضوء الأصل والفرع مأخوذ من قضية استصحاب الحال لدى المتأخرين [٢]، وهي فكرة تهمل توجهاً أساسياً لدى بعض البلاغيين ممن يستنبطون من العدول أسراراً بلاغية ودلائل إعجازية.

وقد أشار كثير من الدارسين المعاصرين إلى التفريق بين اتجاهين في البلاغة لدى القدامى: اتجاه ينزع إلى المعيارية لهدفه التعليمي يُعنى بالتحديد والتقسيم والتقليل من الشواهد الأدبية والقرآنية والاهتمام بالتعقيد تمثل بمفتاح السكاكي وتلخيصه وشروحه. واتجاه أدبي يعتمد على الذوق والتحليل الفني والجمالي للنصوص تمثل بالإمام عبد القاهر والزمخشري ومن تبعهم ومنهم بعض المعاصرين كسيد قطب والرافعي والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وغيرهم.

وجعلها الدكتور أحمد مطلوب ثلاثة مناهج أو مدارس بحسب أقاليم واسعة في القرن السادس الهجري: خوارزم والمناطق المجاورة لها، والمنطقة العربية (العراق والشام ومصر) و(المغرب والأندلس).

ثم عاد فاختزلها في مدرستين: كلامية فلسفية، وأدبية ذوقية ونسب الأولى إلى الأعاجم والثانية إلى العرب، وهو تقسيم جغرافي غير دقيق فقد نسب الزمخشري صاحب الذوق إلى المدرسة الفلسفية ونسب عبد القاهر إلى المدرستين، ناهيك عن عدم موضوعية هذا التقسيم [٣].

إن للعدول معنىً يسمونه أسراراً ولمحات أسلوبية ومعاني ثانية [٤]، لذلك

---

(١) الإنصاف م ٤٠ ص/ ٣٠ والتبيان ١/ ٣١٣ والاقتراح ١١٣.

(٢) ينظر: علوم البلاغة، المراغي ١٤٠.

(٣) ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن (مقدمة التحقيق) ٩-١١ والبحث البلاغي عند العرب ٥٥-٦٩.

(٤) ينظر: الأصول ٣١٢، ومناهج واراء في لغة القرآن ١٥ ومناهج تجديد، أمين الخولي ١٤٩،

أخذ الدكتور حسن طبل على ابن الصائغ تعليله ارتكاب المخالفة لأجل الفاصلة والإيقاع، من غير أن يبين معاني ذلك الذوقية والجمالية والأسرار البيانية [١].

العدول اللفظي والعدول الدلالي:

ثمة نوعان من العدول: العدول عن ظاهر اللفظ والتركيب أي في المبنى، والعدول عن ظاهر المعنى. الأول نُعنى به في هذه الدراسة، والبلاغيون والنقاد أكثر عناية بالثاني ولاسيما في علم البيان في مباحث الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة والصور البيانية [٢].

وكذلك في علم البديع فإنّ جلّ عنايتهم فيه كانت بوصف التركيب أو الأسلوب وإعطائه اصطلاحاً لغوياً يدل على معنى الأسلوب كالإيهام والاطراد والانسجام والإقتداء والاستدراك والتقسيم والتنكيت والتجريد والترويد والجمع والتفريق والقلب وما لا يستحيل بالانعكاس والموازبة والتورية والمذهب الكلامي وفصل الخطاب والتضمين والحمل على المعنى والالتفات وغيرها. وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب منها مئات مع التداخل والتكرار [٣].

فالتضمين لدى البلاغيين والنقاد [٤] دلالي يذكر ضمن السرقات الشعرية والاستعارة وسموّه أيضاً تسميطاً وتوشيحاً واقتباساً، وهو يختلف عن التضمين لدى النحاة إذ اهتمامهم به من الناحية اللفظية.

أما في علم المعاني وهو الذي اتخذ النحو منطلقاً لمباحثه في تشخيص العدول فيعني كثيراً بالعدول الدلالي. فالاستفهام والأمر والنهي والنداء وغيرها، أصول تخرج إلى معانٍ مجازية تستفاد من السياق والقرائن أي عدول دلالي. فالاستفهام مثلاً يخرج إلى أغراض مجازية منها: الاستبطاء والتعجب والنفي

=

والبلاغة الاصطلاحية، د. عبد العزيز قلقيلة، والبلاغة الأسلوبية ١٩٠-١٩٥، والإعجاز البلاغي ٤٤.

(١) ينظر: الإعجاز البلاغي ٤٤.

(٢) ينظر: البيان والتبيين ١/ ٥١ والعمدة ٢/٩٣ وتحرير التحبير ٢٥٤.

(٣) في معجميه: معجم المصطلحات البلاغية، ومعجم النقد الأدبي.

(٤) ينظر: العمدة ١/١٧١ والجامع الكبير ٢٣ والإتقان ٢/ ٤٠.

والتقرير والإنكار والتهكم والتحقير والتعظيم وغيرها.

أما مباحث الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغيرهما من مباحث علم المعاني، فقد عدّوها عدولات عن أصل مثالي مفترض ومنها نفذوا إلى ملامح جمالية وأسلوبية. والذي نراه أنها ليست عدولات إلا عن واقع لغوي مثالي مقترض لكثرتها في اللغة والعدول خروج عن المستوى المألوف وتلك تراكيب لغوية مألوفة إلا أنها تحوي ملامح أسلوبية ودلالات ثانية يعني بها البلاغي.

أي بما يستتبع التراكيب النحوية من دلالات (المعاني الثانية)، وهي سر انفعال السامع ودهشته [١] وهي أن "تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي لك ذلك المعنى إلى معنى آخر" [٢]. ويشترط لتذوق ذلك والوقوف عليه ذائقة وموهبة فنية.

والعدول الدلالي هو الانزياح لدى المعاصرين في الغالب، وقد اهتموا به أكثر من اهتمامهم بالعدول اللفظي.

ليس العدول الدلالي خروجاً عن النظام النحوي أو الصرفي كما في العدول اللفظي، كلاهما يؤدي معنى جديداً بليغاً. فإسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم: ٤) تركيب مألوف يتفق مع النظام النحوي لكنه غير مألوف من الناحية الدلالية، فالرأس لا يشتغل بالشيب، لكنّ هذا التركيب الصحيح نحوياً المعدول دلالياً أدى معنى ثانياً بليغاً واسعاً لا يؤديه التركيب المألوف من الناحية الدلالية. فهو يدل على كثرة الشيب في الرأس وسرعة انتشاره.

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٠) فقد توسع المعنى باختيار لفظه (أفرغ) وعبّرت تعبيراً فنياً بلاغياً جمالياً مؤثراً ينتبه له المتلقي لذلك أطلق الأسلوبيون على مثل ذلك منبهات أسلوبية واستجابات.

---

(١) التراكيب النحوية، لاشين ٩٢.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٠٣.

رأي في تفسير العدول

إنّ النظام (البلاغي) الأسلوبي-الإبداعي هو النظام المذكور نفسه إلا أن التوسع فيه أكثر دقة ليؤدي دلالات ومعاني بلاغية عالية ومعاني دقيقة كالحمل على المعنى وفروعه الكثيرة، أو العدول النظامي الذي يحدث داخل النظام اللغوي نفسه متصلاً به بسبب، وأكثر عدولات النص القرآني من هذا النوع بل إن جلّ العدول يفسّر في ضوء نظام العربية وأساليب توسعها في التركيب والدلالة.

إنّ العدول في النص القرآني، ليس خروجاً أو خرقاً لنظام العربية كما يرى أكثر النحاة والبلاغيين ولاسيما المعاصرون إنما هو خروج على القياس النحوي لا الواقع الاستعمالي للنصّ القرآني، إنما العدول هو نظام العربية نفسه في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية لتؤدي اللغة معاني لا تؤدى إلا في ضوء أنظمة العربية المختلفة: الصرفي والنحوي والبلاغي وغيرها وهو أحد وجوه إعجاز القرآن وسرّ التحدي للبشر عامة الذين لم يبنوا لغاتهم على نظام مطّرد معجز.

وشرط تلمس هذا النظام وبناء هيكله أن تحدد الدراسة النص القرآني نفسه أنموذجا له من غير خلطه بالمستويات اللغوية الأخرى كالقراءات والحديث الشريف الذي خضع للوضع والدس عبر تاريخ طويل، وكلام العرب من شعر ونثر وما يحوي من غريب وشاذ وضرورات ولحن وألغاز وغيرها.

يمتاز نظام عربية القرآن بالحيوية والمرونة إذ يضيق ويتّسع بحسب الحاجة والمستوى اللغوي والمخاطِب والمخاطَب ونوع الخطاب وبحسب التطور الذي تخضع له اللغات فيستوعب التطور وما يصحبه من تغير لفظي ودلالي، فيكون التطور في داخل النظام نفسه لتبقى لغة القرآن بمنأى عن التغيرات الزمانية والمكانية وتبقى الرسالة الإلهية كما أرادها الله تعالى خالدة ثابتة مع كل المتغيرات.

وكلما زاد حمل الكلام بعضه على بعض بُعداً بلغ دقةً دلالية وأدى أسرارا بيانية لا يفهما كل إنسان إلا المختصون بأسلوب القرآن وأصحاب الذائقة الفنية كالزمخشري في تفسيره الكشاف.

إن سعة المعنى وتأثره بمؤثرات مختلفة ووضوحه وخفاءه وتعقيداته وقوته وضعفه بحسب الرسالة التي يرسلها المبدع للتعبير عن تجربته النفسية وارتباطها بالمقامات والأحوال، تتطلب نظاماً لغوياً مرناً يستوعبها ويعبّر عنها خير تعبير. وللتعبير عن المعنى وسائل عديدة واللغة بأنظمتها المتركبة خير وسائل التعبير عن

المعنى، ولاسيما نظام اللغة العربية وخير دليل على ذلك أنزل الله تعالى كتابه الكريم بها لتأدية معانٍ دقيقة وأسرار إلهية، وإنشاء رسالة خالدة متحركة المعنى مع المتغيرات الزمانية والمكانية فوق الطاقة الاستيعابية للعقل الإنساني في بعض جوانبها، والمعاني الروحية السامية المطّردة مع أنظمة الكون والحقيقة المطلقة، وللتعبير عن الغيب الذي لم يطلع عليه الإنسان، المتلقي المطلق في كل العصور للرسالة الخالدة. ولا تكفي المعرفة النحوية والبلاغية المعيارية لكشف عن نظام العربية.

هذه المعاني السامية يؤديها النظام البلاغي (الإبداعي-الأسلوبي) من أنظمة العربية التي تصدر من أسس وأصول واحدة ثم يتوسع فيها من خلال حمل الألفاظ والتراكيب والدلالات بعضها على بعض وتعلقها بعضها برقاب بعض وهذا من أهم مظاهر التوسع في المعنى والتصرّف بفنون القول.

لذلك قسّم من تناول الحمل على المعنى على قسمين قسم يتصل بالصناعة النحوية والصرفية أو بالمباني والتراكيب كحمل النصب على الجر، والجمع على التثنية وغيرها. وقسم يتصل بالأساليب كالحمل على المعنى والتضمين والتناوب وغيرها [١] وهو دليل على أن نظام العربية واحد في المستويات اللغوية كلها، مطرّد لا اختلاف فيه كما أن الكتاب العزيز لا اختلاف فيه.

قال ابن جني: "واعلم أن العرب تؤثر التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل" [٢] وقال: "اعلم أنه ليس شيء يخرج من بابه إلى غيره إلا لأمر كان وهو على بابه ملاحظاً له" [٣]. وقال القزاز القيرواني: "كلام العرب أخذ بعضه برقاب بعض" [٤].

هذا النظام جعل ابن هشام في آخر كتابه المغني [٥] الذي أراد به أن يقنن

---

(١) ينظر: الحمل على المعني في العربية ٢-٧، والحمل على النقيض في الاستعمال العربي ٣٤٣.

(٢) الخصائص ١/١١٢.

(٣) المصدر نفسه٢/٣٦٠.

(٤) ما يجوز للشاعر من ضرورة ٣٦٠.

(٥) الباب الثامن ٢/ ٤٧٥.

قواعد مطردة للمعرب، يضطر إلى أن يعقد باباً يذكر فيه إحدى عشرة قاعدة تعترض قواعد الإعراب منها. "قد يعطي الشيء حكم ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما" [١] وسوف نستشهد لذلك في مبحث (العدول النظامي).

إن أنظمة العربية لتأدية المعاني الدقيقة كالموجات المائية عند سقوط حجر في الماء على شكل دوائر متشابهه متوسعة متداخلة لكنها كلها مرتبطة بالأصل المؤثر وهكذا [٢]. أنظمة تصدر عن أصل واحد متوسعة متعلقة بعضها ببعض اصواتاً وبنى وتراكيب كلها تعبر عن المعنى المطلوب تعبيراً دقيقاً، فالأصوات والحركات والسكنات والبنية والتركيب والترتيب وما يعتوره من حذف وزيادة وإعراب وغير كلها تؤدي معاني تعضد المعنى البليغ وتعطيه استمرارية كمعاني النص القرآني فالمعنى موزع بكل أجزاء أنظمة العربية.

ومهما يكن من أمر فلا يمكننا احتواء هذا النظام كله وأسراره ذلك أنه نظام مفتوح غير منته كإعجاز القرآن الذي هو مفتوح غير متناه لا تحده حدود زمانية أو مكانية، لكن دراسته تقربنا إلى فهم اللغة العربية وأسرارها وأسرار النص القرآني، ويفتح أمامنا علوماً لغوية جمّة ويفسر لنا ظواهرها الكثيرة ويقلل الخلافات ولاسيما في تفسير العدول في النّص القرآني، القديمة في ضوء القياس النحوي والحديثة الأسلوبية في ضوء نظريات الانزياح واختلافهم في اللغة المعيار له [٣] واتفاقهم على تقسيم اللغة على مستويين اللغة النفعية الإيصالية والمستوى الإبداعي الفني البلاغي [٤] ولكن من غير معايير واضحة وأسس علمية منطقية، وافتراض البلاغيين أصلاً منطقياً يقيسون عليه العدول.

إن نظام العربية في النص القرآني من الدقة والحكمة والشمول والاطّراد والمرونة وحركة معناه وحيويته وانفتاحه المستمر وما يزال، بحيث يضيق ويتسع بحسب المنشئ والرسالة ونوعها والزمان والمكان والتماسك بين أجزائه، لا يمكن

---

(١) مغني اللبيب ٤٨١/٢، وينظر ص ٤٨٣، ٤٨٩-٤١٧.

(٢) ينظر: المخطط: ٣٠.

(٣) ينظر: بنية اللغة الشعرية ٧.

(٤) نظرية اللغة في النقد ٢٧

أن يضعه الإنسان مهما بلغ من درجات الرقي العقلي، إلا عن طريق الوحي إلى الأنبياء – عليهم السلام- وهذا ما كان يؤمن به علماء العربية الأوائل كالخليل وأمثاله الذين شادوا تراثاً لغوياً نفخر به، نفيساً غاية النفاسة وأفنوا حياتهم في خدمته، وعدّوه جزءاً من العبادة. وكان بعضهم يرى أن العربية ألهمت إلهاماً لإسماعيل وإنه أول من تكلم بها [١].

ولا تنفصل لديهم اللغة العربية عن الشريعة والدين بل كلاهما واحد أو أن الشريعة والدين الإسلامي واللغة العربية (النص القرآني) أمرٌ واحد. وكان هذا أهم أصول العلماء القدامى في دراساتهم اللغوية والنحوية ممزوجة مع الشريعة والدين نفسه، قبل استقلال الدرس اللغوي وسيادة المنهج التعليمي المعياري، وانفصال اللغة عن الدين في بعض دراسات المتأخرين خاصة. فقد تلقى علماء العربية الأوائل علومهم من الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) الذين تلقوه عن الرسول ﷺ واستمر ذلك فالأزهري ألفَّ معجمه لإثبات أن اللغة هي الدين نفسه [٢] لذلك جاء كالتفسير للقرآن الكريم. قال أحد المستشرقين: "ان المعرفة التي يمكننا الحصول عليها، الخاصة بهذا اللسان وهذا الأدب لا تنفصل عملياً عن الإسلام ولسان القرآن" [٣]. إن القرآن الكريم النص السماوي الوحيد الذي نزّله الله تعالى لفظاً ومعنى وتكفل بحفظه وكان نظامه المرتبط بنظام لغته العربية ارتباطاً عضوياً أحد أسباب حفظه. فالعربية جزء من القرآن- وأعني دائماً بالعربية- النصّ القرآني. فالتلمود يشير إلى إن التوراة كانت بلغات متعددة في وقت واحد "أما النصوص الباقية من الكتب السابقة فهي مختلفة اختلافاً كبيراً بل متضاربة" [٤].

---

(١) ينظر: الزينة ٧١-٨١، ١٤٧، والبيان والتبيين ٣/ ٢٩٠ والصاحبي ٣١٢٥ وأعلام الهداية ٧/ ٢٢٤، والدراسات اللغوية عند العرب، آل ياسين ٣٦٤، والجانب الروحي في اللغة العربية ١٢.

(٢) ينظر: أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، د. عبد القادر السعدي ص٣٧١.

(٣) من القرآن إلى الفلسفة، جاك لاتقاد.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيير ٤. والغريب إن المترجم شبّه ذلك باختلاف القراءات القرآنية.

أما الإنجيل فقد أشار أحد المستشرقين إلى أنه نزل في وسط لساني شديد الاختلاط [١]. مع إقرارنا بقدسية الكتابين المقدسين إلا إن القرآن الكريم امتاز عنهما بنزوله لفظاً ومعنىً وقد تكفل الله تعالى بحفظه.

(١) ينظر: القرآن وعلم القراءة ١٠١. والجانب الروحي في اللغة العربية ٣٧.

الفصل الثالث

العدول النظامي في لغة القرآن الكريم

طرحنا في الفصلين السابقين نظام العربية تنظيراً، وفي هذا الفصل والذي بعده نحاول تطبيقه على النصّ القرآني من غير خلطه بالمستويات اللغوية الأخرى كالقراءات واللهجات والضرورات الشعرية والملاحن وغيرها ليستوي لنا التطبيق.

إنّ العدول في النصّ القرآني -في الأعم الغالب- هو خروج عن قواعد النحو وأقيسة النحاة (العقلية)، وليس خروجاً عن نظام العربية المتماسك فهو من العربية في مستوياتها الإبداعية العالية وواقعها ألاستعمالي ولاسيما في النصّ القرآني، ولا سبيل للنحاة إلى ردّه وإن خرج عن قواعدهم.

لذلك سنتناوله في قسمين:

١- العدول النظامي-الأسلوبي، في ضوء نظام العربية - لغة القرآن الكريم - الذي يحمل الكلام فيه بعضه على بعض، في المستوى البياني البلاغي. وهو نظام العربية نفسه في مستوياتها الأخرى النحوية أو الصرفية وغيرها. كأنواع الحمول الكثيرة والتناوب والتضمين والمطابقة والنقل والمجاز الاسنادي وغيرهما.

٢- العدول النحوي - الصناعي، وهو ما يبدو خروجاً على قواعد النحو بحسب المنهج العقلي التعليمي كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة وكل ما يدخل تحت باب (التقدير النحوي) لدى النحاة.

أما الأول فتناولته في هذا الفصل، وأما الثاني ففي الفصل الذي بعده.

إنّ ظواهر العدول النظامي في النصّ القرآني كثيرة، تناولها النحاة والبلاغيون بمصطلحات مختلفة في أكثر من باب، والشاهد الواحد يصلح الاستشهاد به في أكثر من باب، وذلك لمرونة نظام العربية وحيويته، وسنحاول لم شتاته وتناوله تناولاً كلياً شاملاً لا جزئياً مفرّقاً كما في كتب التراث وإن كان ذلك عسيراً ليس هيناً. كالحمل على المعنى وعلى اللفظ وعلى الموضع والعطف على التوهم وحمل المفرد والمثنى والجمع بعض على بعض والتضمين والتناوب والاتساع

والنقل وطرائق العرب في كلامها وسننها ومجازاتها وشجاعة العربية، والخروج على مقتضى الظاهر وفي أبواب نحوية وصرفية مختلفة [١]. وفي الضرورات الشعرية والملاحن والألغاز وغيرها.

المجاز:

تناول البلاغيون نظام العربية البلاغي في باب المجاز أو جعلوه بديلاً منه وتوسعوا فيه وتناولوه تناولاً عقلياً في علوم البلاغة ولاسيما علم البيان الذي خصوه به فضلاً عن فروع علمي المعاني والبديع ومسائلهما. واهتموا بالجانب الدلالي أو العدول الدلالي لذلك خصّوا به باب الاستعارة والكناية. خلافاً للفخر الرازي الذي أخرج الكناية منه [٢]. وتناولوا فيه مسائل نحوية وصرفية وبلاغية كثيرة.

انضوى المجاز لدى المعاصرين في مجمل علاقاته وأشكاله تحت مظلة الانزياح [٣]. وافترضوا له حقيقة تقابله تكون أصلا له معياراً غالباً ما تكون دلالية فالمجاز لديهم خلاف الأصل [٤]. ونحن معنيون بالعدول التركيبي.

والدليل على أنهم تناولوه كما أنه نظام العربية، اختلافهم في الحذف والتقدير والتقديم والتأخير والالتفات والتشبيه أهي من المجاز أو لا؟ وهي ظواهر لا تدل على العدول النظامي وقد ذكرناها في العدول الصناعي. ودليل آخر تناولهم اياه كالتشبيه له طرفان وبينهما علاقة وملابسة ووجه شبه ولا يكون إلا لمناسبة وقرينة كالنظام المذكور.

ولا نخوض في دلالة المجاز اللغوية والاصطلاحية، والخلافات العقلية والفقهية والمنطقية، وبوقوعه في النص القرآني [٥]، والعوامل الباعثة لدراسته في ردّ

---

(١) ينظر: مجاز القرآن١/٧، والحيوان ٥/٣٢، والصاحبي ٢٩، ٩٦، والخصائص ٢/٢٦٢، وفقه اللغة للثعالبي ٣٦، والمثل السائر ٢/١٧١ والجامع الكبير ٩٨، ١٠٥، ١٧١ والفلك الدائر ٤/ ١١٩-٢١٢ ومغني البيب ٢/ ٤٧٥، والمزهر ١/٣٣.

(٢) ينظر: نهاية الإيجاز ١٠٣، والايضاح ٢٠٣.

(٣) ينظر: الانزياح، الدرة ٤٥

(٤) ينظر: البرهان، الزركشي ٣/٣٣، ومعترك الأقران ١/ ١٦٤.

(٥) ينظر: البرهان ٢/٢٥٤، والمزهر ١/ ٣٠٤، ٣٥٥، والإتقان ٣/ ١٠٩ وتاج العروس ١/ ٢٤ وحيوية اللغة ٢٧٤.

المطاعن في النص القرآني كطعنهم في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف: ٧٧) و ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٦)، فاسند الفعل إلى غير فاعله، وغير ذلك مما أخذوا على النص القرآني [1].

وتناولوه في قسمين:

- المجاز اللغوي، أو الإفرادي أو المجاز بالمفرد، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له.

- المجاز العقلي أو التركيبي والإسنادي، وذلك أن يسند الفعل وشبهه إلى غير ما وضع له أصالة لملابسة له، أو بضرب من التأويل. وهذا الذي نعني به وهو يمثل نظام العربية في مستواها البلاغي، إلا أننا نركز على العدول التركيبي لا الدلالي. نحو ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ (محمد: ٢١)، لأن الأمر هو المعزوم عليه.

وذكروا تحتهما فروعاً كثيرة متداخلة وأقساماً دلالية ووظيفية، وخلطوا بين مستويات نظام العربية، وأنواع الاسنادي كثيرة بحسب طرفيه والمشابهة والملابسة منها، إطلاق اسم الجزء على الكل والخاص على العام والملزوم على اللازم، والمسبب على السبب وعكسها. وتسمية الشيء إلى ما كان عليه، وما يؤول إليه، والحال على المحل والعكس، وإطلاق اسم الشيء باسم آلته وباسم ضدّه، وإضافة الفعل إلى ما لا يصح فيه تشبيهاً، وإطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته، والقلب الإسنادي والتشبيهي. وإقامة صيغة مقام أخرى وأنواعه الكثيرة، والواحد على المثنى والجمع وتقليباتها، والتغليب والتضمين، والنيابة وغيرها.

مما يدل على نظام العربية، وتعلق بعضها برقاب بعض، وحمل الشيء فيها

---

(١) ينظر: مجاز القرآن ١/٥ وتأويل مشكل القرآن ١٢٣، ١٧٥، ومعترك الأقران ١/ ٢٤٦.

على الآخر مما يسمح به نظام العربية الذي يقوم على المشابهة والتعلق.

ومنه إطلاق الأمر وإرادة التهديد، وخروج الاستفهام والنهي والأمر والنداء والنفي وغيرها إلى معانٍ مجازية مما تناولوه في علم المعاني. وما تناولوه في علم البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية [١] وما تناولوه في ظواهر اللغة المختلفة ومستوياتها كالاتساع والضرورة والحذف والزيادة وغير ذلك.

وعلى طريقتهم ومنهجهم العقلي يمكن تحويل كثير من الحقيقة مجازاً لسعة منهجهم في التأويل وهو ما يسمح به نظام العربية والقرآن، فقد عدّ ابن جني كافة الأفعال مجازاً بالتأويل، قال: "إن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة" [٢].

إن سعة نظام العربية وحيويته واطرّاده الذي تناولوه في المجاز يضيف المعاني المبتكرة والإبداع في اللغة الفنية ويسعف الأديب المبدع والمعرّب في عملية إثراء اللغة وإحيائها وتطورها.

فهو حاجة للتعبير وتوسع للغة وأساليبها الجديدة والمتطورة، ففي التعبير المجازي قد يسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي تأكيداً على هذه الظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ (القمر: ١)، فالساعة لا تقترب تلقائياً، والقمر لا ينشق ذاتياً، وإنما أضيف لها الفعل لتضخم الحدث وليتجه التفكير نحوه.

فالمجاز ينقل إلى المعنى الثاني، ويحتاج إليه المبدع ولاسيما في الاستعارات الكثيرة والكنايات. قال الصغير في المجاز: إنه "خصائص فنية من وجه ومؤشرات إعجازية من وجه آخر، فهو بمفهوم غير اعتباطي خصائص أسلوبية متطورة للموروث اللغوي" [٣] إلا أن البلاغيين توسّعوا في مبررات علاقات المجاز العقلي "وتفننوا بالتقسيمات المضنية، وتعللوا بالتخريجات المنطقية تارة، والكلامية أخرى والنحوية وسواها حتى بلغوا بذلك حدّ الإفراط مما ذهب برونق هذه

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٢٧٥-٢٩٦ والبرهان للزركشي ٢/٢٥٧، ٢٧٣-٣٩٦.

(٢) الخصائص ٢/ ٤٥٦.

(٣) ينظر: مجاز القرآن، الصغير ٨٣، المجاز وأثره في الدرس اللغوي ٧.

العلاقة" [١]

واختـرعوا أسـامي نحـو: الـسببية والمـسببية والـزمانية والمكانـية والفاعلـية والمفعولية والمصدرية وغيرها من علاقات المجاز وإنما هي تابعة للذوق.

إن منهجنا يهتم بنظام العربية الذي تناوله البلاغيون مختلطاً في باب المجاز، ولم نفصّل القول في المجاز وفي ظواهره وشواهده القرآنية لأننا سنتناولها مفرقة في مباحث هذا الفصل في ضوء منهجنا في تناول نظام العربية.

الحمـل:

أوسع ظاهرة للعدول عن معايير النحو في النص القرآني وأوضحها ظاهرة حمل اللغة العربية بعضها على بعض: بنيةً وتركيباً ودلالةً وإعرابا ووظيفةً نحوية. وإلحاق بعضها ببعض وإعطاؤه حكمه ودلالته أو بنيته وإعرابه وغير ذلك. وهي ظاهرة تدل على نظام العربية وتعلق بعضها برقاب بعض ورجوعها إلى أصول واحدة ويُفسّر في ضوئها جلّ أنواع العدول في النصّ القرآني.

وهو باب واسع شامل، يندرج تحته فروع كثيرة: كالحمل على المعنى وعلى اللفظ وعلى الموضع وعلى الإعراب، والعطف على المعنى وعلى التوهم والحمل على النظير وعلى النقيض ويضم كذلك باب النقل والمطابقة بأنواعه، وخطابات القرآن، وما سمّوه بالتناسب والمشاكلة في اللفظ والمعنى، والتضمين والتناوب وغيرها من أنواع العدول الكثيرة في النصّ القرآني.

قال ابن جني: "اعلم أنّ هذا الشرْح غور من العربية بعيد، ومذهب- فسيح قد ورد به القرآن (الكريم) وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في معنى الواحد" [٢].

وقال: "وقد رأيت من هذا النحو في هذه اللغة أكثر من ألف موضع، نعم، ولعلّ الاستقراء وسَّعهُ أضعاف ذلك" [٣]. وقال: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً

---

(١) مجاز القرآن ٨٦، ٩، ١٢٨.

(٢) الخصائص ٣١١/٢، ١٣٨، ٣٧٢، ٤١٣ وسر صناعة الإعراب ١٣/١ والتنبيه ٣٤٠/١ والمحتسب ١٤٥/١.

(٣) الخصائص ٣٤٠/١.

كثيراً، لايكاد يُحاط به، ولعله لو جُمع أكثرهُ لا جميعه لجاءَ كتاباً ضخماً" [١].

وإلى مثل هذا أشار كثير من النحاة، بأنه "أكثر من أن يُحصى" [٢].

وعلى هذا ليس من اليسير إدراك جميع أشكاله وفرزه عن الخلط في دراسته والانحراف به عن نظام العربية وكثرة الاصطلاحات التي تدل عليه، وتناوله في أبواب مختلفة ومستويات: الشواذ، القراءات، الضرورات، اللحن، المجاز. وفي ضوء الأصل المفترض الذي بنوا عليه مناهجهم في الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية، فقالوا: الأصل: أن يحمل على اللفظ، وهو الأقوى والأكثر والأفصح، ولجأوا إلى التأويل فيه حفاظاً على أصل المعنى ومخالفة ظاهر اللفظ معناه وخروج الكلام على مقتضى الظاهر [٣].

قال ابن الأثير: إنه "دقيق المسلك بعيد المذهب، يحتاج إلى معاودة وزيادة تأمل" [٤].

ورأى المعاصرون إنه خاص باللغة الإبداعية وليس الإيصالية النفعية وعدّوه "أحد أساليب العربية في التعبير عن المعنى" [٥] فتناولوه في دراساتهم الأسلوبية كونه أسلوباً وانحرافاً عن الأصل لغرض معنوي خاص، وعدّوه محور البلاغة وخلاصة علم البيان، وعرّفوه بأنه "العدول بالكلام عن طريقته إلى طريقة أخرى تصرفاً في الفصاحة وتفننا في العبارة". وهو "أن يكون الكلام في معنى كلام آخر فيحمل على ذلك المعنى، أو أن يكون للكلمة معنى يخالف لفظها فتحمل على ذلك المعنى دون اللفظ" [٦] وبعضهم اكتفى بالتمثيل له. من غير ربطه بنظام العربية فضلاً عن خلطه بأنواع أخرى من ظواهر اللغة وأساليبها.

---

(١) المصدر نفسه ٢/٣٠.

(٢) الإنصاف ٢/٧٧٧.

(٣) ينظر: المقتضب ١/٢٨ والمرضي ٢/٥٥ والبرهان للزركشي ٣/٣٧٧ والأشباه والنظائر ١/ ٦٤.

(٤) الجامع الكبير ١٠٦.

(٥) ينظر: الجملة العربية والمعنى ١٠٩-١٣٤، وحيوية اللغة ٣١١، ٣١٩-٣٢٣، والحمل على المعنى في العربية ٤١، والتأويل النحوي ٢/١٢٥٩.

(٦) الحمل على المعنى في العربية ١٣.

الأصل في الكلام أن يكون محمولاً على اللفظ وهو الكثير الجاري في لغة العرب وفيه تحصل المطابقة من حيث الإعراب والإفراد والتثنية والجمع والتأنيث والتذكير وغير ذلك. والحمل على اللفظ أولى لتطابق اللفظين وتساوى معنييهما لأن العرب تختار مطابقة الألفاظ وتحرص عليها كما إنّ اللفظ أقوى لظهوره في الكلام" [1].

وفي ضوء نظام العربية يختلف تناول هذه الظاهرة اللغوية ولا حاجة للقول بالأصل والمطابقة العقلية، ذلك أن نظام العربية مبني على حمل الكلام بعضه على بعض في مستوياتها المختلفة النحوية والصرفية والبلاغية، لذلك صنفه الدكتور على العنبكي على صنفين ما يتصل منه بالقياس النحوي، الذي تناولناه بالنظام النحوي، وما يتصل بالأساليب وهو ما نعني به في هذا المبحث التطبيقي وقد تناولناه في مبحث (النظام البلاغي والأسلوبي) تنظيراً.

إنّ النظرة الكلية لظواهر اللغة في ضوء نظامها، منهج علمي رصين ينبغي الالتزام به. فالحمل إما أن يكون على دلالة البنية أو شكلها، أو على المعنى الوظيفي النحوي أو العمل النحوي، أو الإعراب وغير ذلك مما أطلقوا عليه تسميات مختلفة. وكلها مشروطة بسعة المعنى، أو إضافة معنىً ثاني، أو تقوية المعنى الأول وتأكيده أو جعله معنىً مؤثراً.

وثمة ملحوظة مهمة هي أن الحمل بأنواعه ليس عدولاً عن أقيسة اللغة والنحو، إنما يكون في اللغة المألوفة المستقيمة تركيباً أيضاً. إلا أن منهج البلاغيين ومنهم المعاصرون يعدونه عدولاً عن أصل مفترض أو عدولاً من حقيقة إلى مجاز، وجعلوا الحمل على اللفظ الأصل والأولى والأكثر والأفصح والأحسن [2] ونحن نعنى بالحمل الواضح تركيباً وكلاهما يدل على نظام العربية.

قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ (الرحمن: ٦٠)

و ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المحتسب ٢٢٨/٢ والكشاف ٧١/٢ وابن يعيش ١٤/٤ ودراسات لأسلوب القرآن ٣/ ٢٥٣-٢٧٤، ذكر شواهد الحمل على المعنى جميعها في القرآن الكريم وقراءاته.

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنعام: ٤٧) و﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٥) و ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (قّ: ١٥)، أي لم نعي، والشواهد مثلها كثيرة.

نلحظ أولاً أنها ليست عدولات كما في مفهوم البلاغيين والمعاصرين لأنها لم تخرج عن أصل القياس النحوي واللغوي ويمكننا أن نقيس عليها ونحاكيها. فهي من الكلام المألوف نحوياً، لكنها عدولات عن أصول افتراضية بحسب تفسير البلاغيين للعدول.

وهي شواهد على نظام اللغة العربية الحيوي المرن وعلى خصائص الألفاظ العربية وطواعيتها لتخدم النظام فيتسع معناها بحسب السياق الذي هو من نظامها، وعلى إمكانية تخريجها على أكثر من ظاهرة أسلوبية رصدها النحاة، وعلى إضافة المعنى الثاني البليغ المتحرك فـ (هل) و(من) و(الهمزة) صلحت أن تؤدي معنى النفي وحملت عليه لتؤدي معنىً إضافياً متحركاً بليغاً متوسعاً، منها توكيد النفي وقصر المعنى على المطلوب، وما يمكن أن يضيفه العلماء بحسب دقة ملاحظاتهم وتمرسهم بأسلوب القرآن فهي أساليب بلاغية عبّرت عن معانٍ ثانية فضلاً عن المعنى الأول المباشر.

وهذه الشواهد تصلح للاستشهاد لأكثر من ظاهرة وباب اصطلح عليها النحاة تدل على حيوية النظام وكثرة مداخله: فهي حمل على معنى النفي، وهي تناوب معنى أداة معنى أداة أخرى وقد قصره النحاة على حروف الجر، وهي من باب النقل. ومن باب المجاز، وباب الخروج عن الأصل أو مقتضى الظاهر، وخروج الاستفهام إلى معنى مجازي هو النفي كما في علم المعاني.

ومن خصائص ألفاظ العربية وأدواتها المشتركة أن تحمل على أكثر من معنىً: معناها في نفسها وفي لفظها وفي سياقها ووظيفتها النحوية، فتدل على التذكير أو التأنيث أو الإفراد أو التثنية أو الجمع بلفظ واحد كأسماء الاستفهام والشرط والموصولات وما سمّوه بالأسماء المبهمة، لأنها لا تختص بمسمى كاسم

النوع الذي يقع على الواحد من النوع وعلى الجماعة [١].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (يونس: ٤٢)، (مَنْ) لدى النحاة اسم مبهم شديد الإبهام لكثرة دلالته فهو يدل على الجمع ويقع على الواحد والاثنين والمذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل أحياناً، فيمكن أن يحمل على أي معنى منها ويمكن حمله على أدوات أخرى ينوب عنها في الاستعمال، وأكثر شواهد الحمل في القرآن الكريم في (مَنْ) [٢].

أما الحمل في الوظيفة النحوية أو الحمل على المعنى النحوي فقد أطلقوا عليه تسميات مختلفة: الحمل على الموضع والعطف على المعنى، والعطف على التوهم، والنصب على المدح والذم والرفع على الاستئناف وغير ذلك.

فلكل موضع في التركيب النحوي محل إعرابي سواء كان عاملاً أو معمولاً، ظاهراً أو مقدراً كالمنادى المفرد العلم واسم لا النافية للجنس والمبنيات والفارق بين الإعراب المحلي والتقديري والموضعي معروف.

والمقصود هنا الحمل على الموضع كرفع (الصابئون) حملاً على موضع اسم إنّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (المائدة: ٦٩)، وكان في ذلك خلاف مذهبي بين البصريين والكوفيين الذين أجازوه قبل تمام الخبر.

ويبدو هذا الحمل يكثر في التوابع ولاسيما العطف لكثرة وروده فيه لذا اهتمَّ به النحاة [٣] أكثر من غيره من التوابع. نحو (ليس زيدٌ بقائم ولا قاعداً) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ

(١) ينظر: التفصيل والشواهد: الحمل على المعنى في العربية ٧٩-١٠٦.

(٢) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن ٣/٢٥٣-٢٧٤.

(٣) كتاب سيبويه ١/ ٢٨٥ والمقتضب ٢/١١١، والأصول ٢/٦٠، والإنصاف ١/ ٨٦.

﴿ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون: ١٠)، يجزم (أكن) وهو معطوف على (أصدّق) المنصوب. وفسره الخليل بن أحمد بأن العرب تتوهم بأن المعطوف عليه مجزوماً لكثرة وروده مجزوماً في لغتهم كقولهم دخول الباء في خبر ليس لكثرة مجيئه فيها واستشهد بشواهد منها قول زهير [١]:

بدا لي أني لستُ مدركاً ما مضى ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

ثم أطلق النحاة على هذه الظاهرة اصطلاح (العطف على التوهم)، ويرى الدكتور العنبكي والدكتور الحمّوز [٢] أنّ النحاة خلطوا بين الحمل على المعنى والحمل على التوهم والحمل على المحل والحمل على الموضع، والدليل على ذلك استعمالهم للحمل على الموضع عبارات منها:

الرفع أو النصب على المعنى، والحمل على معنى النصب أو الرفع، ومعنى الفاعل أو صفة على المعنى أو مجرور في اللفظ منصوب في المعنى [٣].

- (كل) تدل على العموم والجمع وتكتسب معناها مما تضاف إليه لأن المتضايفين كالشيء الواحد، تذكيراً وتأنيثاً وإفرادا وتثنيةً وجمعاً، فيراعى كل ذلك فيها. قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (القمر: ٥٢)، و ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المدثر: ٣٨) و ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الروم: ٣٢)، و ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يس: ٤٠) و ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم: ٩٥)، فيجوز بها الحمل على المعنى مراعاة معناها وعلى اللفظ مراعاة لفظها سواء كانت مضافة أو مقطوعة عن الإضافة.

- (الذي) اسم خاص للمفرد المذكر وليس مبهماً، لكنه عاد الضمير إليه

---

(١) كتاب سيبويه ٣/١٠٠-١٠١.

(٢) الحمل على المعنى في العربية ٧، ١٩ والتأويل النحوي ٢/ ١٢١٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: معاني الفراء ١/٤٦ والمحتسب ٢/١٣ وشرح ابن يعيش ٦/٦٧.

جمعاً في النصّ القرآني واختلفوا في توجيهه فعدّوه اسماً مبهماً كـ (مَنْ) نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر: ٣٣) و﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٧).

وفي ذلك خلافات نحوية وجدل وخلط بين القرآن والقراءات والشعر، ومنهم من قلله في اللغة ومنهم من قبّحه [1].

وقد يجمع الحمل على المعنى والحمل على اللفظ في الآية الواحدة وهو قليل، كقوله تعالى:

- ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة: ٦٠)، حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ ثم على المعنى ثم على المعنى ثم على اللفظ.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة الزخرف ٣٦-٣٨) أعاد الضمير أولاً على اللفظ ثم جمع المعنى ثم أفرد على اللفظ.

وقد توسّع الحمّوز بالعطف على التوّهم وعلى الموضع حتى عدّه مقيساً مطّرداً فذكر للأول تسعة عشر نوعاً وللثاني عشرة مواضع ورأى أنه سبق النحاة إلى أقسام منهما لم يذكروها، وعلل تضييق النحاة العطف على التوهم تأديباً منهم وتنزيهاً للقرآن الكريم. والحق أنه من خصائص أسلوب القرآن الإعجازية في ضوء

(١) ينظر التفضيلات: الحمل على المعنى ٦٧-٨٦.

نظام لغته العربية [١]. فضلاً عن الدلالات البلاغية والأسرار البيانية التي تحملها. ومع ذلك فالاصطلاح غير موفق كونه يدل على ظاهرة أسلوبية وردت في النصّ القرآني.

ومن الأقسام التي ذكرها للعطف على التوهم: توهم سبك مصدر من غير حرف مصدري، وتوهم شبه جملة مصدراً، وتوهم حرف محذوف أنه موجود وتوهم اسم شرط اسماً موصولاً والعكس وتوهم معنى الشرط من الاستفهام وتوهم إهمال أداة الشرط العاملة وغيرها. واستشهد لها بشواهد أكثرها لا تستقيم إلاّ بالتأويل ولاسيما القراءات الشاذة.

ثمة مشكل في الخلط بين العطف على المعنى والعطف على التوهم لدى النحاة كونهما يشتركان في أن العامل مفقود في المعطوف عليه وأثره موجود في المعطوف، وإن الثاني يجيء على أن الأول قد سبق، وقد ذكر الدكتور العنبكي الفارق بينهما بـ:

١- أن يكون العطف على التوهم في المفردات كتوهم حرف الجر أو الجزم أو النصب في المعطوف عليه والعطف على هذا المعنى.. أما العطف على المعنى فيكون في الجمل والمركبات فيعطف على المعنى المفهوم من الكلام فهو "كون الكلام بمعنى كلام آخر".

٢- في العطف على التوهم لا يتغير تركيب الجملة وفي العطف على المعنى يتغير زيادة أو نقصاً.

٣- قد يخرج المعنى الذي يحمل عليه إلى اللفظ (في التوهم)، أي يمكن الحمل على ذلك اللفظ كما في قولنا: (ليس زيدٌ قائماً ولا قاعدٍ) فيمكن أن نقول: (ليس زيدٌ بقائمٍ ولا قاعدٍ). أما في العطف على المعنى فلا يمكن أن يخرج ذلك المعنى إلى اللفظ فيحمل على لفظه [٢].

وقد ميّز أبو حيان بينهما بأن العطف على الموضع يقتضي وجود عامل

---

(١) التأويل النحوي ٢/ ١٢١٦، ١١٧٠-١١٩١.

(٢) الحمل على المعنى في العربية ٣٨.

كالعطف على جواب الشرط مثلاً يقتضي وجود شرط ظاهر ذلك "إنما يُعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٦)، وإن لم يظهر الشرط كان العطف على التوهم كقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون: ١٠)، (قال): وهذا مذهب الخليل ومن تبعه ومذهب غيره هو من العطف على الموضع" [١].

ومن الشواهد القرآنية التي ذكروها: الحمل على موضع ما أضيف إليه اسم الفاعل إذا كان اسم الفاعل بمعنى الحال والاستقبال لمضارعته الفعل الماضي فيعمل عمله نحو (هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً) لأن الإضافة غير محضة على نية الانفصال وفيه خلافات. قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٦)، عطف (الشمس والقمر) على المعنى لأن اسم الفاعل للمعنى ولأن الكلام حال والمعنى: جعل الشمس والقمر حسباناً وقد جعل بعضهم ذلك من العطف على الموضع [٢].

والحمل على موضع ما أضيف إليه (غير) الاستثنائية، ذلك إن أصل أدوات الاستثناء (إلا) وحمل عليها ما عداها من الأدوات، ولذا أعطيت (غير) إعرابها فيجوز الحمل على لفظه وموضعه نحو (جاء القوم غير زيدٍ وسعيداً) واختلفوا فيه بين الحمل على المعنى والحمل على التوهم [٣].

وقد خلطوا بينهما، قال ابن مالك: " ولك في تابع ما جرّ بإضافة المصدر

---

(١) البحر المحيط ٨/٢٧٥.

(٢) ينظر: الكتاب ١/ ٨٩، ومعاني الفراء ١/ ٣٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٧ والكشاف ٢/ ٥٠.

(٣) ينظر: الكتاب ١/ ٣٧٥، والتصريح على التوضيح ١/٣٦٢ ومغني اللبيب ٢/ ٤٧٧.

إليه: الجر حملاً على اللفظ والنصب على المعنى [١]. وقال العنبكي: "وليس الرفع والنصب حملاً على المعنى بل على الموضع"، ويرى سبب ذلك التوسع في المعنى ذلك إن المصطلح لم يتضح لديهم تماماً [٢].

- ومن شواهد الحمل على الموضع قوله تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف: ١٠١)

منصوب على موضع المنادى (يا رب) بحذف ياء النداء [٣].

- ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء: ٧٧)، (أشد) عطف على موضع شبه الجملة النعت.

- ومنه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سبأ: ١٠)، (والطير) منصوب على موضع المنادى (يا جبال) المبني على الضم منصوب محلاً والتقدير عند سيبويه: أي (نادينا الجبال والطير)، وعند أبي عمرو منصوب على معنى: (وسخّرنا له الطير)، ويرى الكسائي معطوف على (فضلاً) قبله أي: آتيناه فضلاً [٤].

- ومن شواهد العطف على المعنى لدى النحاة قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ

(١) شرح الكافية الشافية ١٢٢/٢.

(٢) الحمل على المعنى في العربية ٣٨

(٣) ينظر: إعراب القرآن، الزجاج ٦٥٢/٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن، النحاس ٢/ ٦٥٧، ٦٥٨.

﴿ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (الملك: ١٩)، عطف الاسم على الفعل. وقوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾ (العاديات: ٣-٤)، عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية.

الحمل المزدوج:

في نظام العربية مرونة كبيرة كونه يشمل أنظمة عدّه، ويمكن أن يحصل أكثر من حمل في التركيب الواحد أو يمكن تفسير ظاهرة العدول عن الظاهر أكثر من تفسير كاختلافهم في اجتماع ظاهرتي تناوب حروف الجر والتضمين، ونسب الخلاف إلى البصريين والكوفيين فيهما على الرغم من أنهما ظاهرة واحدة لكنهم اختلفوا في تفسيرها بين التناوب والتضمين.

وكلا الظاهرتين باب واسع في العربية تشمل ظواهر لغوية عديدة وتدلان على نظام العربية القائم على الترابط والمشابهة وتعلق الكلم بعضه برقاب بعض ويفسّر كثيراً من ظواهر العدول والأساليب، وبعضه خفي يشترط أعمال الفكر والتأمل يحوي أسرارا بيانية ومعاني ثانية دقيقة. وقد اختلف تفسيرهما بين البلاغيين والنحاة.

لذلك قالوا عن تناوب حروف الجر بعضها عن بعض "يُمسك النحاة منه بطرف، وأهل البيان بطرف، لأنه باب يسلط فيه النظر على المبنى والمعنى وللعلماء فيه مذاهب شتّى وتأويلات مختلفة" [١].

ويرى النحاة أن لكل حرف معنى أصلياً كالباء للإلصاق وعلى للاستعلاء و(من) للابتداء، و(إلى) للانتهاء و(عن) للمجاوزة والكاف للتشبيه.

وهي معانٍ لا تفارقها وقد تصحبها معانٍ أخر أو تنوب عنها وتؤول اليها عن المعاني الأصلية [٢] وتقع موقعها كالباء تقع موقع (في) كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

(١) تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم ٥.

(٢) الجنى الداني ١٠٩.

نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، وموقع (عن) كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٥٩)، أو (على) أو (من) أو (إلى) وهكذا [١] كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ (طه: ٧١)، يرى الكوفيون أنها بمعنى على وفيه خلاف [٢].

و ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ ﴾ (المعارج: ١)، قالوا الباء بمعنى عن وفيه خلافات في التفسير والتأويل وتوجيه الإعراب وأراء مضطربة في كون هذه المعاني أصلية وفرعية أو الأصل والعدول عنه وتناوب معاني الحروف بعضها عن بعض وأكثرها تأويلات وخلافات في التفسير والتقدير.

وباب النيابة النحوية واسع كما مرّ بنا في منهج النحاة وتقديراتهم أما تناوب حروف الجر بعضها عن بعض فتتناوله في ضوء النظام الأسلوبي البياني أو الدلالي أو العدول الذي يدل على معنى دقيق ثاني، والفارق كبير بين تناول النحاة المعياري المنطقي للتناوب وبين التناول البلاغي الأسلوبي الذي يرى أن حرف الجر لا معنى له أصلا بذاته إنما يتحدد من السياق الذي يرد فيه.

أما التضمين وهو "إشراب لفظ معنى لفظ آخر" [٣]، فالعرب "من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التضمين" [٤] وعرّفه الدكتور محمد حسن عواد بأنه توسّع "في استعمال لفظ توسعاً

---

(١) ينظر تفصيل ذلك: تناوب حروف الجر ٩.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٦٧، والخصائص ٢/ ٣١٣ والبحر المحيط ٦/ ٢٦١ وشرح الأشموني ٢/ ٢٩٢.

(٣) مغني اللبيب ٢/ ٤٩٣ وشرح التصريح ١/ ٣٤٦ والنحو الوافي ٢/ ٤٦٣.

(٤) الأشباه والنظائر ١/ ١٠١ والتأويل النحوي ٢/ ١٢٤٥.

يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم" [١].

وله صلة بتعدي الفعل ولزومه والحقيقة والمجاز، وتأويل الشواهد بحسب قواعد التعدي واللزوم نحو قولهم في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ ﴾ (الصافات: ٨)، قالوا عداه بـ(إلى) لتضمن (يسّمعون) معنى الإصغاء [٢]. وفي قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ ﴾ (المعارج: ١) أي دعا بعذاب [٣].

وذكر الزركشي تحته أوضاعاً مختلفة متوسعاً فيه كوضع النداء موضع التعجب أو تضمين معناه. وجمع القلة موضع الكثرة، والتذكير موضع التأنيث ووضع الفعل الماضي موضع الفعل المستقبل وعكسه وظواهر أخرى بيانية وبديعية وصوتيه وغيرها [٤].

وذكر السيوطي له أقساماً كتضمين الفعل الاسم والاسم الحرف وغير ذلك وفسّر في ضوئه ظواهر نحوية نحو بناء (أمس) على الكسر لتضمنه معنى لام التعريف [٥].

وهي مسألة خلافية إذ نسب إلى البصريين وتبعهم كثير من المعاصرين القول بالتضمين، خلافاً للكوفيين الذين يرون تعدد معاني الحروف لذا اقروا بالتناوب بينها، ومنع ذلك البصريون ذلك أن للحرف معنى واحداً ومذهبهم "إبقاء الحرف على موضعه الأول أما بتأويل أو تضمين يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ. فكلاهما حمل على المعنى، لأن التجوز في

---

(١) تناوب حروف الجر ٥١.

(٢) البحر المحيط ٩٢/٩.

(٣) البحر المحيط ٣٧٢/١٠.

(٤) البرهان ٣/ ٣٣٨-٤١٣.

(٥) الأشباه والنظائر ١/ ١٠٠.

الفعل أسهل لديهم منه في الحرف [١].

فالبصريون لا يجيزون وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر، والكوفيون يجيزون ذلك تأدية حقيقة لا مجازية. وهذا من باب -لديهم- الاشتراك اللفظي وقد أيدهم الأستاذ عباس حسن لبعده عن الالتجاء إلى التأويل والمجاز ونحوهما [٢]. وأكثر المعاصرين وافقوا البصريين لعدم استكمال أدلة التناوب "إنما هي مسألة معجمية تندرج في بحث دلالات الألفاظ على وجه مباين للوجه أو الوجوه التي رسمها السلف" ونسبوا البحث عن دلالات معاني الحروف لعمل اللغوي وهو قول غير دقيق [٣].

وعلى هذا فالموضوعان ظاهرة أسلوبية واحدة إلا أنهم اختلفوا في تفسيرها وتوجيهها وفي اصطلاحها. وعلى الرغم من ذلك فإن كتب النحو والبلاغة أقرّت بهما وعقدت لهما بابين مختلفين.

وليس الأمر مجرد مشابهة كما في منهج النحاة وفهم بعض المعاصرين لها فقد قام الدكتور محمد حسن عواد بتجربة فوضع حرفاً مكان آخر فتوصل إلى كسر ذلك وإن سلم فباختلاف المعنى: قال:

"إن الحرف لا يقع موقع غيره من الحروف إلا إذا أردنا معنى ذلك الحرف الأخير، وإلا صار الأمر ضرباً من العجمة وعدم البيان وفوضى التعبير [٤]. وهذه التجربة تجري على التضمين أيضاً إذ يتناوب فعلان المواقع أو يشربان بعضهما معنى الآخر، ناهيك عن أن البلاغيين أجازوا ذلك من باب استعارة حرف معنى حرف آخر [٥].

فالمسالة بيانية فنية إبداعية خاصة بالنص والسياق، لها صلة بالمعنى والمقام أو الحال وليست شكلية لذلك قالوا إن السياق يحدد معنى اللفظ، ذلك أنه يحمل

---

(١) الجنى الداني ٤٦ ومغني اللبيب ١/١١١.

(٢) النحو الوافي ٢/ ٤١٤.

(٣) النيابة النحوية ٧٤ وتناوب حروف الجر ٥-٧.

(٤) تناوب حروف الجر ١٩.

(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٨.

إلى معانٍ عديدة بسبب نظام العربية ومرونته.

قال ابن جني في "باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض": "هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه" [(١)]، أي أنه باب عارٍ من الدقة لتفاهته يستحق الغسل، ذلك أنهم يقولون إن (إلى) تكون بمعنى (مع) و(في) بمعنى (على) ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (الصف: ١٤) و ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾ (طه: الآية٧١) قال ابن جني: "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنا نقول إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له" وقال "واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا النحل في معنى ذلك (الفعل).. كقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾ (البقرة: ١٨٧) ، والأصل رفث بها أو منها لأن الرفث بمعنى الافضاء الذي يتعدى بالى..." [(٢)].

ويرى د. محمد حسن عواد "أن مسالة التضمين لا أساس لها ، لأنه لا دليل عليها ، ولا حجة لأصحابها ، واحسب أن ما اندرج تحتها من شواهد يؤول إلى جهة من جهتين: إما أن تكون هذه الشواهد مقحمة في باب التضمين إقحاما ، وإما أن تندرج تحت مبحث دلالات الألفاظ..." [(٣)]

وتناول شواهدها ثم خلص إلى أن النيابة ترجع إلى التركيب لا الحروف ، والتضمين يرجع إلى مبحث دلالات الألفاظ ، سببه قولهم بالأصالة والفرعية

---

(١) الخصائص ٢/ ٣٠٨ وينظر: الجنى الداني ٣٨٨.

(٢) الخصائص ٢/٣١٠.

(٣) تناوب حروف الجر ٥٨.

للألفاظ وهذا يشترط معرفة الأقدم في نشاة الألفاظ[١]، ورد الشواهد معتمدا على التاويل كالقدامى ، كما في قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ (الإنسان: ٦)، و ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ ﴾ (المطففين: ٢٨)، قال: وهم إنما عمدوا إلى هذا فراراً من وقوع الباء موقع (من). وإن (شرب الماء) معناه: (جرع الماء. وإن شرب من الأضداد، فإذا كان بمعنى جرع فهو متعدٍ وإذا كان بمعنى (روى) فهو لازم. [٢].

فهو يرد قولهم بالتضمين وبالتناوب كلاهما، لأنهم يقولون بالأصالة والفرعية وأصل الفعل اللزوم، والتعدي فرع عليه، وأصل التعدي بحرف وهذا ما يعبرون عنه بالحمل على النقيض وعلى النظير [٣].

فهو يرى شواهدهم من الترادف والاشتراك اللفظي، وردّ القول بالتضمين لأننا لا نعرف الأقدم والأصل في الألفاظ ودعا إلى وضع معجم تاريخي بحسب أزمنة الألفاظ وعلاقة ذلك بالمجاز أو وروده في عصر الاحتجاج، وحمل على النحاة ومنهجهم المنطقي في ذلك [٤].

كزعمهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢ ﴾ (النمل:٧٢) ، إن ردفَ متعد في الأصل ولكنه تضمن معنى اللزوم ، ويجوز اراد ردفكم فزاد اللام ويجوز أن ردفَ مما يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر أو يكون قرب لكم ، وقال الفراء: دنا لكم[٥].

وعد الدكتور إبراهيم السامرائي التضمين من نتائج تاثر النحو بالمنطق السلبي إذ أظهر قواعد وأحكاما لم تكن وليدة الاستقراء ، لذلك صادفوا ما يخالفها فلجأوا

---

(١) تناوب حروف الجر /٨.

(٢) نفسه ٥٨-٦٢ وينظر: لسان العرب (شرب).

(٣) نفسه ٦٣-٧٥.

(٤) تناوب حروف الجر ٦٧-٧٦.

(٥) البحر المحيط ٣٦١/١٠ ولسان العرب ١١/ ١٧.

إلى التاويل والتقدير[١]. قال في قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ (الإنسان: ٦)، "المعنى يشرب منها، لا عبرة لما قيل بـ (التضمين) أي: إن الباء تضمنت معنى (من) وذلك لأن كلام الله جرى على لغة العرب، والعرب قد تصرّفت بلغتها تصرفاً واسعاً. ولله حكمة بالغة في وضع كلامه على هيئة لم يدركها البشر" [٢].

والحق إن نظام العربية يفسر لنا هذه الظاهرة تفسيراً واضحاً من غير افتراضات وتمحل وتأويل، كما مرّ بنا، فالتضمين اتساع في المعنى، وهو أسلوب مرتبط بالذوق يلجأ إليه لغرض بلاغي مع تحقق المناسبة بين الفعلين ووجود قرينة يؤمن عليها اللبس كما ذهب مجمع اللغة المصري [٣]، فقد اختلف النحاة في الباء في (يشرب بها) بين الأصالة والزيادة. أما الأصالة فعلى خلافٍ أيضاً، إما على معنى الإلصاق أو تضمين معنى (يروي بها وينقع ويلتذ) أو بمعنى (من)، أو متعلقة ومجرورها بحال تقديره: يشرب ممزوجة بها، وأما أن الضمير للكأس والمعنى: يشربون بتلك الكأس وغير ذلك من الخلافات والآراء الكثيرة [٤].

وقد أثبت (تعالى) الياء بعد إجماله ما أعدّه للكافرين من سلاسل وأغلال وسعير. وفي ذلك ملمح أسلوبي يمكن استنباط دلالة ثانية دقيقة (متحركة) بحسب أذواق المفسرين والبلاغيين من خلال العدول عن أقيسة النحاة في مجيء الباء.

النقل:

باب واسع في العربية تنضوي تحت مظلته ظواهر لغوية مختلفة في مستويات اللغة كلها ولاسيما المستوى الصرفي. وهي من أهم الظواهر التي تدل على نظام اللغة العربية المترابط، لذلك اصطلح عليه النحاة واللغويون القدامى والمعاصرون

---

(١) من وحي القرآن ١٠٦-١١٧

(٢) من بديع لغة التنزيل ٣٠٢.

(٣) النحو الوافي ٢/ ٤٤٣ وتناوب حروف الجر ٥٣.

(٤) معاني الفراء ٣/ ٢١٥ وتأويل مشكل القرآن ٤٨ والكشاف ١١٦٤، والمفردات للراغب ٧٧ والتفسير الكبير ٣٠/ ٢٤١، وشرح الرضي ٤/٢٨١، والبحر المحيط ٨/ ٥١٥ وحاشية الشهاب ٨/ ٢٨٨، وتفسير أبي السعود ٩/ ٣٨١، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨١.

أو على جوانب منه باصطلاحات كثيرة وتناولوه في أبواب عديدة كإقامة صيغة جديدة مقام صيغة أخرى ووضع الأسماء والأفعال في غير مواضعها [١] والعدول في بنية الكلمة [٢] والحمل على المعنى والمجاز والتضمين وتجاهل الاختصاص النحوي [٣]، والتأويل كتأويل الفعل بالاسم والاسم بالفعل [٤] والنيابة النحوية والصرفية [٥]، والاستبدال لدى المحدثين والتّحول اللغوي [٦] والاشتراك الصيغي والوضع والإبدال [٧] وخلاف مقتضى الظاهر [٨] ومخالفة ظاهر اللفظ معناه [٩]. والتجوز في الأفعال كالفعل الماضي عن المستقبل وعكسه والخبر عن الأمر وعن الدعاء وغير ذلك [١٠] والتعويض، وهو إقامة الكلمة مقام كلمة أخرى كالمصدر مقام الأمر نحو (فضَربَ الرقاب) والفاعل مقام المصدر وغيره [١١].

النقل هو "تحول اللفظ من قسم إلى قسم آخر من أقسام الكلم" [١٢] قد يتبعه تغيير في المعنى، ومنه تسخير اللفظ لتوليد المعنى الأدبي بوساطة جرسه أو موقعه من الكلام وتكراره وتنكيره وغير ذلك كنقل ما الاستفهامية إلى معنى التعجب. والظروف والموصولات إلى استعمال أدوات الاستفهام والشرط نحو (متى وحيث وأيان ومن وما) ونقل المصدر إلى استعمالات فعل الأمر [١٣].

---

(١) وضع الأسماء والأفعال في غير مواضعها، د. كريم حسين ناصح ١٢.

(٢) البيان في روائع القرآن ١٨١/٢.

(٣) نفسه ١١٩/٢.

(٤) التأويل النحوي ١٤٧٧/٢، ١٤٣٧.

(٥) النيابة النحوية، د. هادي نهر ٣.

(٦) التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ١٧٧.

(٧) بلاغة الكلمة ٣٣.

(٨) معجم المصطلحات البلاغية ٣/ ٣٦٠.

(٩) تأويل مشكل القرآن ٢٧٥.

(١٠) الفوائد المشوقة ٣٢-٣٦.

(١١) الصاحبي ٢٣٦ والمزهر ٣٣٧/١.

(١٢) اللغة العربية والحداثة ١٣٩.

(١٣) البيان في روائع القرآن ١٣/١.

وهو إحدى طرائق توسع المعنى وصورة من صور العدول عن الأصل فيما يتصل باستعمال البنية ومعناها في اللغة.

وثمة فارق بين النقل النحوي والدلالي والصرفي والبلاغي فالأول تنقل الوظيفة النحوية والعمل النحوي من لفظة إلى أخرى والثاني تنقل الدلالة أما الصرفي فنقل يخص البنية مع بقاء الدلالة. أما النقل البلاغي فتصرّف في اللفظ أو التركيب ليدل على معانٍ بلاغية إضافية قد تخفى على الدارسين.

وقد ذكر النحاة هذه الأنواع مختلطة تحت مصطلحات مختلفة كما مرّ بنا ولاسيما في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم كوضع المصدر موضع المشتق، ووضع الصفات موضع المصادر والمعرفة موضع النكرة و(مَنْ) و(ما) أحدهما موضع الآخر والأسماء والأفعال في غير مواضعها. وفاعل بمعنى مفعول وعكسه وفعيل بمعنى مفعول والفاعل مقام المصدر.

نحو تقديرهم (عاصم) معصوم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (هود: ٤٣)، و(دافق) مدفوق في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ ﴾ (الطارق: ٦)، و(راضية) مرضية في قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحاقة: ٢١)، و(مأتياً) أي آتيا و(مستور) أي ساتر، و﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (يوسف: ١٨)، أي مكذوب فيه، و ﴿ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الواقعة: ٢)، أي تكذيب. ووصف الشيء بالمصدر نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الشعراء: ٧٧)، أي عداوة [1].

---

(١) ينظر: البرهان، الزركشي ٢٠٨/١، ٢٨٥/٢-٢٩٠ والدر، الزمخشري ٢٢٢ والأشباه والنظائر ٣٠٤/٢-٣٢٠ وأزاهير الفصحى ٣٦٢-٣٧٠، وضع الأسماء والأفعال في غير موضعها ١٢ =

ومنها إطلاق الخبر وإرادة الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٣٣) ووضع الماضي ويراد به المستقبل نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام: ٩٤)، والعكس نحو ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩١) و ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وقد تأتي صيغة الطلب بلام الأمر مراداً بها الخبر للدلالة على الحتم نحو ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (التوبة: ٨٢)، والأمر بالضحك والبكاء في معنى الخبر والمعنى فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً إلا أنه أخرجه عن صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم لا يكون غيره [١].

ووضع الخبر موضع الطلب كقوله تعالى:

- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ (البقرة: ٨٣)، (لا تعبدون) أبلغ من صريح النهي لما فيه من إبهام إن المنهي يسارع إلى الانتهاء فهو مخبر عنه [٢].

- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (البقرة: ٨٤)، في موضع (لا تسفكوا).

- ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ

=

والبيان في روائع القرآن ١/ ٥١، ودراسات لأسلوب القرآن ١٢/٤٧١ والتأويل النحوي ٢/ ٤٧١.

(١) البرهان، الزركشي ٣/ ٣٤٧ والبحر المحيط ٥/ ٤٧٤ وتفسير أبي السعود ٨٩ وعلل الاختيار ١٠٠.

(٢) البرهان، الزركشي ٣/ ٣٤٧.

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ (الصف: ١١-١٢) جزم جوابه (يغفر) وهو خبر في معنى الأمر، إذ المعنى (أمنوا وجاهدوا) [١].

- ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٥). والكذب إنما يرد على الخبر.

ووضع النداء موضع التعجب كقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يس: ٣٠)، قالوا: معناه: فيا لها من حسرة. وقال الزمخشري: «نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون...» [٢]، ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الزمر: ٥٦)، وهو أبلغ من قولك (العجب) قيل: فإنّ التقدير: يا عجاب أحضر، ويا حسرة أحضري، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف: ١٩)، كأنما قال: يا قوم ابشروا [٣].

وأكثر ما ذكروه من ذلك تفسيرات للنص القرآني دلالية سبق إليها اللغويون في خلافاتهم ويبدو الفراء كان رائداً في ذلك.

وقد أخذ الدكتور كريم ناصح على النحاة أنهم أهملوا بذلك الموقع النحوي وهو صلب نظرية النحو العربي، ودعا إلى "إعادة مناهج النحو العربي إلى وجهتها

---

(١) الكشاف: ١١٠٤.

(٢) الكشاف: ٢٩٤.

(٣) البرهان ٣/ ٣٤٧-٣٥١.

الصحيحة" [١] إلا أن الظاهرة لا تتعلق بالموقع النحوي وحده فهي ظاهرة تقع في أنظمة العربية المختلفة: النحوية والصرفية والدلالية والبلاغية للتعبير عن المعاني الدقيقة من خلال التساهل في المواضع.

وإن كان موضوع النقل أوسع لدى القدامى وأكثر تداخلاً وخلطاً إلا أن طريقة الزمخشري التي هي تطبيق لنظرية النظم لعبد القاهر وتبعَهُ البلاغيون والأسلوبيون المعاصرون على أن للصيغ أسراراً فنية ودلالات أسلوبية دقيقة، وبحثوا فيها للوقوف على "الفروق الفنية الدقيقة بين المعاني مما يفيد أكثر الإفادة في التوظيف البلاغي لتلك الصيغ في سياقاتها التي تطابق مقتضى الحال..." [٢] واستجلاء أسرار الصيغ في النص القرآني.

وقد أشار المتقدمون إلى أن اختلاف دلالة الصيغة بين الأفراد والتركيب والسياق هو الذي يحددها والقرائن كالحالية واللفظية، " ذلك أن الكلمة في حال أفرادها تحتمل دلالات شتى والعلاقات السياقية هي التي تكشف عن قصد المتكلم إحدى هذه الدلالات التي تحتملها الكلمة حال إفرادها وعزلها عن السياق" [٣]. وتناولوا العلاقة بين الصيغة والمعنى لأن الدلالة التركيبة مؤسسة على الدلالة الإفرادية غير مقطوعة العلاقة عنها [٤]، وقالوا بـ "زيادة المعنى لزيادة المبنى" نحو (الرحمن) أبلغ من (الرحيم) و(غفار) عدل عن غافر لأنه أبلغ يدل على كثرة صدور الفعل [٥].

لقد أطلق أحد الدارسين المعاصرين على تلك الظاهرة اصطلاح: "الاشتراك الصيغي" وتعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة فضلاً عن معناها المعجمي، وفسرها بقوله: "إنّ الصيغ لا تكلفنا مادة جديدة بل يأتي المعنى الوظيفي للصيغة محمولاً على المادة متراكباً مع الدلالة المعجمية أو اللفظية وذلك عن طريق صورة

---

(١) وضع الأسماء والأفعال في غير مواضعه ١١.

(٢) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٥.

(٣) المصدر نفسه ١١، ٥٠.

(٤) ينظر: سيبويه ٢/ ٢١٩، ٢٤١ والخصائص ٢/ ١٥٣ والمثل السائر ٢/ ٢٤١، وشرح الرضى ١/ ٦٦.

(٥) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٥، والمزهر ١/ ٣٣٠، ٣٤٧.

اللفظ، فضلاً عن أن المعاني الوظيفية ذاتها تتعدد وتتراكب للصيغة الواحدة في الوقت الواحد في السياق الواحد..." [١].

فمن شكل المادة وتركيبها وهيئتها أي حركاتها وسكناتها وترتيب حروفها وتصرفها معاني تخدم دلالة النص العامة، لذلك اتجهت دراسات الألفاظ إلى الكشف عن القيم الفنية التي تبنى على الفروق القائمة بينها في البنية الصرفية، وطبيعة اللواحق والسوابق والظلال الدلالية السياقية والايمائية والقيم الإيقاعية والموسيقية تقف بنا على نتائج طريفة ومؤثرة في صوغ الأحكام.

"ذلك أن الاختيار الفني لتلك الصيغ من قبل المبدع، وكذلك ما يقوم به من تكرار لبعض الصيغ، أو عدول فني مقصود من صيغ يقتضيها السياق إلى صيغ أخر يراها أكثر مناسبة، كل ذلك يحدث بلا شك نوعاً من الإثارة ولفت الذهن للمتلقي ناقداً كان أو غير ناقد" [٢].

ومهما اتجه المتقدمون والمعاصرون في تفسير ظاهرة النقل من اتجاهات ومناهج: نحوية وبلاغية ودلالية فهي ظاهرة تدل على نظام العربية المبني على تعلق العربية بعضها برقاب بعض وحمل بعضها على بعض في نظامها الكلي وأنظمتها الفرعية: النحوية والصرفية والبلاغية والدلالية.

التوافق السياقي والتخالف:

بابٌ واسعٌ يشمل الظواهر السابقة ولاسيما الحمل على المعنى الذي يعدّ منه، والتناوب والتضمين وغيرها. ونقصد به: الانسجام والتوافق الذي يقوم عليه صحة التركيب بارتباط بعضه ببعض ومطابقته من حيث (الجنس والعدد والنوع).

الدالة على الشخص: (التكلم والخطاب والغيبة)، في الإسناد وعود الضمير من حيث التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، والتعريف والتنكير وغيرها والأصل هو المطابقة التامة بين عناصر الجملة (لفظاً ومعنىً) وهو شرط لتأدية المعنى [٣].

---

(١) الإعجاز الصرفي ٨.

(٢) نفسه ٧.

(٣) ينظر: التطريز النحوي ١١٩، ١٣٣ والبيان في روائع القرآن ١/ ٢٣٥، ٢/ ٩٨ والبلاغة

وهي أهم ظاهرة في أسلوب القرآن الكريم ونظام العربية لتأدية معانٍ دقيقة وأسرار بيانية تدل على الإعجاز القرآني، وقد وردت كثيراً في النصّ القرآني.

وهي واضحة للمتخصص وغير المتخصص ذلك أنها تخالف المنطق العقلي والمعايير اللغوية والعقلية، لذلك طعن فيها أعداء الإسلام إذ كانت مدار الدراسات اللغوية والقرآنية لدى المتقدمين الذين نسبوها إلى طرائق العرب ومجازاتهم في الكلام. وهي ظاهرة خاصة بأسلوب القرآن أراد الله تعالى بها أن القرآن والشريعة الإسلامية لا تقوم على ما تقوم عليه أكثر الديانات القديمة والفلسفات القائمة على مقياس المنطق العقلي التي هي جزء من دياناتهم، لاختلافها من عصر لآخر ومن أمة إلى أخرى لكنها لا تتقاطع مع نظام العربية والنظام القرآني في لغته وإنما هي جزء منه تؤدي معاني دقيقة سامية معجزة.

التذكير والتأنيث:

وهي قضية فيها مشكل تناولها الفلاسفة وصنّف اللغويون العرب فيها مصنفات لضبط المؤنثات السماعية ذلك أن الأسماء على ضربين من حيث التذكير والتأنيث: ما يستحق بالطبع كالحيوان والإنسان ويعرف بالمعاينة، وما استحق بالوضع أو الاصطلاح لعدم وجود أعضاء تذكير وتأنيث كالجمادات والمعاني" [1] لكنهم تناولوه ألفاظاً لا تراكيب أو في داخل السياق.

قال الأنباري: "ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرّد ولا لهما باب يحصرهما كما يرى بعض الناس" لأنهم قالوا إن علامات المؤنث ثلاث: الهاء والألف الممدودة والمقصورة. وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكر نحو: نسابة، همزة، ثلاثاء، فقهاء، كمثرى،... وفي المؤنث ما ليس به منها نحو: هند، دعد، أتان، عنز، كتف، يد، ساق... وما يؤنث سماعاً ولم يوجد فيه علامة نحو: ملح، نار، دلو، قوس ومما يذَكّر ويؤَنّث: السماء، سلطان، طريق، سبيل، الحال، الهدى، الضحى... وغيرها ثم قال: "فلهذه العلة قلنا إنّه ليس يجب الاشتغال بطلب علامة تميز المؤنث من المذكر إذ كانا غير منقاسين، وإنما يعمل فيهما على الرواية"

=

الأسلوبية ٢٠٤.

(١) المذكر والمؤنث، ابن التستري ٢٦.

ثم ساق ما سمع فيه التذكير من المشكل مبوباً على نسق المعجم [١].

فالعلامات غير قاطعة في التميز بين المذكر ومؤنث، وقد ذكر أبو بكر الأنباري خمس عشرة علامة منها: تاء أخت والألف والتاء والنون والكسرة وتاء الفاعل والياء في هذي وغيرها [٢].

قال ابن التستري: "إذا أتاك ما لا تعرف أمذكر هو أم مؤنث وكان مما يستحق التذكير والتأنيث بالطبع فاكتبه بالتذكير فانه الأصل، وإذا أتاك من ذلك ما تذكيره وتأنيثه بالوضع لا بالطبع فاكتبه على التأنيث لأنه أصل..." [٣] ومنه لا يأخذ إلا بالسماع ولا يحكمها القياس [٤].

قال ابن جني: "وتذكير المؤنث واسع جداً لأنه ردّ فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التنكير والإغراب" [٥] نحو (ذهب بعض أصابعه) لأن بعض الأصابع إصبعٌ.

ويدخل في هذا الباب الإفراد والجمع والخطابات والحمل على المعنى والتضمين.

ويبدو هذه القضية أثيرت بسبب الاستعمال القرآني لها من خلال العدول عن القياس العقلي فيها، فلجأوا إلى التأويل والقول بالحقيقة والمجاز والعاقل وغير العاقل [٦] ذلك أنهم لا سبيل لهم إلى ردّها.

ذكر سيبويه مما جاء في القرآن من (الموات) قد حذفت فيه التاء، قوله عزّ وجلّ ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وقوله تعالى:

---

(١) المذكر والمؤنث، الأنباري ٤٧-٥٦.

(٢) ينظر: المذكر والمؤنث ١٦٦-١٧٣.

(٣) مذكر والمؤنث، ابن التستري ٢٨.

(٤) ينظر: البرهان، ابن وهب ٣٢٩.

(٥) الخصائص ٢/ ٤١٧.

(٦) الخصائص ٢/ ٤١٧.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وقال "وهذا النحو كثير في القرآن وهو في الواحد إذا كانت من الآدميين أقل منه سائر الحيوان....".

وأما الجميع من الحيوان الذي يكسّر عليه الواحد فبمنزلة الجميع من غيره الذي يكسّر عليه الواحد في أنه مؤنث ألا ترى أنك تقول: هو رجلٌ، وتقول هي الرجالُ، فيجوز لك. وتقول: هو جملٌ، وهي الجمالُ... لأن الجميع يؤنث وإن كان كل واحد منه مذكراً من الحيوان فلما كان كذلك صيروه بمنزلة الموات لأنه قد خرج من الأول إلا مكن حيث أردت الجميع، فلما كان ذلك احتملوا أن يجروه مجرى الجميع الموات. قالوا: جاء جواريك وجاء نساؤك وجاء بناتك... ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يوسف: ٣٠)..." [1].

وكان الخليل رحمه الله يُفسر ذلك في ضوء نظام العربية على منهجه، قال سيبويه "زعم الخليل رحمه الله إن ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ (المزمل: ١٨)، كقولك (مُرضع) للتي بها الرضاع، وإما المنفطرة فيجيء على العمل كقولك: فشقّةٌ، وكقولك، مرضعة للتي ترضع. وأما ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يس: ٤٠) و﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (يوسف: ٤)، و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨)، فزعم أنه بمنزلة ما يعقل ويسمع، لما ذكرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حيث حدّثت عنه كما

(١) الكتاب ٢/ ٣٩.

تحدّث عن الأناسيّ. وكذلك (في فلك يسبحون) لأنها جُعلت في طامتها" [١].

يرى النحاة التذكير هو الأصل والتأنيث فرع عليه لذا احتاج إلى علامات ووضعوا قواعد لما يطّرد منه [٢]، نحو واجب التأنيث نوعان:

١- المختوم بالإلف والتاء سواء كان مفرده مؤنثاً نحو شجرة شجرات أو مذكراً كاصطبلات ودريهمات، أو جائز التذكير والتأنيث كحمامات.

٢- جمع التكسير لغير العقلاء، سواء كان مفرده مؤنثاً كجواهر أو مذكراً كرماح.

- **جائز التذكير والتأنيث نوعان:**

١- جمع التكسير للعقلاء سواء كان مفرداً مذكراً أو مؤنثاً كأنبياء وثواكل.

٢- اسم الجنس الجمعي: التمر والبقر وتميم... قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القمر: ٢٠)، و ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (قّ: ١٠) [٣].

إن التأنيث للاسم وليس للفعل لذا احتاج العلامة عندما يكون الفاعل مؤنثاً نحو: قامت هند [٤].

وقسموه على نوعين حقيقي كإنسان وحيوان ومجازي كشجرة ودار. ويقسم من حيث العلامة: لفظي كحمزة وطلحة ومعنوي كسعاد وعين وبئر...

اما البيانيون فعدّوا المخالفة فيهما من الحمل على المعنى [٥] كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر كقولهم: (ثلاثة أنفس) والنفس مؤنثة لأنهم حملوا معنى الإنسان [٦].

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢/٢٢ و الخصائص ٣/ ٢٤٢ والمخصص ١٦/ ٧٥ والمذكر والمؤنث، ابن التستري ٢٨ وابن يعيش ٦/ ٩٦.

(٣) أزاهير الفصحى ١٦٨.

(٤) الخصائص ٣/ ٤٤ وشرح الجمل ٢/ ٣٦٩، ابن يعيش ٦/ ٢٩٩.

(٥) الصاحبي ٢٥٣ والجامع الكبير ١٠٦.

(٦) الصاحبي ٢٥٣.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٨)، أي هذا الشخص المرئي. ويرى أبو حيان ذلك لغة قليلة.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، لأن الوعظ والموعظة واحدة [١]، و﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ (المزمل: ١٨)، حمل على السقف [٢]، (إنّ رحمت الله قريب من المحسنين) أريد بالرحمة هاهنا المطر بدليل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٥)، حمل (ملة) على (دين).

وثمة آراء مختلفة في تخريج ذلك كمراعاة الفاصلة أو مناسبة الخبر، أو تخريجها على أنها لغات قليلة.

ومنهم مَن عدّها ضرورة – في غير لغة القرآن- [٣]، وثمة طريقة للبيانيين تسمى (علل الاختيار) يستنبطون معاني دقيقة منها وأسرارا بيانية [٤]. والشواهد على تذكير المؤنث وتأنيث المذكر في أسلوب القرآن كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٤)، أوّلَ المبرد الأعناق بالرؤساء فعلى الأصل [٥].

وقال الزجاج: " أخبر عن المضاف والمضاف إليه وهو (هم) في أعناقهم،

(١) الخصائص ٢/ ٤١٣.

(٢) الكتاب ١/ ٤٧ والصاحبي ٢٥٤.

(٣) ينظر: ما يحتمل الشعر من ضرورة، السيرافي ٢٥٥ والكامل ١٤١/٢.

(٤) ينظر: علل الاختيار في تفسير البحر المحيط ١٢١-٢٢٦.

(٥) ما يحتمل الشعر، السيرافي ٢٦٠.

وليس عن الأعناق، ولو كان كذلك للزم أن يقال: خاضعين خبر عن المضاف، لأن الأعناق بمعنى الرؤساء ويكون خبراً من مضاف محذوف تقديره: أصحاب أعناقهم" [١].

- ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود: ٦٧)، قد يكون محمولاً على جمع (الصياح) لشدّة الصيحة.

- ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٩)، على معنى البلد [٢].

- ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الزخرف: ١١)، محمول على معنى البلد [٣].

- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ (التوبة: ٥)

- ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ ... ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ (القمر: ٧، ٩)، خرّجوا (خشعاً) على لغة (أكلوني البراغيث)، و(كذّبت) تكذيب قوم بعد قوم.

- ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا

(١) إعراب القرآن ٢/٧٤١.

(٢) الكشاف: ٧٤٨.

(٣) الصاحبي ٢٥٤ والكشاف ٧٤٨.

سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٧).

- ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ (سورة الانعام: ١٥٨) .

- ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يوسف: ٣٠)، لم تلحق تاء التأنيث لأنه جمع تكسير المؤنث ويجوز فيه الوجهان [1].

- ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٧)، قد يكون محمولاً على معنى الجمع (أفراد الطائفة).

- ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٣)، قدّروا (هذا القرآن بصائر).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٩)، قد يكون محمولاً على معنى (الملائكة) .

- ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠)

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾ (سورة الممتحنة: ١٢).

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٦٦.

- ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ (سورة المائدة: ٥)

- ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٣)، على تقدير (شيئاً قريباً) في معنى اليوم أو في زمان قريب. وقد علل المفسرون والنحاة أكثر هذه الشواهد من باب الحمل على المعنى أي حمل التذكير على معنى التأنيث والعكس لتوسع المعنى، وهي من الظواهر التي تشير إلى نظام العربية وإن بدت الشواهد خارجة عن القياس المنطقي ومنهم من لجأ إلى تقدير محذوف ينسجم مع دلالة الجنس في الآية. وإلى تأويلات مختلفة بحسب شواهد التذكير والتأنيث [١].

الإفراد والتثنية والجمع:

بحثوا ذلك في الحمل على المعنى وموضوع مخاطبات القرآن الكريم [٢]، وهو موضوع واسع تشترك شواهده مع الظواهر اللغوية السابقة والأصل أن يدل المفرد على المفرد والمثنى على المثنى والجمع على الجمع حقيقة ولا يخرج عن الأصل إلا بقرينة كمجيء المفرد بمعنى المثنى والجمع وتقليباتها التسعة، وهي قسمة منطقية ذلك أن بعض الأقسام لم يرد فيها شاهد قرآني كالمفرد بمعنى المثنى.

أما الجمع بمعنى المفرد والعكس فمن خلال التصور أن له اجزاءً فتجمع للشيء الواحد أو لفظها مفرد ومعناها جمع، أو جمع الشيء بما حوله من الإمكان، وفي غيرها، ووضعه موضع الأشخاص أو جمع التكسير بمعنى الواحد، أو إفراد

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ٢/٢١، ٣٩، ٤٧، ٣/ ٣٢٥، ٥٦٢، وإعراب القرآن المنسوج للزجاج ٢/ ٦١٢، وأمالي ابن الشجري ٢/٥٥، والكشاف ٣٧٣، ٤٠١، ٤٢٤، ٧٤٨، ٤٩٠، ٨٦٥، والأشباه والنظائر ٣/ ٩٧، وتحفة الطالبين لابن طولون، المورد مج ١٧ ع٤ سنة ٨٨، ص ١٩، والبيان في روائع البيان ١/ ٢٨٦ وقضايا التقدير النحوي ٢٣٣، ٢٦٠.

(٢) البرهان، الزركشي ٢/ ٢١٧ ومعترك الأقران ١/ ٢٢٩ والإتقان ٣/١٠٢.

الضمير على معنى الجمع أو الجنس [١].

والمفرد المضاف إلى الجمع تكسبه الإضافة جمعاً كما يكتسب المضاف من المضاف إليه معنى التثنية والتذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة سبأ: ١٥)، والمفرد المضاف إلى غير الجمع

- ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة النحل: ١٨)

- ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة الحج: ١٩)، على معنى جمعين أو فوجين لأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين، قال الله عزّ وجلّ ثناؤه: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة صّ: ٢١-٢٢).

- ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ (سورة الحجرات٩)، حمل على المعنى فجمع الضمير العائد على (الطائفتين) لأن الطائفة تفيد الجمع، ولو قال: اقتتلا جاز.

- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة فصلت ١١) [٢].

---

(١) الصاحبي ٢١٣ وفقه اللغة ٢١٤ والبحر المحيط ١٩/٥.

(٢) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٨ ومعاني الفراء ٢/ ٢٢٠، ٣/ ٧١، والكشاف: ٩٦٥.

وخطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة طه ٤٩)، أي ويا هارون وفيه وجهان: إنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية، ولأنه صاحب الرسالة، والآيات وهارون تبع له [١]. ومثله:

- ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ (سورة طه ١١٧)، إفراده بالشقاء لأنه المخاطب أولاً والمقصود في الكلام وقيل: لأن الله تعالى جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجال وقيل: إغضاء عن ذكر المرأة، كما قيل: من الكرم ستر الحرم [٢].

- خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة ق: ٢٤) المراد: (مالك) خازن النار، وقال الفراء: الخطاب لخزنة النار والزبانية. وأصل ذلك أن الرفقة أدنى أن تكون ثلاثة، ألا ترى أن الشعراء يقولون: يا صاحبيّ ويا خليليّ وهذا من سنن العرب في مخاطباتها وشعرها والقرآن نزل بلغة العرب [٣].

ومن التفسيرات: الحمل على معنى الجمع للمفرد لأنه قد يكون معناه جمعاً ولفظه مفرداً نحو قولهم: (لكثرة ما فيه من أجزاء) نحو قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الاعراف: ٢٠٣) و ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ٧٧) يكون للمفرد والجمع [٤]. و ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة التحريم: ٤).

---

(١) الإتقان ٣/ ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه ٣/١٠٢.

(٣) البرهان ٢/ ٤١٧ والصاحبي ٢١٩، ٢١٠.

(٤) البحر المحيط ٨/١٦٤.

ومنها: تأثير السياق والموسيقى في استبدال صيغة بأخرى [١] كالفاصلة نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (سورة الفرقان: ٧٤)، انسجاماً مع الفاصلة قبلها. وإما لأن المعنى: واجعل كل واحدٍ إماماً [٢]، وخلطوا هذا النوع بالالتفات ووجوه الخطاب في النص القرآني وذكروا أكثر من أربعين نوعاً مختلفاً متداخلاً منها: خطاب الجمع بلفظ الواحد وعكسه، وبلفظ الاثنين وعكسه، والاثنين بلفظ الجمع وعكسه. قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٤٣) فهو موضوع عام، تدخل فيها الخلافات بحسب الآراء في التفسير والمنهج وليس عدولاً واضحاً.

منه خطاب الواحد بلفظ الجمع، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٩) أي أرجعني، وإنما خاطب المعظم بذلك، وقيل: (رب) استغاثة، و(ارجعون) خطاب للملائكة فيكون التفاتاً أو جمعاً لتكرار القول.

ومن تفسيراتهم: ما سميّ بعلل الاختيار كالموازنة بين قوله تعالى في سورة الشعراء (آية١٦): ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾، لم يثنِ كما في سورة طه (آية ٤٧): ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، إما لأنه مصدر بمعنى الرسالة فجاز أن يقع مفرداً خبراً لمفرد فما فوقه، وأما لكونهما ذوي شريعة واحدة فكأنهما رسول واحد، وأريد بقوله (إنّا) أي كل واحد منّا رسول [٣].

ومنها بحسب تفسيراتهم وحدودهم العقلية وعلمهم الدنيوي نحو قولهم في

---

(١) السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، مجلة آداب المستنصرية ع٤ سنة ١٩٧٩ ص ٤٩.

(٢) البحر المحيط ١٣٤/٨، وتفسير أبي السعود ٢٣١/٦ وعلل الاختيار ١٢٣.

(٣) البحر المحيط ١٤٥/٨ وعلل الاختيار في تفسير البحر المحيط ١١٩.

الآية الكريمة: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الرحمن: ٢٢) قالوا: ذكر المثنى وإرادة الواحد لأنه يخرج من أحدهما. و ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ (سورة النحل: ١٤) قالوا: الحلية تخرج من الملح، ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة نوح: ١٦)، أي إحداهن [١] وغير ذلك من تفسيرات بحسب الطاقة العقلية وما توصل إليه العلم في العصور المختلفة وهي تفسيرات محدودة فيقولون بمدلولات ليست حقيقية، ذلك أن الله اعلم بمراده ناهيك عن اختلافاتهم بحسب ثقافاتهم وفهمهم للنّص كقول الفراء في قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة ق: ٢٤)، قيل هو خطاب للملك، وقال المبرد: ثناه على (ألقِ) والمعنى ألقِ ألقِ. وخالفه أبو إسحاق الزجاج وقال: بل هو مخاطبة للملكين [٢].

ويرى د. إبراهيم السامرائي إنها مواد تاريخية احتفظت بها لغة القرآن قبل تطورها إلى هذا الشكل، ودعا إلى نحو جديد يقوم على عربية معاصرة لا اللغة العربية القديمة المهجورة، وميزه عن النحو التاريخي القديم الذي اندرست كثير من مواده [٣].

ومنه ما أطلقوا عليه: إطلاق الشيء والمراد غيره

- ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة النمل: ٣٥)، قالوا: الرسول كان واحداً والدليل قوله تعالى: (ارجع إليهم) فعدّوه من إطلاق الجمع وإرادة الواحد.

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الملك: ٤) قالوا: المراد: كرات فهو من إطلاق

---

(١) ينظر: البرهان ٣/٣.

(٢) البرهان ٣/ ٢٤.

(٣) النحو العربي في مواجهة العصر ١٩٩-٢١٧.

لفظ التثنية والمراد الجمع.

ومنه ما يعدّوه عدولاً عن القياس النحوي بحسب الصنعة النحوية كقوله تعالى:

- ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ ﴾ (سورة الأنبياء: ٣) [١]، ذلك إن الصنعة النحوية توجب إفراد الفعل: (أسرَّ)

(١) لمزيد من التفصيلات والآراء والشواهد، ينظر: البرهان، للزركشي ٣/ ٦-٨، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/ ٧٦٣، وبدائع الفوائد ١/ ١٨، والإتقان ١/ ٢٨٦، وسيبويه والقراءات ٢١٦ وصفاء الكلمة ٢٢١، وبلاغة الكلمة ٧٨.

الفصل الرابع

العدول الصناعي (النحوي)

نقصد بالعدول الصناعي ما ينضوي تحت مضلة التقدير بحسب الصنعة النحوية والمعايير العقلية التي وضعها النحاة، كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير، وكذلك الالتفات والتغليب وغيرها. ويشترط فيه مراعاة المعنى والصناعة النحوية، أي القواعد المتفق عليها لكي لا تتقاطع معها، والتسليم بالأصيلية والفرعية ، فالأصل عدم الحذف وعدم الزيادة والترتيب المعين [1].

وقضية التقدير النحوي لا بدّ من تقبلها والإقرار بها، وإن كانت أقرب إلى المنطق العقلي لا الاستعمال اللغوي ذلك أنها مرتبطة بالعقل. وقد أخذ بها الدرس اللغوي الحديث.

إنّ "فلسفة التقدير في النحو تتشابه في جوهرها مع النظرية التحويلية فكلتاهما تصدر من أساس عقلي والبنية العميقة عند التحويليين هي -غالباً- الأصل المقدر عند اللغويين القدماء" [2].

وقد أخذ أصحاب التيسير النحوي المعاصر [3] على النحاة تقديراتهم المتمحلة وسخر بعضهم منها ودعا إلى إلغائها، متابعاً في ذلك المنهج الوصفي. ثم عاد مقراً بالتقدير بعد ظهور نظرية جومسكي التوليدية التحويلية التي ترى ما يحذف أو يتغير في السطح هو موجود في البنية العميقة.

إنّ نصاً كالنصّ القرآني يضطر مفسّره إلى اللجوء إلى التقدير والتأويل في تفسيره قال بلاشير: " أمام هذا النصّ الشائك بصعوباته، الكثير الغموض، والمدهش بأسلوبه الإيجازي الذي يغلب عليه التلميح، نتوقف متلمسين الفكرة الرئيسة التي تصل فيما بينها بمنطق كامل قصصاً وشروحاً يصعب الكشف عن ترابطها" [4].

---

(١) ينظر: ظاهرة الحذف ١٥٥-١٧٠.

(٢) قضايا التقدير النحوي ٢٥٣، ٣٩٤، وينظر: ظاهرة الحذف ١٥٧، ودراسات في علم اللغة، القسم الثاني ٢٣، ١٨٧.

(٣) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة ٥٩.

(٤) القرآن، نزوله، تدوينه، بلاشير ٤١.

الحذف والتقدير:

عُرف بأسماء مختلفة: الاتساع، والاختصار والإيجاز، والاختزال والإضمار والتصرّف في تأليف الكلام وشجاعة العربية والوجازة والاختزان [١].

وقال البلاغيون الحذف خلاف الإيجاز ، أن يكون في الحذف ثم مقدّر والحذف إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل وإلاّ سُمّي اختصاراً [٢]، ويبدو أن عناية البلاغيين بالإيجاز وعناية النحاة بالحذف الذي يقدّر في الكلام. قال عبد القاهر: "ما من اسم محذوف في الحالة التي ينبغي فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره" [٣].

وعدّ ابن السرج الاتساع ضرباً من الحذف "إلاّ إن الفرق بينهما انك لا تقيم المتوسع فيه مقام المحذوف، وتعربه بإعرابه. وفي الحذف تحذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب. والاتساع العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف أو الظرف مقام الاسم" [٤]، نحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة يوسف ٨٢) والمعنى: أهل القرية، و﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (سورة البقرة ١٧٧).

إن اصطلاح الاتساع لدى النحاة واسع يشمل دلالات من طرائق التعبير التي يخرج بها المتكلم عن السنن الأصولية [٥].

وثمة اصطلاحات بيانية وبديعية لأنواع الحذف تختلف عن الحذف

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه ١/٢١، والأصول ٢/ ٢٦٥، والمقتضب ٤/ ٢٠٦، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ٤٧١، والتأويل النحوي ١/ ١٣٣، والبيان في روائع القرآن ١/ ٨٣، ٢/ ٩٠٤، ودفاع عن البلاغة ١٠٣، وجماليات المفردة القرآنية ٢٦٩.

(٢) ينظر: الجامع الكبير ١٢٤، والبرهان للزركشي ٣/ ١٢.

(٣) دلائل الإعجاز ٩٤.

(٤) الأصول ١/٩٣ والأشباه والنظائر ١/ ١٣.

(٥) ينظر: حيوية اللغة ٢٩١، ٣٠٠.

النحوي نحو:

- الاقتطاع وهو حذف بعض الكلمة نحو: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة الزخرف: ٧٧)، قرأت يا مال، والاكتفاء بأحد المتلازمين ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ٢٦) أي والشر، و﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الصافات: ٥) أي والمغارب. والكف وهو "ان يكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل علي الكلام" [(١)].

والحذف شامل لأبواب النحو كحذف المبتدأ، الفاعل، الصفة، المفعول، المنادى... وحذف الجملة وشبه الجملة وجزء من الجملة كحذف المتقايضين والجار والمجرور والشرط وفعله والضمير وقد استقصاها الحموز في المجلد الأول الذي حوى (٨٣٨) صفحة من كتابه (التأويل النحوي) فضلاً عن كتابه الآخر، (الحذف في المثل العربي).

وأكثرها تقديرات بحسب فهمهم للنص وتفسيراتهم، غير متفق عليها، وبحسب المنطق والمعايير النحوية والتأويل.

منها أن يقتضي الكلام شيئين فيعود الضمير على أحدهما دون الآخر كقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة التوبة: ٦٢)، أو أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما نحو: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة طه: ٤٩).

وهو موضوع واسع والذي يهمنا منه علاقته بالعدول عن نظام العربية وما فيه من مشكل يتصل بلجوئهم إلى التأويل فيه وإلى تقدير محذوف ليستقيم مع قواعد النحو أو ما سماه ابن الأثير بالحذف الذي يوجب الإخلال في الكلام ولا يحسن

---

(١) البرهان، الزركشي ٣/ ١٧، وينظر: تأويل مشكل القرآن ٢١٠ والصاحبي ٢٥٦.

استعماله في التأليف لكنه سمع عن العرب [١]. فقد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه كتقديرهم (موجود) أو (لنا) خبراً محذوفاً في: (لا إله إلا الله).

وقد اخذ بعض المعاصرين على النحاة تشتت الحذف في أبوابهم المختلفة والاهتمام بالتطبيق لا التنظير في دراسته، وضرورة وجود تركيب أصلي يقاس عليه الحذف والزيادة والتغيرات الأخرى [٢].

واشترطوا دليلاً أو قرينة تدل على المحذوف سواء كان مطلقاً أو معيناً وإن كان افتراضياً يعتمد على التفسير والتأويل والتقدير وكثيراً ما يختلفون في تقدير المحذوف بحسب فهم المعنى وما تلزمهم نظرية العامل من تقدير عوامل نحو: (أهلاً وسهلاً) أي نزلت أهلاً وحللت سهلاً.

أما الفضلة فلا يشترط لحذفها دليل ويكثر فيها الحذف! [٣] والدليل إما عقلي وإما لفظي حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلاّ بتقدير محذوف، وشرطه أن يكون طبق المحذوف وليس كالجزء ولا مؤكداً لأن الحذف مضاف له ولا يؤدي إلى اختصار المختصر، وألا يكون عاملاً ضعيفاً ولا عوضاً عن شيء... وألا يخالف الأصول وغير ذلك مما هي صناعة نحوية معيارية منطقية يكثر فيها الخلاف [٤].

أما أسبابه فأهمها: الاختصار وذكر الأهم والتخفيف نحو (لم يك) و(بسم) لكثرة دورانه في الكلام، ورعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ (سورة الفجر: ٤) وصيانة له وصيانة اللسان به، ولشهرته، والتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهم كما في أسلوب الإغراء والتحذير. وقصد العموم نحو: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ (سورة الفاتحة: ٥)، وبعضهم علل أسباب الحذف بأنه من طرائق العرب في

---

(١) الجامع الكبير ١٤١.

(٢) ظاهرة الحذف في الدرس النحوي ٣.

(٣) البرهان، الزركشي ٣/ ١٠٥.

(٤) مغني اللبيب ٢/ ١٥٦، ومعترك الأقران ١/ ٣٥، ٣١١.

كلامها [١].

أما فوائده، فذكروا منها التفخيم والإعظام ولذة الذهن لذهابه كل مذهب لتشوّف المحذوف واستنباطه [٢].

إن البلاغيين أكثر عناية بهذه الفوائد والأسباب أما النحاة فبحسب التزامهم بنظرية العامل والتقدير والتأويل، ذلك بأن يجدوا خبراً من غير مبتدأ أو شرطاً من غير جزاء أو العكس أو معمولاً من غير عامل، قد يكون لتقديره أثر سلبي على المعنى أو يكون حشواً بالكلام يؤدي إلى إشكال دلالي.

كقولهم" "سواء تأتي للمعادلة بين اثنين فما زاد" لذا قدروا كلمة (أمة) محذوفة في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (سورة آل عمران١١٣)

وقالوا إن الفاء إنما تدخل على شيء مسبب عن شيء له، إذ لا شيء إلا له مسبب لذا قدّروا في الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٦٠)، (فضرب...فانفجرت). وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة طه٧٢)، و ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (سورة المؤمنون٣٣) قدّروا الهاء ضميراً عائداً لأنه في حكم المنطوق: (قاضٍ به) و(تشربونه).

وحذف المنادى في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى

---

(١) مجاز القرآن ١/١٠ وتأويل مشكل القرآن ٢٢١.

(٢) البرهان، الزركشي ٣/ ١٠٥ ومعترك الأقران ١/ ٣٠٥ ودفاع عن البلاغة ١٠٤.

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة النمل ٢٥)، أي يا هؤلاءً [١]، وقدروا حروفاً محذوفة في النّص القرآني لا يقاس عليها وذكروا شواهد لها كثيرة كحذف (لا) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (سورة يوسف: ٨٥)، التقدير لا تفتأ و﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (المائدة: ٢٩)، التقدير: ألا تبوء و ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾ (سورة البقرة ١٨٤) أي لا يطيقونه على قول [٢].

وحذف الجار ثم إيصال الفعل المجرور به كثير في النص القرآني نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم ﴾ (سورة الأعراف ١٥٥) أي (من قومه) و ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة ٢٣٥) أي على عقدة النكاح.

وحذف ياء المتكلم، كثير كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة المؤمنون٩٩) أي أرجعني وقيل (ربِّ) خطاب الله تعالى. و(أرجعوني) خطاب للملائكة أي التفات وليس خطاب الجمع بلفظ الواحد. وقال السهيلي، وهو قول من حضرته الشياطين فلا يدري ما يقول من الشطط، وقد اعتاد أمراً يقوله في الحياة من ردّ الأمر إلى المخلوقين [٣].

وحذف الياء لغرض صوتي نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٣٧، والبرهان ن الزركشي ٣/٩٤، وشرح ابن يعيش ٢/ ٣٩ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/ ١١، ٤-٤٣.

(٢) البرهان للزركشي ٣/ ٢٠٩.

(٣) الإتقان ٣/ ١٨٩.

سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة الشعراء ٦٢) و ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ٧٨-٨١).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ... ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ...﴿ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ (سورالرعد: ٣٠، ٣٢، ٣٦).

قال الدكتور إبراهيم السامرائي: لا سبب يدعو إلى حذف الياء هنا إلا السبب الصوتي [١].

وقد عدّ النحاة حذف الياء جوازاً من الشواذ إلاّ في:

- ياء المخاطبة، إذا كانت فاعلاً في محل رفع لا يجوز حذفها كقوله تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (سورة آل عمران ٤٣}.

- وان كانت للمتكلم كانت محل نصب أو جر، وهذه يجوز حذفها في ثلاث مواضع:

١- النداء نحو: (يا قومِ) و(يا عبادِ) و(يا بن أمِ).

٢- للتخفيف: كثير في القرآن متصلة بالاسم نحو: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة إبراهيم: ١٤) و﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الرعد٣٢) و ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (سورة الرعد ٣٠) والمتصلة بالفعل كقوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن

(١) من بديع لغة التنزيل ١٤٤.

يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الكهف ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الدخان ٢١) و ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ (سورة يسٓ: ٢٣).

٣- للازدواج ومراعاة الفواصل كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة الفجر ١٥ - ١٦) ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾ (سورة الحجر٦٨) و(تُخْزُونِ).

- وفي اخر الاسم المنقوص للتخفيف كقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة غافر ٣٢) و ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (سورة البقرة ١٨٦) و ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة القمر ٦).

- وفي آخر الفعل المعتل جاز حذفها في موضعين:

١- للازدواج ومراعاة الفواصل كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الفجر ٤)

٢- وللتخفيف نحو (يدعُ الداعِ) [1].

حذف الأجوبة كالشرط والقسم والطلب وهو كثير في النصّ القرآني نحو: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ

(١) ينظر: الإتقان ٤/ ١٤٩-١٥٠، أزاهير الفصحى ٣٧٠ و (الرسالة العدوية في الياءات الإضافية) مجلة المورد مج ١٧، ع ١٤ سنة ٨٨ ص ١٦٦.

﴿ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة الرعد: ٣١)، التقدير، لكان هذا القرآن، لعلم المخاطب وللتعظيم وقصد المبالغة [١]، فضلاً عن جمال حذف جواب الشرط.

- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة النور: ١٠)

التقدير: لهلكتم ولم يبق لكم باقية أو (لأصابتكم مصيبة) [٢].

- ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الفرقان: ٣٦)، التقدير: فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم [٣] فحذف جواب الطلب.

أما حذف جواب القسم فقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ ﴾ (سورة النازعات: ١) و﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ (سورة ص: ١) وفي ذلك خلافات.

- وحذف جواب (أما) كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٦)، التقدير: فيقال لهم.

- ومن شواهد حذف الحرف في النصّ القرآني: قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة هود: ٦٠)، والتقدير بربهم وقوله تعالى:

---

(١) ينظر: الكشاف ٥٤٠، والبرهان للزركشي ٣/ ١٨٣ وجماليات المفردة القرآنية ٢٧٣.

(٢) البرهان، الزركشي ٣/ ١٨٧.

(٣) البرهان، الزركشي ٣/ ١٨٢.

﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف ١٤٥) والتقدير أن يأخذوا.

ويلاحظ الناظر في النصّ القرآني: "أن الإيجاز مناط السور المكية وأن الإطناب أو دقة التفصيل مناط السور المدنية، ذلك لأن المرحلة المدنية من نزول القرآن مرحلة تشريع فتطلّب الأمر بسط الأمور الفقهية للمؤمنين... خلافاً لمضامين السور المكية، فهي تدور حول فكرة التوحيد وأمور الغيب والترغيب في وصف الجنة والترهيب في وصف أهوال النار" [١] وهذا ما تعنى به البلاغة إذ لكل مقام مقال، ومقام الإيجاز ينأى عن مقام الإطناب.

أما تفسير الحذف لدى المعاصرين في الأسلوب الفني فقد يعمد الأديب إلى إسقاط بعض عناصر التركيب اللغوي لغايتين:

الأولى: التعبير الأدبي الذي يوجبه ذوقه الرهيف وحسه اللغوي لا تتحقق ما لديه من معانٍ إلا بهذا الأسلوب.

الثاني: تنشيط خيال المتلقي للبحث عن أسرار الحذف وتقديره وهي غاية فنية "فالأدب الجيد ليس بثاً مباشراً... ولكن لون من التضليل والغموض.. الذي يثير ذهن المتلقي ويحرك خياله. "وهو بذلك يحقق المتعة الفنية للمتلقي" [٢].

التقديم والتأخير

أطلق عليه المعاصرون اصطلاح: الترخصّ في الرتبة، وبعضهم أطلق عليه: الانزياح الموضعي، الذي يحقق أمرين: توليد تركيب جديد مغاير للتركيب السابق نسقاً، وتحقيق مستوى دلالي جديد [٣].

وفي الموروث النحوي وضع النحاة معياراً يقيسون عليه ترتيب الجملة: الفعلية (فعل+فاعل+تكملة)، والاسمية: (المبتدأ+الخبر+التكملة) وهو معيار منطقي

---

(١) جماليات المفردة القرآنية ٢٦٩.

(٢) علم المعاني، د. حسن طبل ٩٤.

(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن ١/ ٦٧، ٢/ ١٠٠، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٧ وقضايا التقدير ٢٩٩، ٣١٤ والثورة اللغوية، جومسكي ١٢٦.

افتراضي بحسب الصنعة النحوية لا الواقع ألاستعمالي للغة، وقد عدّ بعضهم الخروج على هذا المعيار لحناً أو لغة شاذة كلغة: (أكلوني البراغيث). وقد أجمع على تأييدها كثيرٌ من القدامى [١] والمعاصرين [٢] ومنهم مجمع اللغة العربي في القاهرة [٣]. ذلك أن هذا الأسلوب وردّ في النص القرآني كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة ٧١) وقوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ ﴾ (سورة الأنبياء٣).

أما منهج البلاغيين فينأى عن منهج النحاة في تناول (التقديم والتأخير)، قال ابن الاثير: "فإن لنا تقديماً وتأخيراً لا يتعلق بالنحو" [٤] إذ يستنبطون منها معاني ثانية وأسراراً بيانية لم يصرح بها النص تصريحاً مباشراً كالاهتمام بالمقدم وتشريفه وتعظيمه والحث عليه، أو لكثرته أو لرعاية الفاصلة أو للتوكيد وتقوية المعنى وغير ذلك من أسرار التقديم العامة ناهيك عن أسرار خاصة ينفرد بها بعض المتذوقين للنص القرآني. فضلاً عن اهتمامهم بوقع التقديم والتأخير في القلوب وعذوبة مذاقه، إذ "يكسب الكلام جمالاً وتأثيراً لأنه السبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساس المتكلم وصدق مشاعره" [٥].

إن طريقة ترتيب ألفاظ التركيب تشير إلى دلالات أسلوبية يهتم بها البلاغي أكثر من النحوي.

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه ٢٣٦/١، ٤١/٢ والمقتضب ٢١١/٤ ومعاني القرآن ١/ ٣١٦، والخصائص ٢٨٤/٢ ومغني اللبيب ٦٨٥/٢ وشرح التصريح ٢٧٠/١.

(٢) ينظر اللهجات العربية، د. عبد الغفار حامد ٣٣٧ وأثر النحاة في البحث البلاغي ٨٠، ٢٠٧، ٣٠٥.

(٣) ينظر: في أصول اللغة ٢/ ٢١٠

(٤) الجامع الكبير ١٠٨، وينظر: الفلك الدائر ٢٤٦/٤ والفوائد المشوق ٨٢.

(٥) صفاء الكلمة ١٩٤، وينظر: التعبير القرآني ٤٩ وعلل الاختيار في تفسير المحيط ١٤١ وعلم المعاني (طبل) ١٠٩.

إلا أن البلاغيين اتخذوا المعيار الذي وضعه النحاة للتقديم والتأخير أصلاً في تحديد التقديم والتأخير فقد ابتكروا مفهوم (الرتبة المحفوظة) أي الأصل والمعيار لمواقع الكلمات في الجملة وضرورة مراعاتها. ثم سمحوا بحرية المتكلم أو (الرتبة غير المحفوظة) وهذا يدل على أنه افتراضي. والذي أدى بهم إلى ذلك التزامهم بنظرية العامل التي تلزم بأن رتبة العامل التقديم على المعمول، وأن العامل المتأخر ضعيف أولاً يعمل. لكنهم يلتزمون بالرتبة عند وقوع اللبس كعدم ظهور الإعراب نحو قولهم (ضرب عيسى موسى) لابد تقديم الفاعل [١].

والشواهد على ذلك كثيرة نحو: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٩)، والأصل لديهم: يؤتي من يشاء الحكمة.

وقد تناول ابن جني ذلك تناولاً عقلياً في باب (نقض المراتب إذا عرض هناك عارض). قال: "فمتى رأيت الشاعر ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وإغراق الأصول بها، فاعلم ذلك على جشمه منه وإنْ دلّ من وجه على جوره وتعسّفه، فانه من وجه آخر مؤذنٍ بصياله وتخمطه (تكبره) وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا مقصوره على اختياره الوجه الناطق بفصاحته" [٢] وعدّ ذلك من شجاعة العربية.

وقد اخذ بعض المعاصرين على النحاة والمفسرين أنهم عاملوا النص القرآني كما عاملوا أقوال البشر "ذلك أن القرآن لم يخالف الأصل الذي افترضه النحوي بل إنّ النحوي جاهل بالنظام كله ومنه الترتيب... فالترتيب القرآني هو الأصل" [٣] أما الترتيب الذي يفرضه النحاة فيحدث معنى غريباً عن القرآن.

ومهما يكن من أمر فإنّ ظاهرة التقديم والتأخير في النصّ القرآني كثيرة لكنها تدل على معانٍ ثانية وأسرار بيانية [٤].

---

(١) البيان ١/٢٣٣ وحيوية اللغة ٣٠٧.

(٢) الخصائص ١/ ٢٩٤.

(٣) النظام القرآني /٧.

(٤) البناء الصوتي في البيان القرني ٤٩.

ومما قدّم والنية فيه التأخير [1]، قوله تعالى:

- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (سورة فاطر ٢٨) ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة الحج: ٣٧) و ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)، و ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة سبأ: ٢٨).

وعدّوا منه المقلوب وهو: "أن يقدّم ما يوضّحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم:

- كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ (سورة إبراهيم ٤٧) أي مخلف رسله وعده، لأن الاختلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل فتقول (أخلف الوعدَ وأخلفتُ الرسلَ).

- ومنه قوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ٧٧)، أي: فاني عدو لهم، لأن كل ما عاديته عاداك. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة النجم ٨) أي تدلى فدنا، لأنه تتدلى للدّنو، ودنا بالتدلي.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة القيامة ١٤). أي: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، يريد شهادةً جوارحه

(١) البرهان للزركشي ٣/ ٢٧٥.

عليه لأنها منه فأقامه مقامها.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ٤٠)، أي بلغته.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (سورة القصص: ٧٦)، أي تنهض وهي مثقلة.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ (سورة الكهف ١) المراد انزل الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ (سورة هود٧١) أي بشرناها بإسحاق فضحكت [1].

وعدّوا ذلك من سنن العرب في كلامها وشعرها نحو قولهم (عرضت الحوض على الناقة) من المقلوب [2]، وهو تفسير ليس علمياً، ذلك أن النص القرآني رسالة عامة لمتلقٍ عام، فوق المتغيرات الزمانية والمكانية، فإما أن يكون لها دلالات ثانية بلاغية، أو دلالات حقيقية يعجز العقل عن إدراكها بالمنهج العقلي المنطقي، وإما أن تكون وردت في ضوء نظام لغة القرآن الدلالي، فيحمل المعنى على ضدّه أو كما قالوا (المعنى المقلوب)، ليعبر عن دلالات دقيقة فنية تأكيداً للمعنى واهتماماً به، ودعوة إلى التدبر، والله أعلم بمراده.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٨٥، ١٩٨، ٢٠٥.

(٢) الأشباه والنظائر ١/ ٢٧١.

الزيادة

من اصطلاحات النحاة الدالة على الزيادة: البسط والإقحام والصلة والتوكيد والحشو واللغو [١].

اختلفوا بوقوع الزيادة في النصّ القرآني بين مؤيد ومعارض [٢]. أما المؤيدون فيصدرون من الصنعة النحوية التي تعتمد على المنهج المنطقي الافتراضي، لا الواقع الاستعمالي، وسيطرة الناحية الشكلية، أي من جهة الإعراب لا المعنى. أما المانعون فيصدرون من موقف تنزيه القرآن عن الحشو واللغو والزيادة "لأنه يسم القرآن بما ليس فيه من ضعف في أسلوبه ولغته وعليه فلا وجه لإعجازه" [٣].

وارتبط القول بالزيادة بمسألة أصل المعنى، بمعنى أن الحرف قد يخرج عن معناه الوظيفي ليفيد معنى هو التوكيد في الغالب وكذلك اتكأوا على مسألة التعلق وعدمه بالحرف فالحرف الأصلي متعلق أما الزائد فليس له متعلق. وهي فكرة منطقية تفترض أصلاً تقاس عليه الزيادة والحذف وهو المساواة [٤].

قال ابن فارس: "العرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفها، ولعل أكثر ذلك لإقامة الشعر وتسوية قوافيه" [٥].

وتوسّعوا بفكرة الزيادة فقالوا تقع الزيادة في بنية الكلمة نحو قادر ومقتدر، ومقتدر أبلغ من قادر. وأصل (كبكبوا فيها) كبوّا [٦].

واتفقوا على أن الزيادة تقع في الأفعال والحروف، أما الأسماء فاختلفوا فيها،

---

(١) البرهان للزركشي ٣/ ٧٣ وشرح ابن يعيش ٢٨/٨ أو الأشباه والنظائر ٣٠٤/١ ومعترك الأقران ٣٣٣/١.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٨٠ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ١٤٠/١، ٢/ ٦٦٧ والرد على النحاة ٧٤.

(٣) البرهان للزركشي ١٢/٣ والواو المزيدة ٣٣.

(٤) البرهان للزركشي ٣٠٤/٣ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤٧١/٢ ونظرية اللغة في النقد ٢٩ وزيادة الحروف بين التأييد والمنع ١١-١٢، ١٤.

(٥) الصاحبي ٢٢٧.

(٦) البرهان للزركشي ٣/ ٧٥.

لكن أكثر وقوعها في الحروف [١].

لذلك سنركز بحثنا على زيادة حروف المعاني في النصّ القرآني وأسرارها البيانية.

أما حروف الزيادة التي نصوّا عليها في النصّ القرآني فهي: إنْ، وأنْ، ولا، وما، ومن، والباء، واللام، والكاف، وإلا الاستفهامية، وأما، وهاء التنبيه، وكأن، ولكن للاستدراك، وليت، ولعل، وقد، والسين، وسوف، ونونا التوكيد، ولن، وما وغيرها [٢]. والأكثر استعمالاً هي (الباء وما ومن وان ولا وأل) والأقل استعمالاً هي (في، الكاف، ثم، إن، إلى، عن). وقصروا ذلك على السماع.

قال ابن جني: القياس "الاّ يجوز حذف الحروف ولا زيادتها" [٣].

أما فائدة الزيادة فللتوكيد والإيضاح والتفسير وقد عدّ البديعيون ظواهر لغوية كثيرة من الزيادة اللفظية والمعنوية تناولوها في المحسنات اللفظية والمعنوية [٤].

وثمة ملحوظات ومؤخذات على القول بالزيادة منها: ليس كل مقام للزيادة يحتمل التوكيد، وإن حذف حرف في النص القرآني قالوا بزيادته يؤدي إلى انكسار المعنى وضياعه، بل انكسار الجرس القرآني، وتوالي أصواته يفسر المعنى وبلاغته. وكلام الله تعالى ينزه عن ذلك "ففرق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٢)، وقولنا: (ما إله إلا الله). ففي الثانية انكسر التيار الصوتي لتمدد الكلام وتسلسله وتوالي أصواته انكساراً يذهب برونقه وجمال أدائه" [٥].

أي أن نظام القرآن ونظام العربية ينبو عن القول بالزيادة والحذف، ذلك أن النصّ القرآني كما مرّ بنا وحدة مترابطة متكاملة، أصواتاً ومباني ومعاني وتراكيب، فهي زيادة بحسب المنهج النحوي الافتراضي المنطقي وبحسب تفسيرهم للمعنى

(١) التأويل النحوي ٢/ ٢٧٩.

(٢) زيادة الحروف ١١، ٣٦٣، ٧٠١.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٧٥.

(٤) ينظر: معترك الأقران ١/ ٣٣٨-٣٧٢.

(٥) زيادة الحروف بين التأييد والمنع ١٤.

واختلافهم فيه، وبحسب أقيستهم وليس بحسب نظام العربية لأنها تراكيب مقبولة غير نابية كقولهم بزيادة (أن) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٤٦)، قال الأخفش بزيادتها، والفراء بالحمل على المعنى والنحاس والزجاج قالا أصلية [1]، مما يدل على خلافهم في الزيادة بحسب تفسيراتهم والصنعة النحوية.

وخلافهم في زيادة الواو في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الزمر: ٧٣)، قال الكوفيون بزيادتها، وردّ البصريون بأنها تفيد معنى العطف والجواب محذوف.

وقولهم بزيادة (كان) في الآيات الكريمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (سورة آل عمران ١١٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٥). وقوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة مريم: ٢٩).

وزيادة (مثل) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٧) و ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن

(١) إعراب القرآن، النحاس ١/ ٣٢٥.

﴿ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (سورة الرعد: ٣٥)، وزيادة (اسم) في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة الرحمن ٧٨) و ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ (سورة الاعلى١).

وقد علل بعض المتقدمين ذلك بمجازات العرب وأساليبهم من غير ربطها بالمعنى أي تناولوها تناولاً شكلياً، معتمدين على الصنعة النحوية وعلى القراءات التي هي مستوى لغوي يغاير النصّ القرآني كأبي عبيدة وابن قتيبة [١].

إنّ المنهج المستقيم لدراسة النص القرآني ربطه بنظامه ونظام العربية من خلال الموازنات اللغوية ومتابعة اللفظ أو التركيب في النصّ القرآني نفسه ذلك إنّ نظامه واحد. وهذا ما فعله الإسكافي وابن الزبير [٢] في اختياراتهما لعلل الزيادة التي تكشف معاني بلاغية عالية وأسراراً تعبيرية، وكذلك البيانيون كالإمام عبد القاهر وابن الأثير والزمخشري الذين اتخذوا منهجاً يقوم على الملاحظة الدقيقة والتذوق الفني، فلا يأخذون بقول النحاة بالزيادة التي تفيد التوكيد في الغالب وإنّ الحرف الزائد (دخوله كخروجه) أو أنه (لا ينفع ولا يضر) في النص.

يرى ابن الأثير: أن الألفاظ وضعت أدلة على المعاني فإن وجد خلاف ذلك في كلام فصيح فالأولى أن تحمل تلك اللفظة على معنىً فإن لم يوجد معنىً بعد التنقيب والتنقير والبحث الطويل يسأل هل هذه زائدة، دخولها في الكلام كخروجها منه.

لذلك كان ينقر لوجود معنى لكل ما قالوا فيه إنه زائد كقولهم في زيادة (أن) وهذا قدح في كلام الله تعالى ينزّه عنه وينفي الإعجاز عنه، وفسّر مجيء (أنْ) بعد (لما) لطول المدى بين إلقاء يوسف في الجب إلى أن جاء البشير إلى أبيه يعقوب -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة

(١) ينظر: مجاز القرآن ٨/١، وتأويل مشكل القرآن: ١٢٢، والصاحبي ٢٢٨ والدر الدائر المنتخب ٢٣٠.

(٢) في (درة التنزيل) للإسكافي و (ملاك التأويل) لابن الزبير الثقفي.

يوسف: ٩٦)، " ولو لم يكن ثمّ مدة بعيدة وأمدٌ متطاول لما جيء بـ (أن) بعد (لما) وقبل الفعل بل كانت تكون الآية: (فلما جاء البشير ألقاه على وجهه)، وقال: "وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لأنها ليست من شأنهم" [١].

وتبعه الرافعي بأنها تشير إلى بعد المدّة بين البشير ومجيئه والانتظار بقلق واضطراب وتدل عليها غُنّةَ النون في الكلمة الفاصلة (أنْ)، وبهذا ينفي الزيادة لأن ثمة معنى. ومنهج الرافعي متابع لعبد القاهر والزمخشري وابن الأثير وغيرهم، قال: "ما في القرآن من حرف واحد إلا ومعه رأي يسنح في البلاغة من جهة نظمه ودلالته أو وجه اختياره" [٢].

وكذلك قوله تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ (سورة الحجرات: ٢).

- ﴿ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة يونس: ١٠)، شواهد على زيادة (أنْ) لدى النحاة.

وأخذ ابن الأثير على النحاة بأنهم لا فُتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث أنهم نحاة. ورأى قولهم ظنّ من حيث استواء المعنى بوجود الحرف وسقوطه، وبين الفرق الدقيق بين وجود (أن) الدال على أن الفعل إنما كان فيه تراخٍ وإبطاء" [٣].

وقد تناولت الدكتورة هيفاء عثمان ندا زيادة الحروف في النصّ القرآني تناولاً أسلوبياً ذوقياً مرتبطاً بالمعنى والسياق موسعاً يكشف عن أسرار الحروف رابطة بين معنى الآية كلها وما قبلها وبعدها ومعنى السورة العام وارتباطه بالنص القرآني وما ورد فيه من ظواهر مشابهة لتكون الفروق لمحات دقيقة وأسراراً بيانية، معتمدة على

---

(١) المثل السائر ٣/١٧.

(٢) إعجاز القرآن ٢٦٣.

(٣) المثل السائر ٣/ ١٧.

ملاحظ البيانين السابقين ولاسيما الزمخشري، ورأت لمجيء الحروف مقامات وأحوال مرتبطة بها مثل مقامات تتعلق بأمور تشريعية ربانية كريمة خاصة، ومقام الحديث عن إبليس لبني آدم والتهديد من خلال عرض وسائل الغرابة التي يصطنعها معهم وضعفه عن مواجهة الحق [١].

وسنهتم بالشواهد الواضحة العدول التي تدل على أشكال أو تقاطع مع القياس النحوي في الزيادة نحو قوله تعالى:

- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى: ١١).

- ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١).

قال الرماني (٣٨٤ هـ): "المعنى ليس مثله شيء ولا يجوز أن تكون غير زائدة لأنه يصير كفراً، وذلك أنه يكون إثبات (مثل)، ونفي التشبيه عن ذلك المثل، ويصير كأنه قال: "ليس مثل مثله شيء، وأجاز الطبري أن تكون غير زائدة [٢].

- وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩).

- وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ ﴾ (سورة النساء: ١٥٥).

الباء بمعنى سبب أي (سبب رحمة من الله) فهو في موضع اسم [٣]. ويرى الرافعي "إن للزيادة لوناً من التصوير لو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته والمراد هنا "تصوير النبي لقومه، وأن ذلك رحمة من الله فجاء هذا المدّ في (ما) وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك بأن لهجة النطق به تشعر

---

(١) زيادة الحروف بين التأييد والمنع، الباب الثاني ص ٣٥٩، ٧٠١، ٣٧٩ -٣٩١.

(٢) معاني الحروف ٤٨ وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٩١.

(٣) في عوالم القرآن ٩٣، وينظر: بدائع الفوائد ١٥١/٢.

بانعطافه وعنايته".

ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة مريم: ٢٥)، اختلفوا بالباء بين الأصالة والزيادة. وكونها أصلية خرجوها على وجوه:

تضمين الفاعل الخاص (هزّي) معنى الفعل العام أي: أفعلي الهزّ به، أو معنى (جُرّي) والحمل على المعنى، والتقدير: هزي الثمرة بالجذع، أي انفضي، والمفعول محذوف وفي ذلك آراء وخلافات.

و"ما نجده ملائماً للسياق أن يُضمن (هزي) معنى الفعل العام.. لما فيه إيجاز وهو مقصد بلاغي وهذا أليق بالمقام، إذ هي العذراء تُعاني مرة الولادة الأولى وآلامها الجسدية، وتعاني من الآلام النفسية لما هي فيه، فكان الأمر بفعل الهز هذا ومعناه بذل وسع الطاقة وقصارى الجهد والاحتشاد له، والعون من الله تعالى" [٢].

في أسلوب القرآن الكريم تصرف في استعمال حروف الجر بين الإثبات والنزع، وما يبدو زائداً أو خارجاً عن الاستعمال المألوف بحسب قواعد النحو، كقوله تعالى:

- ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٤٣) ، قالوا ضمن الفعل معنى ما يتعدى به (إلى) أي ألم تنظر.

- ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ﴾ (هود: ٦٠)، أي بربهم أو ضمن معنى محدد أو أنه منصوب بنزع الخافض أو أنه مفعول به للفعل (كفروا)

---

(١) إعجاز القرآن ٣١٧. وينظر: معاني الفراء ٢/ ١٦٥، وتفسير الطبري ٧٢/١٦ والكشاف: ٣٦٩، والبحر المحيط ١٢٣/٤، وتفسير أبي المسعود ٣٦٢/٥.

(٢) زيادة الحروف. ٣٩.

المتعدي بنفسه [١].

- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (سورة النساء: ٢)، قالوا: ضمن معنى (تضمّوا) [٢].

- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (سورة الفرقان: ٥٩)، أي عنه أو ضمن الفعل معنى ما يؤدى بالباء كالمعنى سمّى [٣].

ففي ذلك أسرار بلاغية ودلائل إعجاز وملامح أسلوبية تعين على إبرازها السياق بمعونة القرائن والمقام. لم يلحظها النحاة في ضوء منهجهم المنطقي الذي يشترط الاطراد وما خرج عنها لجأوا فيه إلى التأويل كتأويلهم معنى فعل معنى فعل آخر ومعنى حرف جر معنى حرف جر آخر.

وقد تناول بعض المعاصرين الأسرار البلاغية من وراء تنوع تعدية الفعل الواحد بحروف الجر المتعددة، أو ما سماه النحاة بنزع الخافض وزيادته ومن النتائج التي أسفروا عنها: "إن الفعل حيث يتعدى بحروف الجر المتعددة يكتسب معها من الدلالات البلاغية التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه... تحتاج من الدارس للوقوف عليها إلى مكابدة ومعاناة وإطالة تأمل حتى يستطيع النفاذ إلى ما تشي به حروف الجر من أسرارها المتنوعة التي تخلعها على الأفعال الداخلة عليها...التي لا تسفر عن وجهها وتكشف لثامها إلاّ لذي حسٍ مرهف وذوق مدرّب لدقة مسلكه وغموضه وخفائه على بعض العلماء" [٤] ففي حذف الباء في (كفروا ربهم) لمحوا سرّاً بيانياً ومعنى ثانياً هو أنه يجسّد تأصيل الكفر في نفوس قوم عاد وشناعة ما هم عليه من الكفر والبغي وإيغالهم في كفرهم إيغالا فاحشاً [٥].

---

(١) التبيان ٢/ ٩٧ وحاشية الشهاب ١٦/٥.

(٢) التبيان ١/ ٣٢٧ والبحر المحيط ٣/ ٥٠٢.

(٣) حاشية الشهاب ٣٣/٦.

(٤) من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم ٢٢٧.

(٥) من أسرار نزع الخافض في القرآن الكريم ٧٣٨.

وان لم يكن هذا الملمح الأسلوبي أو المعنى الثاني أو السرّ البياني من خلال العدول عن القياس النحوي قاطعاً أو متفقاً عليه لكنه يشير إلى المعنى المتحرك الذي يختلف بحسب الناظرين والمتذوقين في العصور المختلفة.

- قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٥)، السر البياني في إسقاط حرف الجر (من)، قال أحد الباحثين: "القصد منه النعي على بني إسرائيل لكثرة تمردهم وعصيانهم ودوام مخالفتهم لنبيّهم حتى كأنه لم يجد فيهم خياراً غير هؤلاء السبعين فهم القوم كل القوم في ميزان الطاعة والصلاح، وفي ذلك ما فيه من التلميح بكثرة العاصين وقلة الصالحين فيهم" [(١)].

أما النحاة فيقدرون حرف الجر (من) لما تقتضيه الصناعة النحوية ليتّضح المعنى (المنطقي) وقد لا يكون هو المراد لأن القرآن ليس منطقاً عقلياً بشرياً ولاسيما المنطق الذي وضعه أرسطو فللقرآن نظام ومنطق خاص به كونه رسالة شاملة للخلق جميعاً في كل زمان ومكان، وما يبدو خروجاً عن المنطق البشري هو الذي يحمل (المعنى المتحرك) للرسالة الشاملة المطلقة. ففي تقدير النحاة المعنى يتغير ذلك أن للحذف أسرار وأعمال الفكر وإطالة التأمل تهتدي اليها وهو عمل البلاغيين المختصّين بأسلوب القرآن.

- ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون: ٢٠).

اختلف النحاة في أصالة الباء وزيادتها، وفي معناها بين الملابسة والمعية والتعدية [(٢)] وقد وقعت الباء في مقام المن وتعديد النعم على العباد، الحث على شكرها، وهي التي لا تعد ولا تحصى ومنها إنزال القطر وإنشاء الحياة منه ومنها شجرة الزيتون. وقد ذكر الله تعالى ذلك بالآيتين المذكورتين قبل الآية (موضع

---

(١) من أسرار نزع الخافض: ٧١١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٠/٤، وتفسير الطبري ١٤/١٨ ومعاني الحروف ٣٩ والتفسير الكبير ٨٩/٢٣، والمفردات للراغب ٢١ والكشاف ٧٠٥، والبحر المحيط ٥٥٥/٧.

الشاهد) [١].

-﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ ﴾ (سورة القيامة١)

اختلفوا بزيادة (ألا) أو أنها بمعنى ألا ورأى الفراء ومن تبعه كالرماني إنها "ردّ لكلامهم وذلك أن القرآن كالشيء الواحد والسورة الواحدة فيأتي الجواب عما في سورة أخرى فكأن (لا) ردّ لما تكرر من إنكار البعث، ثم (قال): (أقسم بيوم القيامة) فاعلم الله تعالى أنه يقسم بيوم القيامة ولا يقسم بالنفس اللوامة [٢].

- ﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا ﴾ (سورة يونس: ٦١). زيادة (منه).

قال الشريف المرتضى "النحويون: إنه للتأكيد... (و) إن التأكيد إذا لم يُعد غير ما يفيد المؤكد لم يصحّ وقد علمنا بقوله تعالى: (من قرآن) أنه من جملة القرآن، فأي معنى لقوله (مِنْهُ) وتكراره... والصحيح أن معنى (منه) أي من أجلالشأن والقصة (من قرآن) فيحمل على الشأن والقصة ليفيد معنى آخر" [٣].

- ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝١٢ ﴾ (سورة الأعراف: ١٢)، قالوا بأنها ليست أصلية [٤] ذلك إن المعنى الظاهر (ما منعك أن تسجد).

الإلتفات:

عرّفه الزركشي بقوله "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً لذهن للسامع وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه" [٥] وعرّفه المعاصرون بأنه أسلوب أو طريقة "من طرائق التعبير

---

(١) زيادة الحروف ٤٤٣ وينظر: تفسير أبي السعود ١٨٢/٢.

(٢) معاني الفراء ٣٠٧/٣ والكشاف ١٢٠٣، ١١٦٠ ومغني اللبيب ١/ ٤٤٦.

(٣) أمالي المرتضى ٢/ ٢٩٩.

(٤) ينظر: لغويات جديدة، د. أحمد الحوفي ٥٠ وخطى متعثرة ٤٩-٦٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٦١/٣.

يكون الانتقال فيه بين الأخبار والإنشاء أو بين الخطاب والتكلم والغيبة" [١]، و"ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك هذا النسق بانتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، ومن خطاب إلى غيبة وعكسه..." [٢].

ومن تسمياته لدى القدامى: "الرجوع من الغيبة إلى الخطاب وعكسه" (مخاطبة الشخص ثم العدول إلى غيره) [٣]، و(تصريف القول) [٤] و(الانتقال من أسلوب إلى آخر) [٥] وله صلة بالعدولين (العدول النظامي)، و(العدول الصناعي) لخصوصية به إذْ تحتاج بعض شواهده إلى تدبر وتأويل لخفاء المعنى ودقته قد تكون من المشكل أو متشابه القرآن الكريم، اختلف فيها المفسرون بحسب فهمهم لمعنى الشاهد.

ذكر البلاغيون والنحاة شواهد الالتفات في ظواهر لغوية مختلفة. فمنهم جعله أحد وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن الكريم. كالالتفات من المتكلم إلى الخطاب. قال تعالى:

- ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة يس ٢٢) قالوا: الأصل (أرجع)، فالتفت من المتكلم إلى الخطاب.
- ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة يوسف ٢٩) يخاطب (يوسف) ثم يخاطب امرأة العزيز.

ومنه ما عده الزركشي قريباً من الالتفات كنقل الخطاب من الواحد والاثنين والجمع إلى الآخر [٦] كقوله تعالى:

---

(١) معاني النحو ١٥٧/١ وينظر: اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول ج١ سنة ١٩٨٤.

(٢) البلاغة والأسلوبية ٢٠٥، ٢٠٧.

(٣) الصاحبي ٢١٦ والبرهان للزركشي ٢٦٢/٢، ومعترك الأقران ٢٧٩/١.

(٤) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب ١٥٢.

(٥) البحر المحيط ٢٤/١ وينظر: الجامع الكبير ٩٨ و الطراز ١٣٢/٢.

(٦) البرهان ٣/ ٣٣٤ وينظر: الجامع الكبير ١٠١ والبلاغة الأسلوبية ٢٠٧.

- ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة يونس٧٨).

- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة طه ٤٩).

ومنه ما ذكروه في شواهد (الحمل على المعنى) و(النقل) كالرجوع أو النقل من الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر إلى الآخر كقوله تعالى:

- ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة فاطر: ٩)

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ ﴾ (سورة الحج: ٢٥)، وعكسه.

- ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (سورة الكهف ٤٧) وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٩).

وفائدة الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل "الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعاً لتنزله منزلة الواقع". والمستقبل عن الماضي لتبيّن هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه شاهد" [1].

- ومنه الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر قصد الاختصار البليغ.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

(١) البرهان للزركشي ٣٣٧/٣ وينظر: المثل السائر ٢/ ٨٣، ١٨٥-١٩١، والبلاغة والأسلوبية ٢٠٧.

(سورة الروم ٣٩).

- وقوله تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (سورة الحجرات: ٧).

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢-٩٣).

- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ ﴾ (سورة يونس: ٢٢)، قال الزركشي: "فقد التفت عن (كنتم) إلى (جرين بهم) وفائدة العدول على خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم لتعجبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة" [(١)].

ورأى أبو حيان الالتفات في هذه الآية للمبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم لتعجبهم منها وإنكارها وتقبيحها [(٢)].

واشترطوا للإلتفات أن يعود ضمير المنتقل إليه في نفس الأمر المنتقل عنه وإن يكون في جملتين مستقلتين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه [(٣)].

لكن فيما مثلوا بخرق هذين الشرطين ناهيك عن خلافاتهم الكثيرة في تحديده وشواهده وقد عدّ بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) البرهان ٣/ ٣١٨.

(٢) البحر المحيط ٥/ ١٣٨.

(٣) البرهان للزركشي ٣/ ٣٣١ ومعترك الأقران ١/ ٢٨٣.

ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧)، التفاتاً [١]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٨٣).

قال أبو حيان: "في العدول إلى الاسم الظاهر من الفخامة والدلالة على سائر الصفات والتفرد بالتسمية به ما ليس في المضمر، ولأن، ما جاء بعده من الأسماء إنما هي أسماء ظاهرة فناسب مجاورة الظاهر الظاهر" [٢].

أما أسباب الإلتفات وفوائده فقد ذكر الزمخشري ومن تبعه أنها لتطرية الكلام وإيقاظ المتلقي واستمالته في الإصغاء، وصيانة السمع عن الضجر والملل لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد "واتساع مجاري الكلام وتسهيل الوزن والقافية، ولاسيما إذا طال الكلام" [٣]، يرى البلاغيون يحسن تغيير الطريقة و"إظهار الملكة في الكلام والاقتدار على التصرف فيه" [٤]، وأنها من عادة العرب في كلامها [٥] ، "فضلاً عن الإيجاز الموحي بمعاني وصور تدور في فكر المتلقي" [٦]. ولكل موضع منه نكتة على ما يقصده المتكلم كتعظيم شأن المخاطب وقصد المبالغة والدلالة على الاختصاص [٧] وتفسيرات ذوقية مختلفة.

قال أبو حيان: "لا تحدّ بحدود ولا تضبط بضابط" [٨] أي لكل موضع فائدة.

---

(١) البرهان ٣/ ٣٢٥.

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٥٧.

(٣) جامع الكبير ٩٨ ومعترك الأقران ١/ ١٧٧.

(٤) البحر المحيط ١/ ٢٤.

(٥) مجاز القرآن ١/٧ والجامع الكبير ٩٨.

(٦) معاني النحو ١٥٨.

(٧) البرهان ٣/ ٣٢٦.

(٨) البحر المحيط ٢/ ١٧٣.

فهو نوع يسمح به نظام اللغة العربية بشرط إفادة معنى جديد وهو خفي مرتبط بالنظام، ولا مندوحة لنا عن التفسير الفني والذوقي البلاغي له.

وفي الإلتفات بأنواعه أسرار إلهية وإشارة إلى النظام المترابط من خلال خرقه ليدل عليه والتدبر فيه فضلاً عما يتضمنه من معانٍ ثانية عالية ودلائل إعجازية وأسرار بلاغية، تدل على خصوصية المعنى القرآني كونه نزل للثقلين في كل العصور كما مرّ بنا فقد ردّ ابن الأثير والعلوي قول الزمخشري ومن تبعه في إيقاظ السامع وتطريته أو استمالته في الإصغاء ذلك أن الكلام الفصيح لا يمل ولا ينقص من بلاغته لكنه أكثر بلاغة وكشفاً عن المراد [١].

وكذلك ابن الجوزي ردّ الزمخشري بأدلة من الكتاب الكريم، ففي كلام الله تعالى آيات طويلة لم يرد الالتفات ولم يتغير الأسلوب كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥) وذكر عشرة أصناف ثم ختم بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ وتبعهم د. عبد المطلب إذ لا ضابط للإلتفات وإنما يُحسن بحسب وقوعه ومقامه، لذلك سمّاها المعاصرون يبدو بالمنبهات الأسلوبية [٢].

قال الزركشي: " وإنما المناسبة أن الإنسان كثير التقلب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فإنه يكون فانياً فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضراً فيغيب" [٣].

التغليب:

عرفه الزركشي بأنه "إعطاء الشيء حكم غيره، مثل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظة عليها إجراء للمختلفين مجرى المتفقين" [٤] كتغليب العاقل على غير العاقل، والمتكلم والمخاطب على الغائب، والمذكر على المؤنث

---

(١) المثل السائر ٢/ ١٧٠ والطراز ٢/ ١٣٥.

(٢) البلاغة والأسلوبية ٢٠٦.

(٣) البرهان للزركشي ٣/ ٣٢٦.

(٤) البرهان ٣/ ٣٠٢.

والمتصف بالفاعل بما لم يتصف به.

وهو نوع من المطابقة في بعض شواهده. وقد توسع القدامى في شواهده ما يشمل غيره من العدول وبحسب اختلافهم في التفسير.

ويراعى فيه الأشرف كالأبوين للأب والأم والمشرقان للشرق والغرب، أو الأفضلية والتعظيم كتغليب المذكر على المؤنث [١] وهي أقوال غير مطردة، فقد اعترضهم (العمرين) فلجأوا إلى التأويل كالخفة [٢].

ويبدو للعرف هنا أثر في ذلك وكذلك الشهرة وأسباب أخرى مختلفة. وقد أفرد ابن كمال باشا له " رسالة في تحقيق التغليب" [٣] أراد أن يتحقق من شواهد اختلفوا فيها، وعرض لإشكالات في أقوالهم مناقشاً إياها.

قال: "إنما الاعتبار للنكتة التي تقتضيه والاختصار نكتة مشتركة بين الأقسام كلها..." [٤] كالتخصيص والتعظيم لأحدهما. وغرضه الاختصار والتخفيف في اللفظ وأنه توسع في الكلام شائع في كلام العرب، مداره على جعل بعض المفهومات تابعاً لبعض، داخلاً تحت حكمه في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمغلب بحسب الوضع الشخصي أو النوعي، ولا يحذر للواحد والتعدد لا في جانب الغالب ولا في جانب المغلوب، فإنه قد يغلب الواحد على الواحد كما في (القمرين والبحرين...) والمتعدد على الواحد. قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة التحريم: ١٢)، والقياس من القانتات.

- ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٨٣)

- ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة القيامة: ٩)

---

(١) نفسه ٣/ ٣٠٢.

(٢) رسالة في تحقيق التغليب ٩٨.

(٣) تحقيق د. صاحب أبو جناح، دار الفكر ١٩٩٤: ٩٩.

(٤) نفسه: ٩٩.

- ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (فصلت: ١١)، ولم يقل (طائعتين) ولا (طائعات).

- ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ٤).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة النمل: ١٨).

- ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (سورة المائدة: ١٢٠)، ولم يقل: ومن فيهن لأن (ما) أصل الوضع تتناول الأجناس كلها و(من) لا تتناول غير العقلاء بأصل الوضع [١].

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة الإسراء: ٦١)، عدّ الشيطان من الملائكة تغليباً [٢].

ونلاحظ أنّ الشواهد التي ذكروها تنأى عن تعريف التغليب وتقترب من بعض الظواهر اللغوية والأسلوبية السابقة كالتوافق السياقي ومخالفته والحمل على المعنى وغيرها. وتدل على حيوية اللغة العربية في تعلق الكلام بعضه برقاب بعض على وفق نظام يتوسع في المبنى ليؤدي المعاني البليغة الثانية التي لا يقف عليها إلا بالتدبر وإطالة النظر. والمعاني المتحركة التي تختلف بحسب المفسرين وثقافاتهم وعصورهم.

---

(١) البرهان ٣/ ٣٠٢-٣١٢.

(٢) رسالة في تحقيق التغليب ١١٦.

الفصل الخامس

العدول في النص القرآني في ضوء الدرس اللساني الحديث

هل تصلح طروحات علم اللغة الحديث ونظرياته من حداثة وما بعد الحداثة والأسلوبية الحديثة والمناهج النقدية الحديثة درساً وتحليلاً وتطبيقاً على النصّ القرآني كما هي من غير اعتبار لخصوصية النصّ القرآني ونظامه الذي ينأى عن أنظمة اللغات الغربية ولاسيما الإنجليزية والفرنسية وغيرهما مما كانت ميداناً ومرتكزاً وتطبيقاً للأسلوبية، ناهيك عن الأهداف والغايات التي سعت إليها، ولاسيما موقفها من العدول النحوي والأسلوبي، أو الانزياحات، والأنموذج المعيار لتلك الانزياحات.

إنّ مناهج الدراسات اللغوية والنقدية والأسلوبية الحديثة كثيرة ومتشعبة لا يمكن الإحاطة الكاملة بها وبتفاصيلها ودقائقها [1] أو تطبيقها كما هي تطبيقا تقليدياً على النص القرآني، وليس من وكدنا ذلك بقدر الإطلاع عليها وفهمها والاستفادة مما يصلح منها لدراسة النصّ القرآني والعدول في نظامه التركيبي، وانتخاب ما يلائمه من نظريات الأسلوبية العامة ومناهجها كونها تطبيقاً ألسنياً على الأدب أو اللغة الإبداعية. والتركيز على أهمية الاتجاه اللساني في دراسة لغة الأدب لا التناول الأدبي والنقدي الفلسفي في ضوء علوم مختلفة.ولا نكرر ما يملأ كتب النقد الأدبي وعلم اللغة الحديث والأسلوبية، ونركز على ما له صلة بموضوعنا: العدول عن النظام التركيبي في النصّ القرآني وصلته بالدلالة وظلالها التي تسمى بالمعاني الثانية وهي دلالات فنية إبداعية لا تؤديها اللغة المباشرة التي أطلق عليها المعاصرون: اللغة النفعية الإيصالية أو المثالية.

إذن ثمة مشكل في التناول الأسلوبي ومحاذير ينبغي الوقوف عليها فضلاً عن علمانية الأسلوبية وارتباطها بالفكر الغربي المادي أو الديني على وفق العقيدة

---

(١) علم الأسلوب، فضل ٧.

المسيحية أو العلمانية، التي تتقاطع مع الجانب الروحي للنصّ القرآني والنظرة القدسية له وللغة العربية.

نركز على ما له صلة بالألسنية والمنهج الذي يستنبط الدلالة من كل مكونات النص، وهذا هو مفهومنا للأسلوبية هنا في الأقل. وهو أقرب إلى مفهوم الأسلوبية الإسلامية أو الدراسات التي تناولت أسلوب القرآن مستفيداً من الموروث البلاغي والدراسات الأسلوبية المعاصرة.

الأسلوبية والنقد الأدبي:

إنّ الأسلوبية منهج من المناهج النقدية الحديثة وهي أقرب إلى الأدب من الألسنية على الرغم من أنها ولدت من رحم الألسنية ولاسيما لدى سوسير وأتباعه، فإن موضوعاتها لغوية في الغالب إلا إنّ تطبيقها على نصوص الأدب من هنا تكون أهميتها فهي جسر بين الأدب وعلم اللغة والنقد الأدبي والبلاغة.

وفي الموروث العربي صلة النقد بالبلاغة وثيقة كونهما فنين يكمل أحدهما الآخر والفصل بينهما يؤول إلى اضطراب مناهج دراسة الأدب ونقده ولاسيما لدى المتأخرين. وقد أخذ الدارسون المعاصرون على من يفصل بينهما واصطلحوا عليهما اصطلاح (النقد البلاغي)، ولهذا النقد صلة وثيقة باللغة "بوصف الأدب فناً وسيلته اللغة" [١].

إن النقد البلاغي لم يتقيد ببحث المستوى الصوابي في النصّ الإبداعي بحسب مفاهيم أهل اللغة "وإنما تناول الجانب الفني (فيه) مؤكداً على نواحي الجمال، كما تتجلى في الألفاظ وأصواتها وتراكيبها وموسيقاها والعبارات ورصانتها وجودة سبكها وحسن موقعها في النفوس" [٢].

ليس العلم باللغة وحده كافياً للنقد البلاغي، فكثير "ممن اشتغلوا باللغة وخبروا العربية لم يقفوا على مواطن الجمال والبلاغة في النصّ الأدبي"، لكن اللغة قد استحوذت على الاهتمام الأكبر من نقاد العرب [٣].

---

(١) النقد البلاغي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري (أطروحة) ٤.

(٢) المصدر نفسه ٦١.

(٣) النقد البلاغي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري (أطروحة) ٦٥.

إنّ الأدب تعبير عن الإنسان وحياته المتغيرة، فيتغير تبعاً لها زماناً ومكاناً وفلسفة وأيدلوجيات وأنظمة المجتمع. وإن جوهر الأدب لغته، والأدب مادة النقد، وللنقد صلة وثيقة بالعلوم الإنسانية كالفلسفة والتاريخ وعلوم اللغة والاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال وغير ذلك. وكان النقد فرعاً من الفلسفة في الفلسفة اليونانية، وزاد ارتباطها به في عصرنا الحديث، انقسم تبعاً لها على مذاهب [١].

بل نجد خلطاً بين النقد والأدب والفلسفة التي مادتها اللفظة لدى أرسطو وقد تأثر الأدب ونقده ومناهجه بالفلسفة ومناهجها: الوجودية والماركسية والجدلية والمادية والمثالية، والبنيوية والتفكيكية والتكوينية وغيرها من الفلسفات التي انتقلت إلى مناهج النقد الحديث [٢].

و" ألأدب تميز قبل كل شيء باستعمال خاص للغة" [٣]، ومادة النقد هي الأدب تذوقاً وتحليلاً ولغة وتاريخاً وجنساً، وتصنيفاً واستجابة، فتعدد المعالجة بتعدد قضايا الأدب ومضمونه وقراءته وتنوع النقد نفسه إلى اتجاهات ومدارس ونظريات وبحسب تأثره بالعلوم..

ولغة الأدب مرتبطة بالتجربة الإبداعية وما يتصل بذلك من ثقافة المجتمع وعلومه٠إذن تحديد علاقة موضوعنا بالنقد والبلاغة هو لغة الأدب أو ما سماه الدكتور سعد مصلوح بـ: النقد اللساني، أو الأسلوبية العربية نحاول اتخاذها منهجاً لدراسة العدول ولاسيما أن لغة الأدب تُبنى على العدول أو ما سموه بالانزياح والانحراف الذي يحدث في دلالة النصّ لا تركيبه كالاستعارة والكناية وغيرهما [٤] مما يتصل بلغة الشعر في الأغلب وهي تختلف عن العدول التركيبي في النصّ القرآني. وعن الضرورة الشعرية لدى القدماء٠

والنقد العربي الحديث متأثر بالنقد الغربي ومتابع له ومتطفل عليه ولاسيما بالفلسفات المادية، على الرغم من تراثه الغني المبني على النصّ القرآني خاصة.

---

(١) ينظر: تطور الفكر النقدي في العراق ٥١، ودليل الناقد الأدبي ٢١٥ وما بعدها والنقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا ٤٣ وما بعدها والمصطلحات الأدبية.٢٧.

(٢) النقد الأدبي الحديث، غنيمي ١٣، ٥٤، وجدلية الإفراد والتركيب ٣.

(٣) اللغة والإبداع ٥.

(٤) اللغة والإبداع ٨٥.

والنقد الغربي الحديث مبني على نصوص الأدب العالمي كجان جاك روسو وغيره وعلى إحياء أساطير تبناها الأدب المعاصر فإذا كان التقاؤهم في الأدب الإنساني والتجربة الإبداعية للأديب لكنهم لا يلتقون في تحليل النص القرآني وخصوصيته وارتباطه بالعربية ونظامها المحكم الذي يختلف عن أنظمة اللغات الأخرى. النصّ المرتبط بالخالق عزّ وجل (المرسل) وبالجانب الروحي لدى (المتلقي) و(الرسالة) المنقولة من الغيب.

ورغبة من النقد العربي المعاصر في مواكبة الاتجاهات النقدية العالمية الحديثة، حاول ترجمة هذه الدراسات النظرية، وقليلاً ما قام بتطبيقها بالصورة السليمة والموضوعية على النصّ العربي، ومن هنا برزت مشكلة التنافر وعدم التآلف – في أغلب الأحيان- بين المادة المترجمة والإبداع العربي، بين المنهج الغربي وأدبنا في مختلف البلدان العربية [١]. ويبدو أن جل الدارسين العرب ينظرون للطرح الغربي في اللغة والنقد نظرة إعجاب وإكبار لما شهده الغرب من تطور في الميادين العلمية المختلفة. وهذا قد لا ينطبق على علوم اللغة فالموروث اللغوي والبلاغي والنقدي العربي لا يقل أهمية عما يطرحه الغربيون المعاصرون.

الأسلوب:

الأسلوب **Stylistic** سمة شخصية لا يمكن أخذه ولا نقله ولا تعديله، باعتباره خاصية في الأداء اللغوي لا يمكن تكرارها، فالأسلوب مرتبط بمبدعه بل هو نفسه وبعضهم ربط بين الأسلوب والعبقرية ورصده من خلال اللفظ والعبارة والفقرة أو القطعة المكتملة ومنهم من يرى استقلالية النصّ عن مبدعه، وآخرون يربطونه بالمتلقي، وإن المبدع يحاول تلوين أسلوبه بحسب المتلقي وغايته التأثير فيه [٢]. ويكاد يتفقون على أن الأسلوب سلسلة من المنبهات والاستجابات ينبغي التركيز عليها باعتبارها انحرافاً عن القاعدة [٣].

---

(١) مفهومات في بنية النص ٣-٤، والنقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا ٣٨٣ ومابعدها، والمصطلحات الأدبية الحديثة ٣١ وما بعدها.

(٢) البلاغة الأسلوبية ١٦١، ١٦٤-١٦٩.

(٣) المصدر نفسه ١٤٧.

لكنهم لم يتفقوا على تعريف محدد له. لذلك قالوا: "إنّ تعريفاً محدداً للأسلوب لما نصل إليه لذا نلجأ إلى التقريب" [١].

فمن تعاريف الأسلوب هو "النمط الذي يتبعه المنشيء في استخدام اللغة على نحو خاص لأداء ما يقصد إليه من تصوير واقتصاد" ونعني بالنمط اختيار الألفاظ بأعيانها وطريقة تركيبها بعضها مع بعض على النحو الذي يشاؤه المنشيء، يستتبع ذلك تصويراً وتأثيراً خاصين، بحيث لا يتفق شخصان على الأسلوب تمام الاتفاق في نقل فكرة ما، أي إن الأسلوب هو الرجل ذاته فلا يتطابق بين رجلين ولو كانا توأمين [٢].

"الأسلوب هو طريقة الأداء للمعاني باللغة بتتبع اللغة والأصوات في هيئة الألفاظ والتراكيب في الصورة النفسية للمعنى بجزئياتها كما تتصور داخل النفس" وهو اختيار الكلمات ووضع الجمل على نحو خاص [٣].

ولدى الشايب ورواد النقد بأنه طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن الشخصية الأدبية المتميزة عن سواها ولاسيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات والتشابه والإيقاع [٤].

لذلك قالوا: أسلوب الناس شبيه بحياتهم، وتبعاً للتقاليد المتوارثة، والأساليب من حيث الشكل والمضمون مختلفة، فمنها السهل الواضح، والمزخرف، والمعتدل، والأسلوب التجريدي وهو الذي يعبر عن الأفكار عوضاً عن الأشياء الحسية والمشاهد والأشخاص [٥].

والأسلوب "طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة" [٦] وبعضهم يراه فن الاختيار الواعي لأدوات التعبير.

ولكثرة تعريفات الأسلوب والأسلوبية هجر بعضهم هذا الاصطلاح، فقد

---

(١) من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه ١١٤-١١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الأسلوب، الشايب ٥. (٥) نفسه ١٢٠.

(٦) الأسلوب والأسلوبية ١١، ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ١١٤.

تنوع مفهوم الأسلوب بحسب المناهج المختلفة واللغويين وكبار النقاد وبحسب التأثر بالفلسفات والعلوم: علم النفس، الألسنية، النقد، علم الجمال، علم الاجتماع، علم النفس وغيرها. وبحسب المخاطِب والمخاطَب والخطاب [١].

وتنوع المفهوم العصري لعلم الأسلوب فشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وصيغ وكلمات، وتراكيب، وتداخل مع علم الأصوات والصرف والدلالات والتراكيب والألفاظ. للإبانة عن الخواطر والانفعالات والصور وبلوغ أقصى درجات التأثير الفني [٢].

وبعضهم يرى: أن الأسلوب خارج عن مستويات اللغة الصوتي والصرفي والنحوي أي الشكل وهو ظاهرة ذات أصل فردي [٣].

وثمة تعاريف أخرى كثيرة لم تسلم من نقد وغموض وتقاطع [٤]: ولسنا ملزمين بها كلها أو أحدها بل بحسب الموضوع والهدف وخصوصية النص الذي ندرسه. قال باحث معاصر: "إن الأسلوب مفهوم عائم، فهو وجه بسيط للملفوظ تارة، وهو فن واع من فنون الكاتب تارة أخرى. وهو تعبير عن طبيعة الإنسان تارة ثالثة، لذا فهو يتعدى دائماً الحدود التي يدعى بأنه انغلق عليها..." [٥].

وقال آخر: "لا يمكن هنا الادعاء بوجود مفهوم واحد للأسلوب كما لا يمكن القول بوجود طريقة واحدة لدراسته بل إن التعدد كائن في لبنية المفهومية، كما هو كائن في القراءات التحليلية، ولعل ذلك راجع إلى تعدد المداخل نفسها إذ هي تتكئ أحيانا على الجانب العاطفي، وعلى الجانب العقلي أحياناً، وتبتعد عن هذا وذاك أحياناً ثالثة لتبدأ من منطقة محايدة..." [٦].

وأنكر جراي شيئاً اسمه الأسلوب ذلك أنها كلمة (تطلق في حقيقة الأمر

---

(١) الأسلوب والأسلوبية ١٠.

(٢) المعجم الأدبي ٢١.

(٣) علو الأسلوب ١١.

(٤) الأسلوبية والأسلوب ١٢.

(٥) الأسلوبية / جيرو ٤٧.

(٦) قضايا الحداثة ٥.

على شيء بلا صفات خاصة، لم يتم دليل ما على وجوده مطلقاً وإنما نسب إليه خواص تنتمي إلى نظم أخرى مما جعل هذه الخواص المزعومة تتراكم وتتناقض...".

ويرى "فكرة الأسلوب نفسها عائقاً في سبيل التقدم العلمي في فهم الأدب ونقده إذ لا يمكن التدليل المعملي على وجوده ولإقامة البرهان العلمي على جدواه" (١).

وبعضهم يرى الأسلوب زينة وجملة محسنات بديعية من جناسات وطباقات وما شابه ولاسيما لدى القدامى (٢).

الأسلوبية: Stylistique

الأسلوبية علم حديث تأسست قواعدها لدى بالي سنة ١٩٠٢ مستفيداً من استاذه سوسير الذي أرسى الألسنية الحديثة (٣). فالأسلوبية الأولى لسانية عند بالي ثم تطورت واتجهت اتجاهات مختلفة، ثم أصبحت تعني الانزياح لكنهم لم يتفقوا على معيار يقيسون عليه الانزياح (٤).

في مطلع القرن العشرين ولدت تحت كلمة الأسلوبية مفهومان مختلفان:

الأول: دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، خاصة في الخطاب لدى القدماء.

الثاني: الطريقة الفردية في الأسلوب أو دراسة النقد الأسلوبي، وهي تتمثل في بحث الصلاة التي تربط بين التعبيرات الفردية أو الجماعية (٥).

"إن التناول الأسلوبي انما ينصبّ على اللغة الأدبية، لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي واختيار وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المألوف بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز" (٦).

---

(١) علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ٩٤.

(٢) علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ٨٩، والنصّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ٣٦.

(٣) الأسلوبية والأسلوب، المسدي ٢٠.

(٤) مفهومات في بنية النص ٦٩.

(٥) البلاغة والأسلوبية ١٣٨.

(٦) المصدر نفسه: ١٨٩.

"فعلم اللغة يدرس ما يقال، والأسلوبية تدرس كيفية ما يقال مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد" [١].

ولكون الأسلوبية علماً حديثاً ما يزال يتطور لم تكتمل بعد ولوجوهها العديدة وعدم استقرارها وعلمانيتها، كثرت تعريفاتها كما تعددت تعاريف الأسلوب وتقاطعت.

ومن مرتكزات الأسلوبية ما سمّوه بالاختيار "حيث نجد مجموعة من الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بواحد منها في كل جملة من جمل الكلام التي توجد في الرصيد المعجمي للمتكلم والتي تقوم بينها علاقات قابلة للبدلية، فإذا وقع الاختيار على أحدهما انعزلت البقية" [٢] ثم تأتي عملية ترتيب الألفاظ بما يقتضيه علم النحو ومبادئ علم الصرف ويسمى بـ (النظام الاستبدالي) ولكل لغة نظامها ألاستبدالي الجائز وغير الجائز. عرّف جاكبسون الأسلوب (كونه إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع) [٣].

وتهتم الأسلوبية بالكشف عن العلاقة بين الدال والمدلول وهذا يقودنا إلى عمليات التوصيل بعناصرها الثلاثة: المرسل والمتلقي والرسالة، وكلها تثري العملية الإبداعية لتشعب الدلالة من خلال اختيار واستبدال الأصوات والألفاظ إلى معانٍ طارئة ذات صيغة جمالية فتعدد دلالات الكلمة والصور والمعاني، والأسلوبية تتناول هذه العلاقات الاستبدالية الجمالية في التعبير الأدبي [٤].

وبعضهم عدّ الاختيار خروجاً [٥] عن النمط المألوف إلى النمط الفني لكن الاختيار محدود الإمكانيات المتعارفة للغة، والانحراف يبتعد عن طرق التعبير الشائعة والاختيار يوجد في اللغة الجارية من غير أن يكون لها سمة فنية و(يمكن عدهما كجناحي الطائر) للأثر الفني في الأسلوبية [٦].

---

(١) المصدر نفسه ١٨٩.

(٢) الأسلوب والأسلوبية ٢٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) البلاغة والأسلوبية ١٢٩-١٣٢ بتصرف.

(٥) الأسلوبية والأسلوب ٩٨.

(٦) الإعجاز الصرفي ١٤٢ واللغة والإبداع ٧٨.

ويبدو أن الجامع بين تعاريف الأسلوب والأسلوبية ومفاهيمهما أنهما اختيار وتوزيع والعدول عن المألوف سواء في البنى والتراكيب والأصوات أو في الدلالة، والاهتمام بالتحليل الفني للنصّ.

فالأسلوبية "بحث علمي للطرائق المستعملة في التعبير عن الخواطر، وعلم الأسلوب يرشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من اللغة للتوصل إلى التأثير في المتلقي شريطة احترام قواعد اللغة" [١].

"تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميّز النصّ عن آخر، أو الكاتب عن كاتب آخر، من خلال اللغة التي يحملها خلجات نفسه وخواطر وجدانه" [٢] وتحاول الأسلوبية الإجابة عن كيف يكتب الكاتب نصّاً من خلال اللغة؟ إذ بها ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص أو استهجانه.

و "تنفي (الأسلوبية) عن نفسها المعيارية وإرسال الأحكام التقيمية بالقبول أو بالرفض يضاف إلى ذلك أنها لا تسعى إلى غاية تعليمية البتة، ناهيك عن حرصها الشديد على تعليل الظواهر الأسلوبية في مقارباتها النصوص الإبداعية بشيء من العلمية الوصفية، على النقيض مما تعاملت به البلاغة" [٣].

ولم تسلم الأسلوبية من الانتقادات كما لم يسلم (الأسلوب) فمن الملاحظ التي يمكن أن تلاحظ على الأسلوبية إن الأسلوبيين حدّدوا عملها باللغة الإبداعية وتأثيرها بالمتلقي لا اللغة النفعية التواصلية، لكنّ أسلوبية بالي (رائد الأسلوبية المعاصرة) التي تسمى بالتعبيرية حدّدها باللغة اليومية الشائعة (النفعية).

وعلى الرغم من أن الأسلوبية تعنى بالتأثيرات الجمالية، وتناولها اللغة الإبداعية فإن بعض مناهجها تعتمد طرقاً لحساب التكرار النسبي بغية الدقة العلمية واستخدام الحسابات الالكترونية لرسم جداول التكرار للسمات التي يقال عنها أنها تصف أسلوباً مميزاً [٤] مغفلاً وظائف المفردات النحوية

---

(١) قضايا الحداثة ٢١-٢٢.

(٢) الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية ٥.

(٣) نفسه ٧.

(٤) الأسلوبية وتحليل الخطاب ٦٠.

في سياقها [١] وهو أمر وإن كان علمياً إلا أنه يتقاطع مع الجمالية في أحيان كثيرة [٢]. واستعمال الجداول الرياضية للجرد الأسلوبي وهو إحصاء الأنماط وقياسية في النصّ واعتمادها على التحليل الوصفي للغة، ثم على النحو التحويلي والبناء السطحي والبناء العميق [٣].

كثير من الدارسين عارضوا الأسلوبية والنظريات النقدية المختلفة التي تتبناها ذلك "بأنها صيغت في بيئات وظروف حضارية مباينة كل المباينة لما نحن عليه، وبأن الحاطبين في حبالها ينقلونها إلى ثقافتنا غريبة الوجه واللسان ويجعلون من النص العربي قرباناً يسترضون به هذه الصراعات المتلاحقة في بلاد الغرب [٤].

فضلاً عن الإسراف باستعمال المصطلحات الرنانة هدفاً لدى بعضهم ولاسيما الأدباء والنقاد والشعراء غير الاكاديميين الذين بنوا ثقافاتهم على الصحف والمجلات لا التخصص الدقيق الاكاديمي وسعة الإطلاع بالموروث العربي الإسلامي.

"النقد الأهم الذي يوجه إلى الأسلوبية يتمثل في عدم عدّها علماً لأنها لم تنجح في حصر موضوعاتها ولا مناهجها، من جهة ثانية انتزع تطور اللسانية الأسلوبية من بعض مجالاتها الأصلية محدثاً بذلك إعادة توزيع لجميع الأعمال التي وضعت حتى الآن بأنها أسلوبية في مجالات جديدة... وقد وصل الأمر إلى درجة أن اريفي **Arrive** أعلن موتها" [٥].

الأسلوبية والدرس اللساني الحديث:

أهم أمرين في صلة الأسلوبية بالدرس اللساني الحديث، إنها ولدت من رحم ألسنية سوسير وإنها تُعنى بانحراف القواعد وخرقها فنياً وجمالياً نابعاً من اللغة ذاتها، وللانتهاك وقبحه وحسنه اتجاهات عديدة في تفسيره من خلال القارئ، النصّ

---

(١) الأسلوبية والبيان العربي ٢١.

(٢) النحو والدلالة ١٧٣.

(٣) في النقد اللساني ١٦٩.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ١١٥، ٢١ والنحو والدلالة ١٨٠ وحيوية اللغة ٣١٧.

(٥) النقد اللساني ٢٣٥.

المنشئ، موظفة كل مكونات النص وما حوله والعلاقات بينها وتوزعها لخدمة الدلالة.

"أخذت الأسلوبية من اللسانيات الصفة العلمية الوصفية في دراسة اللغة، غير أنها درست الخطاب ككل، وما يتركه هذا الخطاب من أثر في نفس المتلقي، في حين نجد أن اللسانيات قد اتجهت إلى دراسة الجملة بالتنظيم واستنباط القواعد التي تستقيم معها والقوانين التي من خلالها تكسب طابع العلمية" (١).

وقد دعا د. سعد مصلوح إلى نقد لساني، ليس النقد اللغوي التراثي ولا التحليل الأسلوبي الحديث المعروف. قال: "إن علم الأسلوب واجرومية النصّ هما ابرز الإسهامات اللسانية في مجال نقد النصّ الأدبي وإن كانا لا يستغرقان كل عطائها في هذا المجال، سواء عددنا علم الأسلوب شعبة من اللسانيات العامة تعالج صنفاً بعينه من الكلام أو النصوص ذات مواصفات خاصة على قول بعض العلماء، أو عددناه علماً قائماً برأسه موازياً للسانيات العامة على قول آخرين فإن علم الأسلوب يظل إسهاماً لسانياً متميزاً أو منضبطاً في تقديم حلّ علمي لجواب ذات خطر في المشكل النقدي" (٢).

وهي دعوة عامة وإن حاول عرضها على أنها أمر جديد فأهم ما بها تميز النقد اللساني أو اللغوي (النحوي) عن النقد الأدبي عامة.

يقسم الأسلوبيون المعاصرون –ومنهم العرب–اللغة على مستويين:

- المستوى المثالي في الأداء العادي والإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها. ويكون عمل الأسلوبي في رصد هذا المستوى وظواهره وتفسيره. هذا هو علم الأسلوب والأسلوبية لدى كثير من الدارسين العرب ولاسيما في دراساتهم التطبيقية. وهو تفسير غربي معاصر للعدول في اللغة بمستوياتها كافة ولاسيما الدلالية منها المتمثلة بالاستعارات والصور الأدبية وغيرها مما سموّه بالانزياحات والانحرافات والانتهاكات لكنها صحيحة التركيب من حيث قواعد النحو، كقول الشاعر المعاصر:

---

(١) الأسلوب بين التراث البلاغي العربي ٧ وينظر: ومعايير تحليل الأسلوب ١٦، ٣٤.

(٢) في النقد اللساني ٢٣١.

بين السماء وفي عينيه الغدُ وجنون قلبٍ عاشقٍ والموعد
ومسافةٌ من لهفته وتشرّدٌ ومسافر في زرقةٍ ماهمه
اغتيل مني دمٌ وانتحرت يدُ

فالانزياحات في هذه الابيات دلالية من صور واستعارات اما من حيث التركيب النحوي فسليمة مألوفة.

حدّد بالي رائد الأسلوبية الأول مجال عمل الأسلوبية معتمداً على طروحات أستاذه دي سوسير في التقسيم الشائع للغة والكلام في الظاهرة الكلامية على:

لغة الخطاب النفعي ولغة الخطاب الأدبي وصنف الخطاب ما هو حامل لذاته وما هو حامل للعواطف والخلجات الانفعالية.

فاللغة تنطوي على جانب يتّصل بالفكر وجانب يتّصل بالوجدان وقد يطغى أحدهما على الآخر. والأسلوبية تتبع ملامح الشحن العاطفي في الخطاب من حيث استخدام اللغة بشكل متجدد يختلف عن النمط التركيبي الذي نلمسه في الخطاب النفعي العادي.

الجانب العاطفي في اللغة يسميه كوهين بالانتهاك خروجاً على النمط، وتحاول الأسلوبية استكشاف المشاعر الذي يتلون بها الخطاب. ولدى كوهين الأسلوبية والانزياح والشعر متقاربة [١].

ومركز اهتمام الأسلوبية لدى تشومسكي: المظهر الإبداعي للغة حتى على مستوى الاستعمال العادي. وهذا مرتبط بالذات المتناهية التي تنتجها وسائل محدودة، والأسلوبيون يتبعون النحو التحويلي باعتباره المدخل الصحيح لدراسة النص الأدبي من خلال المستوى السطحي والعميق للكشف عن طاقات اللغة [٢].

والأمر نفسه نجده في الموروث البلاغي والنحوي إذ فرقوا بين الشعر والنثر أو لغة الأدب وأساليبه وبين النثر العادي وإن كان اهتمامهم كله منصباً على اللغة العالية وخاصة الشعر.

وهذا التقسيم تناقلته الدراسات العربية الحديثة ونسبوه إلى الموروث البلاغي

---

(١) ينظر: بنية اللغة الشعرية ١٢.

(٢) البلاغة والأسلوبية ١٤٣-١٤٤، ١٤٧.

وأكثره في الإبداع الدلالي الذي لا يرى فيها النحوي عدولاً تركيبياً، فثمة نصوص إبداعية كثيرة فيها عاطفة وإبداع ولها تأثير، نجد فيها المستوى النفعي للغة أيضاً، ونجد العكس وربما في الكلام المباشر السهل نجد انزياحات من غير إثارة ولا إبداع، ذلك أن المستوى الإبداعي في اللغة افتراضي لا وجود له إلا في الخيال.

لقد نسب الدارسون العرب المعاصرون تفسير العدول لدى الغربيين إلى الموروث البلاغي العربي بين قولهم بأصل الكلام والمعنى والعدول عنهما [١] وبين تقسيم الغربيين للغة على مستويين: مثالي في الأداء العادي وإبداعي يعتمد على اختراق هذه المثالية والعدول عن النمط المألوف لتوكيد قيمة جمالية فنية تقوم على أساس الخروج والانتهاك اللغوي لقواعد اللغة تمثل طاقات إيحائية وتكسب الأسلوب ثراءً ومزية، ويقع على محورين:

١- التوزيع، ويتمثل بالعلاقات البنائية للإنسان اللغوية كالتقديم والتأخير وغيره.

٢- الاختيار، ويتمثل بالعلاقات الاستبدالية كإسناد الفعل إلى غير فاعله في التركيب، أو الاستبدال الدلالي في الصيغ البيانية [٢].

فالإبداع الأدبي والعناصر الجمالية في اللغة لا تكون إلا بخرق الأداء المثالي أو القاعدي في صياغة اللغة والانحراف عنه وهذا هو مفهوم الأسلوبية لدى الكثير من الدارسين لكن الأسلوبيين لم يحددّوا معياراً واضحاً أو متفقاً عليه للأداء المثالي في اللغة يمكن قياس الانزياح عليه [٣].

ومن هنا قامت مباحثهم في علم المعاني على العدول عن النمط المثالي المألوف في صياغة الكلام عند علماء اللغة للكشف عن العناصر الفنية للتركيب وجمالية تتصل بالمعنى فبحثوا: التقديم والتأخير والحذف والزيادة والتعريف والتنكير والوصل والفصل والالتفات وغير ذلك وكذلك في علم البيان: المجاز والاستعارة والكناية والصور وغيرها، ومباحث على البديع.

---

(١) مفتاح السكاكي ٣٣.

(٢) ينظر: معايير تحليل الأسلوب ٥٠ والانزياح، الدرة ١٠.

(٣) الأسلوب والأسلوبية ٦٣.

ويبدو هذه المباحث هي الظواهر الأسلوبية لدى جلّ الدارسين العرب المعاصرين [١]، ذلك أن الأسلوبية المعاصرة هي الوريث لعلوم البلاغة القديمة.

جذور الأسلوبية في الموروث البلاغي العربي:

كثير من الدارسين العرب يرون للأسلوبية الغربية جذوراً وأصولاً في الموروث العربي: البلاغي والنحوي والأدبي والنقدي وفي كتب الإعجاز التي تناولت النصّ القرآني وإعجازه [٢] وكتب اللغة والبيان والبلاغة والنقد كابن المقفع والجاحظ والمبرد وابن المعتز وعبد القاهر وقدامة بن جعفر والامدي والقاضي الجرجاني ابن طباطبا العلوي والسكاكي وابن خلدون والسكبي والتفتزاني وغيرهم.

قال د. عياد: "إن الأسلوب يكون أكثر تحديداً لدى النقاد المغاربة: حازم القرطاجني في منهاج البلغاء ٦٨٤ هـ وابن خلدون ٨٠٨هـ [٣].

قال باحث آخر: "نظرت في البلاغة العربية عند القدماء، فوجدت أن قضايا كثيرة عرضوا لها بأسماء مختلفة عن قواعد الأسلوبية الحديثة ونظرية السياق في العصر الحاضر" [٤] وقال آخر "علم الأسلوب ليس غريباً عن البيئة العربية ولاسيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين [٥].

وأوضح صلة بينهما يبدو أنهما يقومان على دراسة العدول أو الانزياح دراسة فنية، وشبّهوا قول البلاغيين بـ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وقولهم (لكل مقامٍ

---

(١) نظرية اللغة في النقد العربي ٢٠٧، وينظر: من اسرار اللغة ١٩٩ والأصول ١٢٧ والبلاغة الأسلوبية ١١٩، ١٩٨ وأسلوب الحوار في القرآن الكريم ١٠٥ واللغة فندريس ١٨٨، ١٩٢ والسور المكية ٢٣٢ والسو المدنية دراسة أسلوبية ٧ وجدلية الإفراد والتركيب ١٣٣، ١٨١ والنقد البلاغي عند العرب ١٨١ وما بعدها.

(٢) ينظر: الأسلوبية والبيان العربي ٢٧، واللغة والأسلوب ١٥-١٨ والبلاغة في ضوء الأسلوبية ٨-٩، وجدلية الإفراد والتركيب ١٥٣، في المصطلح النقدي ١٢٥.

(٣) اللغة والإبداع ١٩.

(٤) البلاغة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ٧.

(٥) اللغة والأسلوب ١٥.

مقال) [١] بفكرة بالي حول مسألة علاقة الأشكال اللغوية بالفكر [٢].

ويرون أن الأسلوبية وريثة البلاغة وعلم لغة النص، وهو قول الغربيين ايضاً [٣] ولا أعرف كيف يوفقون بين معيارية البلاغة القديمة وعلمية الأسلوبية وتفلتها من المعيارية فضلاً عن أنهم ينسبون لكل ناقد قديم أو بلاغي فهماً خاصاً للأسلوب والأسلوبية فابن طباطبا ربط مفهوم الأسلوب بصفة مناسبة الكلام بعضه لبعض وعبد القاهر بتوخي معاني النحو وابن خلدون بجعله "الأسلوب صورة ذهنية مهمتها مطابقة التراكيب المنتظمة على التركيب الخاص لأن الصناعة الشعرية هي بمعنى الأسلوب ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص" [٤].

وجلّهم يعد النظم الذي قال به عبد القاهر هو الأسلوب، لذا رأى بعضهم أن عبد القاهر مؤسس الأسلوبية العربية، وتناولوا البلاغة القديمة بأسماء جديدة، من خلال مشابهة شكلية وتناول تقليدي، أو خلط بين المصطلحات القديمة والحديثة [٥].

وقارنوا بين عبد القاهر وسوسير وتشومسكي وبالي وكروتشة وغيرهم وعدّوه السبّاق عليهم [٦].

ورأى د. لطفي عبد البديع ذلك تلفيقاً، قال ساخراً: "يضع قبعة هذا على رأس ذاك ويثبت عمامة ذاك على رأس هذا، ويقول للأول كن كروتشة، وللثاني وأنت عبد القاهر" [٧].

والحق أن أوضح جهود القدامى يمكن عدّها أسلوبية تنسجم مع دراسة

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٦٢ والمفتاح ٩٠.

(٢) اللغة والإبداع ٨.

(٣) علم لغة النص ٢٠-٢١، ٤٣ والأسلوبية، جيرو ٢٧-٣٠ وجدلية الإفراد والتركيب٥.

(٤) الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية٤، وجدلية الإفراد والتركيب ٨٣.

(٥) الأسلوبية والبيان العربي ٥، ٨، ٢٧، والبلاغة في ضوء الأسلوبية ٥-٧ ومحاضرات في تاريخ النقد عند العرب ٢٨٥-٣٥١.

(٦) قضايا الحداثة عند عبد القاهر ٢، ٧، والأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر ١١.

(٧) التركيب اللغوي للأدب ص (د).

النصّ العربي الإسلامي يمكن تسميتها بالأسلوبية الإسلامية ولاسيما لدى علماء إعجاز القرآن فقد استعملوا مصطلح (الأسلوب) في بحوثهم حول إعجاز القرآن ويدل لديهم: "على الطرق المختلفة في استعمال اللغة على وجه يقصد به التأثير" [١]، كما لدى الخطابي والباقلاني وابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم [٢]. ويبدو أن القدامى يقصدون بالأسلوب ما يخرج عن اللغة المألوفة، وما سموه بطرائق العرب ومجازاتهم واساليبهم في الكلام.

وخير من وظّف مباحث إعجاز القرآن وعلم المعاني وطبقها على النصّ القرآني كله الزمخشري (٥٣٨هـ) فقد ابتكر طريقة جديدة في تفسير النص القرآني لم يسبق اليها [٣] أسسها على علمي المعاني والبيان وتبعه مفسرون كثيرون ومايزال المعاصرون يحذون حذوها في الدراسات الأسلوبية القرآنية [٤].

"ارتبط استعمال القدماء لكلمة الأسلوب بمفهوم الكلام الإلهي ومقارنته بالكلام البشري. كما ارتبط بإدراكهم لوجود جانبين للأسلوب، أحدهما خفي ملموس، والآخر متجسد في الصياغة اللغوية" [٥].

فهي أسلوبية قائمة على النصّ الإسلامي، القرآن والأدب الإسلامي المتأسس على العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من تصور للوجود [٦]. تقابل الأسلوبية الغربية المستقاة من أدبهم ومعتقداتهم وفلسفاتهم وثقافاتهم ولغاتهم الغربية.

فالأدب الإسلامي "نابع من بيئة ثقافية مغايرة بل معادية لأسس الصياغة الثقافية الغربية المعاصرة التي ترفض الأديان أساساً أو تكرس لأخرى. فهو أدب يقوم على مواجهة آداب عبثية أو وجودية أو آداب مسيحية أو يهودية صهيونية،

---

(١) اللغة والأسلوب ١٥-١٨.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٠، ١٩ وبيان إعجاز القرآن، الخطابي ٦٠ وإعجاز القرآن للباقلاني ٢٩٨.

(٣) مقدمة الكشاف ٢٣.

(٤) ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن، الجويني ٧٧.

(٥) قضايا الحداثة ٣١.

(٦) دليل الناقد الأدبي ١٩.

وكل المذاهب الأدبية تصدر عن بيئات ثقافية وأيدلوجية محددة" [١].

ويصاحب هذا الأدب الإسلامي نقد إسلامي ينطلق من الأسس نفسها: (العقيدة الإسلامية وتصورها للوجود) وترسيخها وإشاعتها وتعد ما يخالف تلك التصورات [٢].

لقد دعا الشيخ أبو الحسن الندوي في المجمع العلمي بدمشق إلى إقامة أدب إسلامي، ثم جاءت كتابات سيد قطب- رحمه الله- في هذا الاتجاه، وتلاه الأستاذ محمد قطب في كتابه (منهج الفن الإسلامي)، ثم كتاب نجيب الكيلاني: (مدخل إلى الأدب الإسلامي)، ثم الدكتور عماد الدين خليل خطا خطوة في هذا الطريق بكتابه: (النقد الإسلامي المعاصر) وغيرهم. وقد أخذوا على الأدب المعاصر اتخاذ الغموض غاية، ودعوا إلى الالتزام الإسلامي والعقيدة الإسلامية التي تستند إلى الوضوح لا الغموض المضلل والعبث أو اللهو والزينة والتفاخر كما وصفوا الأدب المعاصر [٣].

الأسلوبية الإسلامية خاصة بتحليل النصّ القرآني ذوقياً وتدبره ومعالجته فنياً واستنباط المعاني العالية والبليغة الإيحائية وظلال المعاني أو القيم التعبيرية أو اللمسات الفنية والأسرار البيانية في النصّ الإسلامي تستنبط من كل أجزاء النصّ: تركيبه وترتيبه، أصواته وحركاته ومباني كلماته فواصله، التذكير والتأنيث، التعريف والتنكير وغيرها.

يقول صبحي الصالح: "فحين تسمع همس السين المكررة تكاد تستشيف نعومة ظلّها، مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ (سورة التكوير١٥-١٨)، بينما تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة (تحيد) بدلاً من

(١) المصدر نفسه ٢١.

(٢) المصدر نفسه ١٩.

(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني ٧.

تنحرف أو تبتعد في قوله: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة قّ: ١٩) [١].

إنّ في أسلوب القرآن دلالات بلاغية وأسراراً بيانية تستنبط من مكونات النص ومن النص كله من خلال المقارنة بين التراكيب المتباعدة ونظامه المتماسك ومن خلال الإحصاءات ودقة الملاحظة يستشفها الدارس البلاغي أو الأسلوبي. كحذف أداة النداء وإظهارها في النص القرآني كله يشير إلى التمييز بين الخالق والعبد، فإذا كان النداء موجهاً من العبد إلى الخالق تبارك وتعالى يرد النداء بحذف أداة النداء والعكس كنداء زكريا عليه السلام ربّه سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ (سورة مريم٥) ونداء الخالق عزّ وجلّ عبده: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ (سورة مريم: ٧) ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة مريم: ١٢) [٢].

ومن الدلالات الأسلوبية التي تستشف من النص كله: طغيان أسلوب الطلب في سورة مريم بصيغه المتعددة، ذلك أن الأحداث التي تناولتها تحتاج إلى هذا الأسلوب الخطابي لغرض التوضيح والبيان، بسبب المباشرة في القول. وقلة ورود الصور البيانية كالمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه في سورة مريم يؤكد هذا المعنى الدقيق الذي يستنبطه الدارس من الملاحظة الدقيقة للنصّ القرآني، ومنها غلبة أسلوب التوكيد في سورة مريم تشير على حاجة الأحداث التي تناولتها لاستقرارها في ذهن المتلقي [٣].

وهي تنأى عن تحليل الأدب العربي الذي يمكن تطبيق طروحات كثيرة من الأسلوبية الغربية عليه، وإن اختلفت في اعتمادها على أمهات مصادر التراث العربي

---

(١) مباحث في علوم القرآن ٣٨٥.

(٢) البناء الفني في سورة مريم، د. حامد عبد الهادي حسين ٥٤.

(٣) المصدر نفسه ٦٨، ٨٦.

في تشكيل الذائقة والمعرفة الأدبيتين، والمناخ الذي تنتمي إليه، كعمود الشعر الذي وضعه المرزوقي ليعلم الفرق بين المصنوع والمطبوع مما أطلقوا عليه بـ (المعتمد في الثقافة العربية) [١] وكالمختارات الشهيرة: الحماسة والمفضليات والموسوعات الأدبية وكتابات ابن المقفع وعبد الحميد وبديع الزمان وأبي حيان التوحيدي وغيرهم.

وهذا يختلف عن النص القرآني وشروط تفسيره وقدسيته ودوافع تناوله وشخصية متناوليه وثقافتهم الروحية وذائقتهم الخاصة.

إن المنهج الفني الذوقي يختلف عن المنهج الانطباعي الذي يقوم على الانفعال وربما على المغالاة والابتعاد عن الموضوعية وأسس العلم.

هذه الأسلوبية الإسلامية أصل البلاغة العربية التي نشأت من خلال الدفاع عن النصّ القرآني والإعجاز خاصة وإثباته الذي تناوله عبد القاهر في كتابيه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وإجماعهم على أن إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه.

إلاّ أنّ المتأخرين انتهجوا منهجا معياريا وصاغوا "قواعد صارمة صيغت بأسلوب عقيم" [٢] وما نقرأه في كتب البلاغة المدرسية المعيارية فضلاً عن الخلط في مباحثها: نحو ولغة وبلاغة وأدب.

وقد ميّز الباحثون بين البلاغة الذوقية والبلاغة المنطقية المعيارية وسمّاها بعضهم بالبلاغة القاعدية والبلاغة القيمية. والأولى هي التي تتحدث عن مواطن الشاهد البلاغي... والثانية "ما يحمل الشاهد من معانٍ وطاقات وقيم تؤدي إلى جماليات فنون القول العربي وتكشف عن الإعجاز القرآني.." [٣].

الذي نعنى به من الأسلوبية الحديثة، اهتمامها بالخصائص الفنية والملامح الدلالية الدقيقة التي أطلق عليها القدامى أسراراً بيانية، تستنبط من خلال تدبر النصّ وطريقة نظمه ومباني ألفاظه، مركزين على تفسير العدول في ضوء ذلك، ناهيك عن

---

(١) دليل الناقد الأدبي ١٤٨.

(٢) بحوث بلاغية ١٣٢.

(٣) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية، والبلاغة بين المنطق والتذوق، ضمن كتاب (بحوث بلاغية)، مطلوب ١٣٢.

أن العدول من أهم ميادين الأسلوبية الحديثة. لكنا نحاول تفسيره في ضوء نظام اللغة العربية، وهو تناول أقرب إلى مفاهيم الأسلوبية وعلم لغة النصّ الذين يتداخلا كثيراً.

وليس العدول خروجاً عن الأصول الافتراضية فأكثره داخل ضمن اطار النظام التركيبي للعربية وإنّ كثيراً مما قالوا بأنه عدول يرد في اللغة المألوفة العادية وإن استنبطوا منه ملامح فنية أسلوبية ومعاني ثانية، لكنه في تراكيب مستقيمة نحوياً سليمة وإن أحدثت صوراً وكنايات وتشبيهات وخيالات أو ما نسميه بالعدول الدلالي (الانزياح) لدى المعاصرين.

ولا يكشف هذه الملامح الأسلوبية إلا من لديه الموهبة الأصيلة وليس المكتسبة، وإن كان بعض الدارسين خلط بين دلالة الصيغ والدلالة المعجمية كقول أحدهم إن كثرة الفعل المعتل في النصّ تدل على اعتلال المبدع النفسي والفعل الأجوف على تأزمه [١]. لقد توصّل الخوسكي في دراسته (الجملة الفعلية في شعر المتنبي) [٢] إلى أن استعمال المضارع نادر في مرثيات المتنبي، أما الفعل الماضي فكثير الورود وعلل ذلك بأنه يشير إلى أن في الماضي انقطاع، وفي الانقطاع ألم وندم وحسرة ولوعة وحزن ويأس...وعليه نقل المراثي بزمن الحال أو الاستقبال لأن الموقف يتطلبها والغرض يقتضيها.

ورأى تامر سلوم في تحليله شعر ذي الرمة بأنه عبّر بالفعل المضارع في مثل: أبكي، أخاطبه، أسقيه وغيرها أفعال تفيد التجدد في البكاء والمناجاة والشكوى، وإنها توحي بالاستمرار الشعوري لهذا الحدث أو هو يوميء إلى ما يصاحب التجدد من حالات وجداني. فالفعل المضارع يعطي الموقع الوجداني للظاهرة المتجددة ومن ثم فهو ينقلنا من البكاء والمناجاة إلى العزلة النفسية والغربة والانفراد [٣].

العدول عن النظام الإعرابي:

ولإتمام دراستنا الأسلوبية في هذا الفصل، أتناول بعض النصوص القرآنية

---

(١) ينظر: في النقد اللساني ٢٢١.

(٢) ص ٢٩٠ وعلم الدلالة، لوشن ٨٨.

(٣) أثر اللسانيات في النقد العربي ٣ وعلم الدلالة، لوشن ٨٨.

التي يبدو فيها العدول عن قواعد النحو المألوفة واضحاً، في ضوء المنهج الذي التزمناه والذي يعني بنظام اللغة العربية.

إن التطبيق الأسلوبي ينبغي أن يبنى على جوهر العربية وأسرار نظامها، ذلك إنّ نظامها هو أسلوبها الذي يميزها عن سائر اللغات الأخرى. ومن غير ربط التحليل الأسلوبي بالنظام الكلي للعربية، تعاني الدراسة الأسلوبية وتطبيقها على النصّ القرآني نقصاً كبيراً، لا تتوصل إلى نتائج علمية مستقيمة تتناسب مع أساليب العربية وطبيعتها المختلفة عن أنظمة اللغات الغربية وآدابها التي وضعت لها المناهج الأسلوبية الحديثة دراسةً وتحليلاً وتطبيقاً.

إنّ نظام النصوص العربية جزء من دلالاتها وإنّ العدول جزء من هذا النظام، نحاول كشفه، وفي ضوء الأسلوبية العربية الإسلامية للوقوف على أسرار العدول ودلالاته الثانية.

ولسنا ملزمين بمتابعة الأعمال السابقة والقراءات الأسلوبية السابقة وتقليدها، عربية كانت أو غربية، ولا نسعى إلى أن يكون تطبيقنا الأسلوبي نسخة معدّله منها، ولا إلى جعل المصطلحات الحديثة المترجمة أو المستحدثة هدفاً ولا نتخذ المناهج الوافدة في تحليل النصّ القرآني المقدّس، أو دراسة إعجاز القرآن دراسة غربية ملفقة لا ترى خصوصية لكلام الله تعالى كما فعل ذلك بعض الدارسين [١] فهي إن صلحت لتحليل الشعر والقصة والأنواع الأدبية الأخرى، لا تصلح لدراسة النصّ القرآني إلاّ إكراهاً.

وكذلك توزيع الدراسة على مستويات لغوية أربع هي: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والتركيبي والدلالي، فضلاً عن التصويري أو البياني، التي لا تكاد دراسة أسلوبية معاصرة أو لغوية تخلو منها [٢].

---

(١) نحو النقد والإعجاز، د. محمد تحريشي.

(٢) ينظر: تأملات في سورة الدهر، مجلة المورد ع٣، مج ١٨، والسور المدنية دراسة أسلوبية بلاغية، وتقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف، والسور المكية دراسة بلاغية أسلوبية (أطروحة)، واطار التطبيق في الأسلوبية، د. محمد الهادي الطرابلسي (بحث) مجلة الموقف الأدبي ع ١٣٥، ١٣٦، ونظرية التلقي، أصول وتطبيقات، وما لا تؤديه الصفة وبنى الجدل في الخطاب القرآني (أطروحة).

ناهيك عن سعة الأسلوبية وعدم استقرارها وكثرة مناهجها ونظرياتها وتطفلها على علوم مختلفة، وعدم الاتفاق على تعريف محدد لها.

لا نعني عدم صلاحية تطبيق الدرس الأسلوبي على العدول في النص القرآني قال د. محمد الدجيلي: "إن تطبيق النظرية الإنسانية على النصّ القرآني ليس إخلالاً بحرمة القرآن، وإنما إضافة بعض موارد الكمال القرآني إلى النظرية الإنسانية من مبدأ أن النصّ القرآني ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (سورة فصلت: ٤٢)، أما النظرية الإنسانية فمثقلة بالباطل، وقسم منها يدور في فلك الخيال، أما النصّ القرآني فواقع دائماً" [١].

وليس الأسلوبية تشترط أن يكون منهج الأطروحة تقليداً أو نسخة من التطبيقات السابقة، فنعقد مباحث لعلم المعاني وخروج الدلالة إلى المعاني المجازية أو التنغيم والتكرير اللفظي والصوتي والجناس والفاصلة، والعاطفة والخيال والموسيقى الداخلية والخارجية والمحسنات اللفظية والمعنوية والمجالات الدلالية للسور كالجهاد والتشريع والتقابل والتماثل وغير ذلك [٢].

فضلاً عن عدم اتفاقهم على معيار محدد للعدول عن القياس، الذي هو يختلف في دراستنا عن انزياح كوهن وغيره وقد توسعوا به حتى عدّوا الشعر والأسلوبية أو الأسلوب كلها انزياحاً وانحرافاً أو انتهاكاً للمألوف عن الدلالة لا التركيب.

إنّ مناهج الأسلوبية متعددة وفهمها يختلف بحسب هذه المناهج لكنها تتفق على استنباط الدلالات الإيحائية من النص ومكوناته. ومنهجنا يتصل بالأسلوبية من حيث استنباط الدلالات من نظام العربية والعدول الذي يحدث في ضوء هذا النظام نفسه (والجديد) الذي يمكن أن نقدمه إلى ذلك وهو يتصل بموضوع الأسلوبية كونها تعنى بالدلالات غير المباشرة، الدلالات الثانية أو الأسرار البيانية التي يؤديها نظام العربية.

---

(١) تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف ٥.

(٢) ينظر: الأسلوب، الشايب دراسات أدبية ونحوية ١٢٠، والسور المدنية دراسة أسلوبية ٧.

فقد تحدّث البلاغيون عن حسن نظم العبارة القرآنية وجمال أسلوبها ودقة اختيار ألفاظها وملائمتها للمعنى وسبكها في تسلسل منطقي على وفق نظام متماسك، وموقعها وشكل بنيتها والأصوات الموحية بدلالة بنية اللفظ والتركيب بحيث لا نجد بديلاً عنها في دقة التعبير والإحاطة بالمعنى والمعاني المجازية التي تخرج إليها، وما تناوله البلاغيون في علوم المعاني والبيان والبديع، وعلماء الإعجاز في حسن أسلوب القرآن ونظمه المتناسق: اصواتاً وبنى وتراكيب [١]. وأعجبهم ذلك حتى عدّوه وجه الإعجاز القرآني.

إنما سببه (المشابهة) التي يبني عليها نظام اللغة العربية في مستوياتها: الصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية وغيرها، كلها تنساق في ضوء نظام واحد هو تعليق الأصوات والحروف والألفاظ والتراكيب والدلالات بعضها برقاب بعض وتحمل بعضها على بعض، في المستوى اللغوي الواحد من العربية، وفي المستويات بعضها على بعض، نظام واحد مطّرد لأداء المعنى القرآني المطلق الذي لا اختلاف فيه، الثابت كونه يحوي المتغيرات الزمانية والمكانية، فهو كالمعادلات الرياضية الثابتة وإن تغيرت الأعداد داخلها بحسب المتغيرات.

هذا النظام هو المعيار الذي نقيس عليه العدول في الأسلوب القرآني، وليس الأصل والفرع لدى القدامى، أو اللغة النفعية والإبداعية لدى المعاصرين الغربيين، أو نظرية تضافر القرائن لدى بعض الدارسين كما مرّ بنا.

سأتناول في هذا المبحث خرق النظام الإعرابي في النصّ القرآني بالتحليل الأسلوبي والنحوي في ضوء نظام العربية مستنبطاً دلالات فنية وملامح أسلوبية. والنظام الإعرابي أحد الأنظمة التي تعضد أنظمة العربية الأخرى، النظام الصرفي والنظام النحوي والنظام البلاغي كما مرّ بنا.

وفي النصّ القرآني كثير من نحو هذا، بعضه لم يشر إليه القدامى في تناولهم أسلوب القرآن وإعجازه إلاّ ما ورد عرضاً في التفاسير ولا سيما النحوية

---

(١) ينظر: مثلاً: دلائل الإعجاز ٧٩، ونهاية الإيجاز ١٩، والبرهان الكاشف للزملكاني ٢٥ وإعجاز القرآن للرافعي١٨٥، والمعجزة الكبرى١٣١، ومناهل العرفان ١ / ٥٥ والتعبير الفني في القرآن الكريم١٨٣، وصفاء الكلمة ٥٥ ومن أسرار التعبير في القرآن ١٢١.

واللغوية منها.

وأقدم ما نسب إلى بعض الصحابة (رضي الله عنهم) أنّهم قالوا: " إنّا نجد في القرآن لحناً وستقيمه العرب بألسنتها" ونسبوا إلى سعيد بن جبير، (رضي الله عنه) أنه قال: "في القرآن أربعة أحرف لحن: ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٦٩) ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١٦٢) و ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧) و ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة طه: ٦٣)، وعن عائشة وابن عباس (رضي الله عنهما) قالا: إنه من عمل الكتاب [١] وقد ردّ الزمخشري بقوله: "إنما كتبها الكاتب وهو ناعس، وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان مستقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله... هذه والله فرية ما فيها مرية" [٢].

وقد أشاروا إلى هذه الشواهد الأربعة ومثلها في القرآن الكريم كثير. وللحن دلالات كثيرة ليس بالضرورة الخطأ النحوي أو اللغوي [٣] فضلاً عن مكانة من نسبوا إليهم هذا القول في الإسلام الكبيرة، ومن يرجع إلى التفاسير ولا سيما

---

(١) المصاحف ٣/١ ونكت الانتصار ١٢٧ والتفسير الكبير ٢١٣/١ وأحكام ابن عربي ٥٥٨/٢ وأبجد العلوم ٢٠١/٣، والإتقان ٢/ ٢٧٣ وتفسير الألوسي ٣/ ٢٧٩، ٦/ ١٥، ٥٣/١٥، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩/٧ واعلام الخلف ٣/ ٢٩١.

(٢) الكشاف: ٢٧١ وينظر: دراسات لأسلوب القرآن ١/ ٢٧ وشبهات حول القرآن وتفنيدها، موسوعة الإعجاز العلمي.

(٣) ينظر: العربية، يوهان فك ١٣٩.

النحوية يجد كثرة الخلاف والآراء المتقاطعة في توجيه هذه النصوص وغيرها.

فقد ذكر أبو حيان عشرات الآراء النحوية والتعليلات في سبب صرف (مصراً) في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ (سورة البقرة: ٦١)، منها: إنه مصرٌ من الأمصار غير معين، وقيل هو من إطلاق النكرة ويراد بها المعين، وقيل (مصر) المنونة هي الاسم العلم. وقيل لخفته كما صرف (هند ودعد) وفيهما العلمية والتأنيث لسكون وسطه، أو بنزع الخافض، أو صرف لأنه ذهب باللفظ مذهب المكان [١]، أو فسّروه بالإتباع والحمل على الجوار، وحسن التخلص والاستطراد وغير ذلك من الآراء التي تدل على اضطراب في المنهج الذي تناولوا فيه العدول عن القياس النحوي في النصّ القرآني.

الأسلوبيون يعدّون ذلك وغيره: خرقاً وانتهاكاً وانزياحاً وانحراقاً عن مقاييس اللغة، وقوة ضاغطة على حساسية القارئ، وحدة المفاجأة عليه ومنبهات أسلوبية [٢].

ويرون: كلما كان الانزياح أو الانحراف بعيداً كان أعلى بلاغة وأكثر عاطفة وإثارة وإبداعا وفناً.

وهذا ردّ على طعن بعض المستشرقين المتحاملين غير المنصفين في النص القرآني الذين اتخذوا من العدول في لغته هدفاً لطعنهم وتشكيكهم بإعجاز القرآن كما مرّ بنا. وهو ردّ علمي من خلال أقوال اللغويين الغربيين أنفسهم وليس ردّاً عاطفياً انفعالياً كردّ بعض المسلمين [٣].

يرى تمام حسان أنه يجوز الترخّص في الإعراب بعدم مراعاته، وذلك للوصول بالرخصة إلى غرض أسلوبي عدولي ما... وعلل ذلك بأنه يمكن خرق

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٣٨- ٣٨٠.

(٢) الأسلوبية والأسلوب ٨٠.

(٣) نحو: خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، أحمد ديدات.

الإعراب لتضافر قرائن بيان المعنى زائدة عن المطلوب أحياناً فإذا زاد الإعراب عن مطالب بيان المعنى كما في (خرق الثوبُ المسمارَ) ونحوه أمكن الترخص في الإعراب، وقولهم: (هذا جحرُ ضبٍ خربٍ) [١].

وهي شواهد محددة اجترها النحاة في كتب النحو واللغة والبلاغة مشكوك في نسبتها، تختلف عن خرق الإعراب الوارد في النصّ القرآني وأغراضه الدلالية الدقيقة والجمالية.

وقال في بعض الشواهد السابقة: نحو الترخص في (والمقيمين الصلاة): "تحفُّ به المرفوعات من أمامه وورائه والعلاقة بينه وبين هذه المرفوعات علاقة العطف بقرينة الواو. وإذا إتّضح العطف بقرينة غير الإعراب أمكن الترخص في الإعراب كما نراه واضحاً هنا" [٢].

إن فكرة أمن اللبس غير كافية لتفسير خرق الإعراب في النصّ القرآني، ذلك بعضه ورد في آيات مشكلة المعنى اختلف فيها المفسرون تتقاطع مع شروط الدكتور تمام حسان للرخصة في أي قرينة، لا يتوقف عليها المعنى أو أمن اللبس ومنها قرينة الإعراب.

وقد أخذ فكرة أمن اللبس من النحاة الذين قيّدوا قواعدهم بأمن اللبس واشترطوه لصحتها وعدّوه أصلاً أساساً في وضع القواعد، فأوجبوا البقاء على الأصل في القاعدة النحوية إذا خشي اللبس وجواز الخروج عنه إذا أمن اللبس [٣]. وهي فكرة منطقية تخالف واقع اللغة ونظامها الذي يسمح بهذا الخرق من خلال حمل الكلام بعضه على بعض أو يبدو خرقاً بحسب المعيار النحوي التقليدي – ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ (سورة النساء: ١٦٢)، فقد ذهب بعضهم إلى

(١) البيان في روائع القرآن ١/ ٢٥٥، ٢/ ٩٧.

(٢) البيان في روائع القرآن ١/ ٢٥٧.

(٣) القاعدة النحوية في ضوء تقييدها بأمن اللبس ص١. (بحث)

أن (المقيمين) نصِبت عطفاً على المعنى ولا أرى ذلك. وإنما هو أسلوب النصب على المدح وسمّوه قطع التابع عن متبوعه، ويجوز الرفع على الابتداء، والنصب بأعني أو أمدح أو أذم بحسب المعنى. وقالوا يجوز عند النعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها بالمدح أو الذم [١]. وكذلك عند العطف وقد ورد هذا الأسلوب في النص القرآني في غير التوابع ومن غير إطالة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ (سورة المسد: ٤) نصب (حمالة) على الشتم والذم وهو ضرب من الإيجاز.

قال سيبويه: "هذا باب يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه. تقول (أتاني زيدٌ الفاسق الخبيث... وزعم الخليل أنه يقول: مررت به المسكين على البدل وفيه معنى التوهم، وإن شئت رفعت (المسكين هو) " وعلى هذا يجوز في التوابع أكثرها. (وقال): "واعلم إنه ليس كل موضع يجوز فيه التعظيم ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها" [٢].

وقد ردّ القاضي عبد الجبار من طعن في (والمقيمين الصلاة) بقوله: "جوابنا إن بعضهم قال هو نسق على ما التي في قوله (بها انزل إليك) فكأنه قال: إنهم يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة.

وقيل أيضاً كأنه قال بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة المقيمين الصلاة. وقيل: كأنه قال: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة. وقيل: كأنه قال وباقام الصلاة. وقيل: لما قال الكلام نصب المقيمين على وجه المدح [٣].

وزعم الخليل: أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدِّث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناء وتعظيماً ونصبه على الفعل كأنه قال: اذكر أهل ذاك، واذكر المقيمين، ولكنه فِعل لا يسبقه إظهاره" [٤].

---

(١) في عوالم القرآن ٨٤.

(٢) كتاب سيبويه ٢/ ٦٤، ٦٩، ٧٠.

(٣) تنزيه القرآن ١٠٦ وينظر: نكت الانتصار ١٣١.

(٤) كتاب سيبويه ٦٦/٢.

وقد يكون ذلك للتنبيه والتوكيد والاهتمام ولاسيما أنه ورد في معرض ذكر الإيمان بالكتاب الكريم (بما أنزل إليك) ونجد مثل هذا العدول يرد في مواضع ذكر الإيمان بالكتاب وبآياته وبالمتشابه والمحكم.

- قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران: ٧)، فكلما يذكر المتشابه يرد مشكل في الإعراب يتبعه أشكال دلالي وفي الآية الكريمة ورد الأشكال بوظيفة الواو بين العطف والاستئناف [1]. وكأنه تلميح إلى أن التشابه في القرآن إنما يقع بسبب اللغة.

إنّ لمواضع العدول دلالة أيضا تحتاج إلى دراسة ففي أول سورة النساء وآخرها يكثر العدول عن القياس النحوي، ويكاد ينعدم في وسطها (١٥٠) آية تقريباً أي أن العدول يرد في الغالب في المتشابه أكثر منه في آيات الأحكام ذلك إنّ آيات الأحكام تحتاج إلى وضوح وقد يدل ذلك على وضوح الشريعة الإسلامية واستمرارها أما الآيات المتشابه فيكثر فيها العدول لدلالات خفية دقيقة الله أعلم بها وفي ذلك ملمح أسلوبي يربط بين العدول في تركيب الآية وبين دلالتها العامة.

- ومن الآيات مشكلة الإعراب التي تتقاطع مع قواعد النحو فكانت مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين هي: (العطف على اسم إنّ قبل تمام الخبر) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (سورة المائدة: ٦٩)، برفع (الصابئون) وهو معطوف على اسم (إنّ) المنصوب وقد وردت في آيات أخرى تتفق مع قواعد النحو.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

(١) ينظر: آمالي الشريف المرتضى ١/ ٤٣٩، وفي عوالم القرآن ٥١- ٥٧.

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٦٢).

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة الحج: ١٧).

وقد أدلى النحاة فيها بدلاءٍ مختلفة. فالبصريون قالوا: محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء، والمعنى: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمنَ منهم بالله...والصابئون والنصارى كذلك).

والكوفيون أجازوا العطف على موضع (إنّ) واسمها وهو (الابتداء) قبل تمام الخبر وهذا رأي الكسائي ومن تبعه من الكوفيين خلافاً للبصريين. ومهما كان توجيه النحاة وخلافهم فالمعنى واضح، وقد استشهد بالآية الدكتور حلمي خليل للغموض (الأقل وضوحاً) لكنه لم يؤدِ إلى غموض المعنى، وقد فسّر الفراء عدم وقوع اللبس مع مخالفته الإعراب بأن الاسم الموصول (الذين) صرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه. وهو يقصد بذلك أنه مبني فلما كان إعرابه واحداً جاز رفع (الصابئين) [1]، فدلالات الآية واضحة إلا إنّ العدول فيها أضاف دلالة بلاغية كان على الكوفيين والبصريين العناية بها أكثر من عنايتهم بالصنعة النحوية وتأويلها بالحمل على الموضع.

ومنه تأويلهم جزم (أكنْ) في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (سورة المنافقون: ١٠) بـ "أنه معطوف على موضع الفاء من (فأصّدق)، فلما دخلت الفاء عملت في نصب (فأصدق) وبقيت (أكنْ) على حكمها" [2].

إنّ قضية العدول عن القياس النحوي إمّا أن تؤدي إلى لبس وغموض أو لا

---

(١) ينظر: العربية والغموض ١٠٢ ومعاني الفراء ١/٣١٠، ٢/١٨٣، و ١٠٦/ ٥١ ونكت الانتصار ١٣٠، ٢/١٨٣ تفسير أبي السعود ٢/ ٤٦ وخطى متعثرة ١٠١ وسيبويه والقراءات ١٠٧.

(٢) نكث الانتصار ٦/١٣٢.

تؤدي ولكن في كلا الحالين يؤدي العدول معنىً ثانياً بلاغياً وملمحاً أسلوبياً أو منبهاً واستجابة ودعوة إلى التدبر فيه، ليس بالضرورة أن يتفق عليه المفسرون أو البلاغيون فتتعدد دلالاتها بحسب ذائقة المفسّر أو البلاغي وموهبته الفنية ذلك أن المعنى الثاني معنى فني بلاغي جمالي متفلت عن المعيارية [١]، وهو الذي يقصدون به بقولهم (المعنى الحركي) كما مرّ بنا لدى بعض المعاصرين، وبقول القدامى بأن القرآن حمّال أوجه.

ومما اختلفوا فيه كثيراً قوله تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ ﴾ (سورة طه: ٦٢- ٦٣) قُرأت (إنّ)، الذي لحّنها بعضهم [٢] لكنها لم تؤدِ إلى لبس أو غموض على الرغم من مخالفتها القياس النحوي قالوا: رفع (هذان) مع (إنّ) مخففة وهذا مبتدأ، وساحران خبر واللام فارقة.

ويجوز أن يكون رفع (هذان) بالألف جرى مجرى من يعامل المثنى بالألف في حالات الرفع والنصب والجر [٣]. يقولون:

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

قال السيوطي: " (إنّ واسمها) أي إنّ القصة وهذان مبتدأ خبره لساحران والجملة خبر إنّ [٤].

قال أبو عبيدة: يزيدون وينقصون في الكتاب واللفظ صحيح وذكر مثله عيسى بن عمر [٥]. لكن العدول هنا في دخول اللام على الخبر وليس في (إنْ) كما ذهبوا لأن اللام تدخل على خبر (إنّ) ولا تدخل بعد (إنْ) النافية. ونظام العربية

---

(١) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ٣٢٧.

(٢) ينظر: معاني الفراء ١/١٠٦، ٢/١٨٣، ٤٨٣.

(٣) في عوالم القرآن ٧٦.

(٤) الإتقان ١/ ٢٦٦.

(٥) مجاز القرآن ٢/٢١ وينظر: تفسير الطبري ١٦/٣٧، ومفاتيح الغيب ٢٢/ ٧٤ وتفسير القرطبي ١/ ٨١، ١٦/ ٩٨، ٥٣١ وحاشية الشهاب ٦/ ٢١٢، واعلام الخلف ٣/ ٢١٣، ٢٢٩.

يسمح بحمل إنْ على إنّ للتعبير عن معنى بلاغي.

و إن تفسير بعض ظواهر العدول في النصّ القرآني باختلاف لهجات العرب يفقد الدلالات الدقيقة الإعجازية للعدول، وتجعل الدراسة البلاغية الأسلوبية للنصّ القرآني متعذرة ذلك أنها تتوخى المعنى من مكونات النصّ ولاسيما العدول الذي يشير دائماً إلى دلالات بلاغية، لذلك كان منهج دراستنا أن ننأى عن خلط المستويات اللغوية بالنصّ القرآني، ولاسيما أن بعض الدارسين المعاصرين يرى اللهجات تجعل اللغة العربية غير منسجمة (ملفقة) [١] مما يؤثر في نظامها ألاستعمالي.

ومن تفسيراتهم للعدول عن القياس النحوي معالجته في ضوء التأثير الصوتي كالإتباع والحمل على الجوار، ومثلوا له بشواهد قليلة أهمها: (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ) [٢]، وخرجوا قوله تعالى منه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (سورة المائدة: ٦)، بفتح (أرجلَكم) في النصّ القرآني وخفضها في بعض القراءات وهي مسألة فقهية خلافية [٣].

قال السيوطي: "من قال إنه مجرور على الجوار، لا يجوز لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرد منه إلاّ أحرف يسيرة والصواب أنه معطوف على (برؤسكم) على أن المراد به مسح الخف" [٤]، وسماه الزركشي: مشاكلة اللفظ للفظ [٥].

وهو من باب (الإتباع) وهو باب واسع فسّروا به بعض الخروج عن القياس: الصرفي والتركيبي لتأثير الأصوات والكلمات بعضها في بعض بحيث يخرج عن

---

(١) مدخل لدراسة النقسي-الآلي للحديث ٧٣.

(٢) الإتقان ١/ ٢٦٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، النحاس ٢/ ٤٨٥.

(٤) الإتقان ١/ ٩٤.

(٥) البرهان ٣/ ٣٧٧.

القياس إذا امن اللبس، أو لفوائد لغوية وصوتية، نحو قولهم: هنأني ومرأني والأصل أمرأني.

ومنها رعاية الفاصلة وهو: "إتباع حركة حركة أخرى في كلمتين متجاورتين في الكلمة الواحدة" [١] ككسر الجيم لإتباع الأخرى، في قولهم: (لا سمعت له حساً ولا جِرْساً) وإذا أفردت قلتَ جَرساً بالفتح.

وقولهم (ساغب لاغب) و(خراب يباب) و(قسيم وسيم)... ومنه إتباع الكلمة في التنوين لكلمة أخرى منونة صحبتها، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الإنسان ٤)، وقد مرّ بنا أنهم أجازوا خرق القياس النحوي رعاية للفاصلة أو للمشكلة اللفظية وقد كثرت هذه الظاهرة في أسلوب السور المكية.

وقد سمّاه البديعيون بـ (المحاذاة) وهي: أن يؤتى باللفظ على وزن لفظ آخر لأجل انضمامه إليه وإن كان لا يجوز ذلك لو استعمل منفرداً كقولهم: أتيته الغدايا والعشايا، وتعساً له ونكساً وإنما هو بالضم وإنما فتح للازدواج [٢] ولكن هل له دلالة أو هو تأثير صوتي شكلي حسب أعني الذي ورد مثله في النصّ القرآني لا بدّ أنه يحوي معنىً ثانياً يستنبطه الأسلوبيون بذائقتهم الفنية.

وانكر السيرافي وابن جني الحمل على الجوار، وفي ذلك خلافات وأراء كثيرة [٣]، وإلى هذا دعا عباس حسن [٤]، ولاسيما أن أقدم النصوص حول الحمل على الجوار لا تؤيد وقوعه، فقد عدّه الخليل غلطاً من بعض العرب. وقال سيبويه: "ومما جرى نعتاً على غير وجه الكلام: (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ)، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس. لأن الخرب نعت الجُحر والجحر رفع".

ولكن بعض العرب يجرّه، وليس بنعت للضبّ. ولكنه نعت للذي أضيف إلى

(١) الاتباع والمزاوجة، ابن فارس ٢٩.

(٢) الاتباع والمزاوجة، ابن فارسي ٣٠ والأشباه والنظائر ١/ ٨ والمزهر ١/ ١١٤.

(٣) ينظر: الخصائص ٢٢١/٣، تفسير القرطبي ٣/ ٤٣ ومغني اللبيب ٢/ ٨٩.

(٤) النحو الوافي.٤٢١/٣.

(الضبّ) فجروه لأنه نكرة كالضب وسكنه في موضع يقيم فيه نعت الضبّ ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنك تقول: (هذا حبّ رمّان) [١].

لقد وردت في النصّ القرآني شواهد كثيرة خرجت عن القياس النحوي سمّاها البلاغيون (أساليب) ومجازات وطرائق. ويبدو أنّ اصطلاح الأسلوب وأساليب أطلقت في الغالب لدى القدامى والمعاصرين على الظواهر غير القياسية، أو ما يخرج عن قواعد النحو كقولهم أسلوب العدول. وهم لا يقولون أسلوب الفاعل أو أسلوب المفعول به وغير ذلك من الأبواب النحوية المطّردة.

لكنهم يقولون: أسلوب النفي وأسلوب التوكيد والشرط والنداء وغير ذلك، وإن لم يطرّد ذلك ولفظة (أسلوب) متعددة الدلالة قديماً وحديثاً، ولدى الغربيين ومن تبعهم من المعاصرين العرب. إلا أن دلالته على العدول أوضح وأصحّ تفريقاً بين اللغة المطرّدة واللغة الصحيحة غير المطرّدة فالتضمين مثلاً أسلوب يراد به وجهاً ومعنىً بلاغياً دقيقاً مرتبطاً بالذائقة الفنية. وسنذكر عدداً من الشواهد محاولين استنباط دلالاتها البلاغية في ضوء النظام التركيبي العربية.

قال تعالى:

-﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧)، في الآية الكريمة شاهدان:

الأول: نصب اسم ليس: (البرَّ)

قرأها أكثر القراء السبعة بالرفع على أنها اسم (ليس) [٢]، وقد لاحظنا أنّ

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ٣٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢/ ١٣١ والكشاف ١٠٨ والتحرير والتنوير ٢/ ٤٩٩، ٣/ ٥٠٠.

العدول عن القياس النحوي في النص القرآني قرأ بالوجه الذي يتفق مع القياس النحوي بالقراءات المختلفة، وإنْ كنا لم نستشهد بالقراءات لأنّ منهجنا استبعد القراءات وغيرها من المستويات اللغوية غير النصّ القرآني (الإمام)، لكنا ننبه هنا إلى أن الشواهد القرآنية الكثيرة التي سنتناولها قد قُرأت بالوجه الذي يوافق القواعد النحوية في القراءات المختلفة.

ويبدو كانت القراءات أحد التوجيهات للعدول في لغة القرآن وكأنها تصحيح للعدول بحسب الوجه النحوي لاعتقاد بعض القراء أن ذلك من عمل الكتاب.

أو يخرجونه على أنه لهجة من لهجات القبائل العربية كقولهم في الآية الكريمة: (إنْ هذان لساحران) وغيرها.

أو يلجؤون إلى التأويل والتقدير من حذف وتقديم وتأخير وغيرها، أو لم يشيروا إلى العدول في أثناء تفاسيرهم كالزمخشري الذي لم يتناول كثيراً من العدول على الرغم من أن العدول من اهتمام البلاغي وكان الزمخشري في تفسيره (الكشاف) بلاغياً، أكثر اهتماماً بالمعنى من الصنعة النحوية فهو لم يعالج نصب (البرَّ) وكذلك في أكثر الشواهد التي سنذكرها [١]. وكانت معالجته للعدول – في الغالب – على أنه قُرِئ بقراءات توافق القياس النحوي.

قال أبو حيان: " من قرأ بنصب (البر) جعله خبر ليس و(أن تولوا) في موضع الاسم. والوجه أن يلي المرفوع لأنها بمنزلة الفعل المتعدي وهذه القراءة من وجه أولى وهو أنه جعل فيها اسم ليس: (أن تولوا). وجعل الخبر (البّر)، وأن وصلتها أقوى في التعريف من المعرّف بالألف واللام، وقراءة الجمهور أولى من وجه، وهو: أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قليل " [٢].

وأضاف ابن عرفة وجهاً آخر هو أن "التولية معلومة والبّر مجهول أي ليست التولية برّاً" [٣]. وقال ابن عاشور: "يكثر في كلام العرب تقديم الخبر على الاسم في

---

(١) ينظر: الكشاف ١٠٨، ١٣٥، ١٩٨، ٤٣٧، ٤٤٠، ١٠٦٨ وغيرها.

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٣١.

(٣) تفسير ابن عرفة ١/ ٢٢١.

باب كان وأخواتها إذا كان أحد معمولي هذا الباب مركباً من أن المصدرية وفعلها، كان المتكلم بالخيار..." [١].

فقد لجأوا إلى التأويل لتستقيم الصنعة النحوية، فقدروا ترتيباً جديداً للتركيب لا يحتمله المعنى، أكره النصّ عليه، وقالوا بعلة واهية لهذا الترتيب هو (أن وصلتها) أقوى في التعريف من المعرّف بأل.

أما في ضوء نظام العربية الذي يبنى على (المشابهة وتعلق الكلام بعضه برقاب بعض) فإن (البّر) بالنصب على أن (ليس) محمولة على فعل ينصب الاسم بعده كأن ألمشبهه بالفعل أو إحدى أخواتها والجامع بينهما (نسخ الجملة بعدهما) ولهذا الحمل دلالة ثانية أضافها إلى الدلالة الأولى للتركيب أو توسع بالمعنى أداه التوسع في التركيب في ضوء نظام ألمشابهه الذي تبنى عليه العربية بكل مستوياتها. فهي عملية تشبيه يمكن توضيحها بالآتي:

- المشبه: ليس
- المشبه به: إنّ
- الجامع بينهما: النسخ والفعلية الناقصة.
- الفائدة الدلالية (المعنى الثاني): التوكيد

وقد شبهها ابن رستويه بـ (ما) "أراد الحكم عليها بأنها حرف" لأن (ليس) لا يتقدم خبرها على اسمها إلا نادراً. وقد ردّ ذلك أبو حيان [٢].

المعنى الثاني معنى بلاغي متحرك قد يختلف من متخصص بأسلوب القرآن إلى آخر. إلا إننا أردنا تطبيق نظام العربية في مستواه البلاغي على شواهد العدول في أسلوب القرآن الكريم بعد اثبات نظام المشابهة في العربية، وهذا أولى من تأويل النحاة وتقديراتهم بحسب مناهجهم العقلية.

ولم يتعرّض بعض المفسرين لهذا العدول كالفراء والزمخشري وابن أجروم إمّا لأنهم عدوه من المتشابه وتجنبوا تناول المتشابه والخوض فيه، أو لعدم قناعتهم

(١) تحرير والتنوير ٢/ ٤٩٩.

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٣٠.

بتوجيه النحاة له أو غير ذلك [١].

العدول الثاني في الشاهد المذكور: نصب (الصابرين) والظاهر أنه معطوف على مرفوعات قبله. وعللوا ذلك بأنه انتصب على المدح. قال أبو علي الفارسي: "إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم، الأحسن أن تخالف بإعرابها ولا تجعلها كلها جارية على موصوفها، لأن هذا الموضع موضع إطناب في الوصف والإبلاغ في القول، فإذا خولف إعراب الأوصاف كان المقصود أكمل، لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً أو جملة واحدة" [٢].

وقال ابن عاشور: "نصب على الاختصاص على ما هو المتعارف في كلام العرب في عطف النعوت من تخيير المتكلم بين الإتباع في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع...إذ لا يعرف أن المتكلم قصد القطع إلا بمخالفة الإعراب، فأما النصب فبتقدير فعل مدح أو ذم بحسب المقام، والأظهر تقدير فعل أخص لأنه يفيد المدح بين الممدوحين والذم بين المذمومين" [٣].

وعن الكسائي: إنه نُصبَ عطفاً على مفاعيل آتى، أي وآتى المال الصابرين أي الفقراء المتعففين.

ومهما كان توجيه النحاة والبلاغيين لهذا الأسلوب فهو أسلوب ورد في ضوء نظام العربية بمستواه البلاغي كالآتي:

- المشبه: المعطوف
- المشبه به: المفعول به
- الوجه الجامع بينهما: التبعية
- الفائدة (المعنى الثاني): تنبيهاً على خصيصة الصابرين ومزية صفتهم التي هي الصبر.

لعل باحثاً غيرنا يرى وجهاً آخر للمشابهة في هذا الأسلوب أقرب مما ذكرناه

---

(١) ينظر: معاني القرآن ١ / ٤٥، الكشاف ١١٠٨، مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢/ ١٤٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣/ ٥٠٠-٥٠١.

ذلك أن بعض شواهد نظام العربية خفية وبعضها واضحة ولاسيما في الشواهد التي تناولناها في فصل (العدول النظامي)، فحمل الكلام بعضه على بعض أكثر وضوحا كشواهد الحمل على المعنى والحمل على الموضع والعطف على المعنى والتضمين والتناوب والتخالف السياقي وغيرها

نعود إلى العدول الأول في الشاهد وهو حمل النواسخ بعضها على بعض في العمل والدلالة، فقد استعمل أسلوب القرآن ذلك في مواضع عديدة، لفوائد دلالية بلاغية أما الجامع بينهما فهو دخولها على الجمل ونسخ إعرابها والفعلية الناقصة.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (سورة النور: ٥١).

قال الزمخشري: قرئ بالرفع "والنصب أقوى، لأنه أولى الاسمين يكون اسماً لكان اوغلهما في التعريف، و(أن يقولوا) أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف (قول المؤمنين) [١].

- ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٨٢).

قال الزمخشرب: "يعني ما أجابوه بما يكون جواباً عمّا كلمهم به لوط" [٢] والأسلوب أسلوب قصر أي لا جواب لديهم غير هذا لإصرارهم على الكفر.

ولم يشر إلى هذا العدول وكذلك ابن اجروم، ذكرا أنه قرئ بالرفع دلالة على أنّ أكثر القراءات كانت انسجاماً مع الوجهة النحوية.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (سورة آل عمران ١٤٧)، بنصب (قولهم).

---

(١) الكشاف ٧٣٤.

(٢) الكشاف ٧٣٤. وينظر: مشكل إعراب القرآن، ابن آجروم ١٦٢

قال أبو حيان: "وحصر قولهم في ذلك القول، فلم يكن ملجأ ولا مفزع إلا إلى الله تعالى، ولا قول إلا هذا القول"..." و(أن قالوا) في موضع الاسم وجعلوا ما كان اعرف الاسمين لأن (إن) وصلتها تنزل منزلة الضمير. و(قولهم) مضاف للضمير تنزل منزلة العلم. وقرأت طائفة... برفع قولهم" [١]، ولم يتناول الزمخشري هذا العدول [٢].

وفي العدول الصناعي كالتقديم والتأخير يمكن معالجته في ضوء نظام مشابهة الكلام وحمله بعضه على بعض.

- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (سورة صّ: ٨٤-٨٥)، بنصب (الحقّ) الثانية. وقدره ابن هشام أنه منصوب بالفعل بعده (لأملأن) جواب قسم، والجملة بينهما معترضة لتقوية المعنى، قال: "والتقدير، أقسم بالحق لأملأن جهنم وأقول الحقّ" [٣].

-وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة الكهف٨٨) بنصب (جزاءً) وحقه الرفع، وقدّروه مفعولا لأجله مقدماً [٤]. فتشبيه المقدم والمؤخر بالمقدم لاتساع المعنى وتأكيده والاهتمام به.

-ومنه حمل (إن) المكسورة الهمزة على (أن) المفتوحة الهمزة ووجه الشبه بينهما واضح، والفائدة اتساع المعنى، أو حمل الفاء الرابطة بين جملتي الشرط وجوابه على الفاء العاطفة.

-قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ

---

(١) البحر ٣/ ٣٧٣.

(٢) الكشاف ١٩٨.

(٣) رسالتان في لغة القرآن ٣٥.

(٤) الكشاف ٦٢٩.

عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الحج: ٤)، فيمن يتبع الشيطان بفتح همزة (أن يضله).

-وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة التوبة: ٦٣)، بفتح همزة (فأنّ).

-ومنه ما سموّه بـ (الموصول لفظاً والمفصول معنى) [١]، وهو خفي الحمل والوجه الجامع بين المشبه والمشبه به.

-وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ٤٠)، برفع (كلمة الله) مقطوعة عن كلمة (الذين كفروا) وإنْ كان الظاهر أنها معطوفة عليها. للاختلاف الكبير بين الكلمتين، فكلمة الله حقّ وقد أكدها بالضمير (هي) [٢].

-وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٥)، قطعه مما قبله، وقالوا عطف المنصوب قبله [٣]. وربما منصوبٌ على الذم أو محمول على موضع إنَّ ومعموليها وهو وصف للمنصوب قبله.

-وكذلك رفع (الملائكة) في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة النحل: ٤٩)، قطعها عمّا قبلها ولم يعطفها على (دابة) لخصوصية سجود الملائكة

(١) ينظر: الإتقان ١/٢٥٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٤٢٢.

(٣) المصدر نفسه ٢٥٠.

وتنزيههم – عليهم السلام عن الدواب..

-وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة النحل: ١٢)، برفع النجوم، والظاهر أنها معطوفة على منصوب (الليل).

-وقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة التوبة: ٣) معطوف على محل (إن) المكسورة واسمها [١] فهو من باب الحمل على الموضع.

-وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة التوبة: ٧٢)، التقدير لدى الزمخشري، "وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله [٢] وعلى هذا تكون الواو استئنافاً، أي قطع عن العطف.

-وقد يأتي بعد الواو منصوب كقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة فاطر: ٣٣)، قال الزمخشري في تفسير سورة فاطر: لؤلؤاً معطوف على محل (من أساور). وقدّر في تفسير سورة الحج على: (ويؤتون لؤلؤاً) [٣].

القول الأول أقرب إلى نظام العربية، والقول الثاني أقرب إلى الصنعة النحوية.

-ومنه حمل جمع القلة على جمع الكثرة والعكس والجامع بينهما

---

(١) الكشاف ٤٢٣.

(٢) نفسه ٤٤٣.

(٣) الكشاف ٨٨٧، ٦٩٣.

اشتراكهما بالجمعية. قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٨) (قروء) جمع كثرة، ويرى النحاة هذا الموضع لجمع القلة (إقرأ)، قال الزمخشري "يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية) [١]، ونقل الزركشي عن (أهل المعاني): إنما أضاف جمع الكثرة نظراً إلى كثرة المتربصات [٢].

-وكذلك في سورة يوسف (آية ٤٣ و٤٦): ﴿ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ ﴾ جمع قلة. وفي سورة البقرة (آية ٢٦١) قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١)، قال ابن هشام: القياس (سنبلات) جمع قلة لكنهم يتوسعون في استعمال أحدهما مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية. فالمشبه: جمع القلة والمشبه به: جمع الكثرة، والسبب: الاشتراك في الجمعية، أما التوسع بالمعنى (سبع سنابل) فللدلالة على الكثرة مما يضاعفه الله تعالى للمنفقين.

-ومن شواهد العدول التي تدل على نظام العربية أو التوسع في ضوئه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ (سورة المدثر: ٦)، برفع (تستكثر) والظاهر أنه جواب طلب. قال الزمخشري: "مرفوع، منصوب المحل على الحال. أي: ولا تعط مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً لكثير" [٣] والخطاب للرسول .

-وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ

(١) نفسه ١٣٢، ١٤٩.

(٢) البرهان ٤/ ١١٩ والكشاف ١٣٢.

(٣) الكشاف ١١٥٤.

﴿ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة طه: ٧٧)، والظاهر أن لا ناهية وكان حق الفعل بعدها الجزم. قال الزمخشري: "لا تكون الألف المتقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجلالفاصلة" [١] قد يكون حمل (لا) الناهية على (لا) النافية لاشتراكهما في النفي والحرفية، لفائدة أن موسى عليه السلام منفي عنه الخوف كونه يؤمن بنصر الله تعالى.

-وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحاقة: ١٣)، برفع (نفخة) والظاهر أنها مفعول مطلق حكمه النصب. قال ابن طيبة: "لما نعت صحّ رفعه" وقال أبو حيان: "ولو لم ينعت لصحّ لأن نفحة مصدر محدود ونعته ليس بنعت تخصيص، إنما هو نعت توكيد" [٢].

قال الباقلاني في شواهد العدول عن القياس النحوي: "ويمكن أن يكون فَعَلَ ذلك (تعالى) ليحثَّ الأمة على حفظ كتابه وطرق إعرابه والفحص عن باقي ألفاظه لما أنزل فيه من هذه الوجوه الغريبة والأحرف الشاذة" [٣].

كل هذه الشواهد وغيرها التي تحوي عدولاً عن القياس النحوي إنما أريد بها وجهاً ومعنىً بلاغياً إعجازياً [٤] أدلى فيه بعض البلاغيين والمفسرين بدلاءٍ مختلفة وسمّاها البلاغيون أسراراً ثانية وصنّفوا فيها كتباً وبحوثاً كثيرة ولاسيما لدى المعاصرين فيما سمّي بالأسلوبية العربية الإسلامية كسيد قطب والرافعي والدكتورة عائشة بنت الشاطئ وغيرهم [٥] استلهموا فيها بعض التراث البلاغي ولاسيما الإمامين عبد القاهر والزمخشري ومن تبعهما. وكلها أيضاً وردت ضمن نظام العربية الذي يقوم على المشابهة وتعلق الكلام بعضه برقاب بعض، وإنما خرج عن

---

(١) نفسه ٦٦٤.

(٢) البحر المحيط ٢٥٧/١٠.

(٣) نكت الانتصار ١٣٤.

(٤) ينظر: المعاني الثانية في أسلوب القرآن الكريم ٣٢٦ وما بعدها.

(٥) ينظر: التصوير الفني في القرآن ١٩٣ وما بعدها و (في ظلال القرآن)، مقدمة التفسير، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٧، ٣٢ والتفسير البياني ٥.

النظام النحوي المنطقي الافتراضي. لكن بيان ذلك يحتاج تدبراً وتمرّساً في معرفة أنظمة العربية الخاصة بها، فبعضه ظاهر واضح، وبعضه الآخر دقيق خفي لكنه لا يخرج عن ذلك النظام.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الزمر: ٢٣).

لقد أشار الله تعالى في هذه الآية الكريمة التي اختلفوا في تفسيرها اختلافاً كبيراً ولاسيما في دلالة (كتاباً متشابهاً مثاني) أشار إلى النظام المعجز الذي تبنى عليه عربية القرآن الكريم. وأشار أيضاً إلى أن الوقوف عليه يشترط هداية من الله وتوفيقاً وموهبة. وإن الوقوف على حقيقته الإعجازية (تقشعر منه الجلود) ويبدو تسمية (المتشابه) تشير إلى نظام العربية أيضاً.

والآية الكريمة من الشواهد الواضحة على المعنى الحركي في النصّ القرآني الذي لا ينقضي مع الزمن ولا تنتهي أسراره بحسب التدبر والدراسة وهداية الله تعالى، فالمعنى الذي ذكرناه للآية الكريمة معنى جديداً والآية تحتمله احتمالاً واضحا والله اعلم، نسأل الله الهداية وألاّ نقول في كلامه شططاً والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

- درست العدول عن القياس النحوي في النص القرآني في ضوء منهج جديد أقرب إلى طبيعة العربية وحقيقتها مبني على تتبع نظام اللغة العربية في مستوييه التركيبي والبلاغي الذي يقوم على تعلق الكلام بعضه برقاب بعض وعلى التجانس والتشابه في مكوناته وعناصره.

- ملاحظاً خصوصية النص القرآني من حيث المرسل والمتلقي والرسالة التي تمتاز بأنها رسالة مفتوحة بمعناها المتحرك فوق المؤثرات الزمانية والمكانية.

- ولكي تستقيم النتائج درست النص القرآني من غير خلطه بالمستويات النحوية الأخرى كالقراءات والحديث الشريف وكلام العرب شعراً ونثراً واللهجات العربية ذلك أنّها مستويات لم تسلم من الوضع والتحريف عبر تاريخها الطويل مما يؤثر على دقة استعمال نظام العربية كما في النصّ القرآني، وهو النص الوحيد الذي سلم من التحريف وقد نقل إلينا نقلاً متواتراً وتكفل الله تعالى بحفظه.

- رأيت إن اللهجات العربية كانت أحد أسباب القراءات القرآنية المشهورة والشاذة، لذا اتجه البحث المعاصر إلى دراستها في ضمن الدراسات اللهجية العربية وإن كثيرا من القراءات محاولة إخضاع لغة القرآن للسنن البنائية والنحوية التي وضعها النحاة في ضوء المناهج العقلية والتعليمية.

- يمتاز نظام العربية بالسعة والمرونة والتماسك وهو أنجح وسيلة علامية للتعبير عن المعاني التي تمتاز بالتشعب والتعقيد والغموض والتحرك المستمر مع مراحل الحياة وتطورها.

- وتتسع أنظمة العربية من خلال التجانس والتشابه وحمل الكلام بعضه على بعض في مستويات العربية ومكوناتها، كنيابة الأسماء عن الأفعال والحروف عن الأسماء والأفعال وغيرها ونيابة صيغة بنائية عن صيغة أخرى وحمل وظيفة نحوية على أخرى فتؤدي عملها ومعناها النحويين وأثرها الإعرابي للمشابهة اللفظية أو المعنوية بين المحمول والمحمول عليه كأعمال (ما) عمل (ليس)، لاشتراكهما في النفي، وأعمال (ليس) عمل (غير) لاشتراكهما في معنى الاستثناء.

- قاس النحاة المنصوبات على المفعول به والمرفوعات على الفاعل

والضمير في البناء على الحروف والتوابع على المجاورة لما قبلها، والأسماء العاملة على الأفعال والممنوع من الصرف على الأفعال، والفعل المضارع على الأسماء للمجانسة والملابسة بين الطرفين.

- أخذ أكثر النحاة المعاصرين ولاسيما أصحاب التيسير النحوي والذين تأثروا بالمناهج اللغوية الحديثة على النحاة في هذه المباحث على الرغم من أنها أقرب إلى طبيعة العربية ونظامها إلاّ إنّ القدامى انحرفوا بها وخلطوها بالمنطق العقلي.

- إنّ كثيراً مما يبدو عدولاً في النص القرآني هو في ضوء النظام النحوي العقلي لا النظام اللغوي العربي المرتبط بنظام القرآن ارتباطاً عضوياً لا يمكن فصلهما.

- يتضح ذلك من خلال اتفاق علماء الإسلام على أن ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى ليس قرآناً، لأن لغة القرآن من الشريعة. وإن الترجمة تفقد نظام العربية الذي هو جزء من دلالة النص القرآني المتماسك.

- تناول النحاة القدامى نظام العربية تناولاً جزئياً منه ما أطلقوا عليه تصحيح القياس، والحمل على المعنى، والنيابة النحوية، والتضمين وخلع الأدلة، وتقارض اللفظين والكليات في النحو واستصحاب الحال، وحمل الأصول على الفروع وغيرها.

- وأسرف المتأخرون منهم في دراسته لأدنى مشابهة وفلسفوه وتناولوه تناولاً عقلياً جدلياً بتعليل ما وجدوه متجانساً في الدلالة والوظيفة النحوية والشكل.

- كان ابن جني أحد المسؤولين عن انحراف دراسة نظام العربية ألاستعمالي إلى النظام العقلي المنطقي، ولاسيما في كتابه (الخصائص). وفي كتابه (المحتسب) الذي خلط بين النصّ القرآني وبين المستويات اللغوية الأخرى ومنها القراءات الشاذة واللهجات وعالجها معالجة عقلية وقد بنى المتأخرون على دراساته مما زاد الدرس النحوي بعدا عن نظام العربية ألاستعمالي.

- ناقشت نظريات الدكتور تمام حسّان وطروحاته في العدول الأسلوبي والترخص في اللغة، المبني على القرائن اللغوية وأمن اللبس وأخذت عليه أنه اعتمد على النحاة المتأخرين ولاسيما أبو البركات الأنباري في كتابه (الإنصاف)،

فضلاً عن محاولته تطبيق المنهج اللغوي الوصفي الغربي على اللغة العربية.

- إن للعدول وجهاً بلاغياً لمح فيه بعض البلاغيين أسراراً بيانية وتناولوه تناولاً ذوقياً فنياً كالزمخشري الذي كان رائداً في تطبيق علمي المعاني والبيان ونظرية النظم على النص القرآني كله، وقد تبعه كثير من البلاغيين ومنهم المعاصرون كسيد قطب ومصطفى صادق الرافعي وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

- ثمة فرق بين العدول اللفظي والعدول الدلالي فالأول يقع في الألفاظ والتراكيب من خلال خروجها عن السنن النحوية والصرفية والثاني يقع في الدلالة كالمجاز والاستعارة والكناية وغيرها. وقد خلط البلاغيون بينهما، واهتم المعاصرون بالعدول الدلالي وأطلقوا عليه اصطلاحات كثيرة منها: الانزياح والانحراف والانتهاك والاستفزاز وغيرها. وقد تناولت الدراسة العدول اللفظي.

- أطلقت مصطلحات جديدة كالعدول النظامي والعدول الصناعي والحمل المزدوج في العربية وهو ما اختلف فيه البصريون والكوفيون بين التناوب في حروف الجر والتضمين بين معاني الأفعال المحمولة بعضها على بعض.

- درست في العدول النظامي: الحمل على المعنى، والحمل على الموضع والعطف على المعنى وعلى التوهم والتناوب والتضمين والنقل والمطابقة وغيرها.

- درست في العدول الصناعي: التقديم والتأخير والحذف والتقدير والزيادة وكل ما يتعلق بالتقدير بحسب الصنعة النحوية.

- أفترض المفسرون والبلاغيون عدولات عن أصول مفترضة كوضع الأسماء والأفعال في غير مواضعها بحسب فهمهم للنصّ القرآني نحو قولهم (عاصم) بمعنى (معصوم) و(دافق) بمعنى (مدفوق) و(كذب) بمعنى (مكذوب) وغيرها.

- أخذت على التطبيقات الأسلوبية المنجزة على النص القرآني لدى بعض الدارسين العرب المعاصرين، مآخذ منها عدم اعتبارهم لخصوصية النّص القرآني ونظام لغته الذي ينأى عن أنظمة اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما مما كانت ميداناً تطبيقاً للأسلوبية المعاصرة الغربية. وارتباطها بالفكر

الغربي المادي.

- ركزت على ما له صلة بالألسنية من مناهج الأسلوبية المتشعبة، ولاسيما المنهج الذي يستنبط الدلالة من كل مكونات النّص: الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي.

- ميزت بين الأسلوبية الغربية المعاصرة والأسلوبية العربية الإسلامية المرتبطة بالآدب والنقد الإسلاميين المؤسسين على العقيدة الإسلامية.

- ناقشت أسباب عدم اتفاق المعاصرين على تعريف موحد للأسلوب والأسلوبية، وذكرت عدداً من هذه التعاريف ومنها لم يسلم من نقد أو غموض أو تقاطع.

- رأيت الجامع بينها أنها اختيار وتوزيع وعدول عن المألوف سواء في البنى أو التراكيب أو الأصوات أو الدلالة، والاهتمام بالتحليل الفني للنّص والتأثير.

- أخذت على تقسيم المعاصرين اللغة على مستويين: المستوى المثالي في الأداء العادي والمستوى الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها وتحديد عمل الأسلوبي في رصد هذا المستوى وظواهره وتفسيره.

- تناولت جذور الأسلوبية المعاصرة في الموروث البلاغي والنحوي ورأيت أوضحها ما تناوله علماء إعجاز القرآن في دفاعهم عن لغة القرآن وردّ المطاعن التي وجهها أعداء الإسلام لإعجاز القرآن.

- يبدو أن القدامى يقصدون بالأسلوب ما يخرج عن اللغة المألوفة وما سمّوه بطرائق العرب ومجازاتهم وأساليبهم في الكلام، وقد عللوا في ضوء ذلك كثيراً من أشكال العدول في النّص القرآني.

- تناولت بعض النصوص القرآنية التي يبدو فيها العدول عن قواعد النحو المألوفة واضحاً في ضوء المنهج الذي يعنى بنظام العربية الإعرابي والتركيبي من خلال تحديد المشبه والمشبه به وسبب المشابهة والفائدة الدلالية لهذا التجانس والتشابه بين عناصر الكلام.

- إن التطبيق الأسلوبي ينبغي أن يبنى على جوهر العربية وأسرار نظامها ذلك إن نظامها هو أسلوبها الذي يميزها عن سائر اللغات الأخرى، ومن غير ربط التحليل الأسلوبي بالنظام الكلي للعربية، تعاني الدراسة للأسلوبية وتطبيقها على

النص القرآني نقصاً كبيراً. وإن دراستي تعدّ أسلوبية وإن لم تتبعها في التطبيق لكنها تقاربها في الأهداف والنتائج.

- إن نظام النصوص العربية جزء من دلالاتها وإن العدول وجه من هذا النظام حاولت كشفه في ضوء الأسلوبية العربية الإسلامية للوقوف على أسرار العدول ودلالاته الثانية.

- رأيت المعيار الذي قاسوا عليه العدول واختلفوا فيه هو نظام العربية وليس الأصل والفرع لدى القدامى، أو اللغة النفعية والإبداعية لدى المعاصرين أو نظرية تضافر القرائن لدى بعض الدارسين.

- لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النظام المعجز في مواضع منها قوله تعالى: (كتاباً متشابهاً مثاني) والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب المطبوعة

- أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف)، د. محي الدين توفيق، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٧٩.
- ابن جني النحوي، د. فاضل السامرائي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد ١٩٦٩.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، (د.ت).
- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللبدي، دار الكتب، الكويت ١٩٧٨.
- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين القطّ، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢.
- إحياء النحو، د. إبراهيم مصطفى، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٣٧.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. مصطفى أحمد النحاس، ط١، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر ١٩٨٧.
- ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، الشيخ عين الشاوي، تحقيق: د. عبد الرزاق السعدي، ط١، دار الانبار، بغداد ١٩٩٠.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير العلامة أبي السعود، دار الفكر، بيروت، لبنان (د.ت).
- أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العليم فودة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة.
- أساليب النفي في القرآن الكريم، د. أحمد ماهر البقري، الكتاب العربي الحديث للطباعة ١٩٨٩.
- أسرار البلاغة، الأمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق محمد رشيد رضا، ط١، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢.
- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٦.
- الأسلوب والأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، (د.ت).

- الأسلوب والأسلوبية، كراهم هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، العدد الأول، كانون الثاني ١٩٨٥، بغداد.
- الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٧.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ط٣، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤.
- الأصول، دراسة ايبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، منشورات عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٤.
- أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، دار الثقافة، مطابع دار القلم، بيروت ١٩٧٣.
- أصول الشعر العربي، ديفيد صموئيل مرجليوت، ترجمة إبراهيم عوض، دار الفردوس ٢٠٠٦.
- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج (٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧.
- أطلس النحو العربي، عباس المناصرة، دمشق ٢٠٠٣.
- الإعجاز البلاغي في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، د. محمد أمين الخفري، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية ٢٠٠١.

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ٢٠٠١.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ١٩٦٣.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٥٢.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٧هـ)، ط٢، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ١٩٨٥.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ط١، تحقيق د. أحمد سليم الحمصي، د. محمد أحمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨.
- الأمالي الشجرية، أبو السعادات هبة الله بن الشجري (٦٤٦هـ)، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، دار عمّار – عمان ١٩٨٩.
- أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، علي بن الحسين الشريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٦٧.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، ترجمة: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط٥، دار النفائس، بيروت ١٩٧١.
- الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥.
- البحث البلاغي عند العرب، د. أحمد مطلوب، الموسوعة الصغيرة (١١٦هـ)، دار الجاحظ للنشر، بغداد ١٩٨٢.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧٥٤هـ)، عناية صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٢.
- البرهان الكاشف في إعجاز القرآن، عبد الواحد الزملكاني، تحقيق: د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٤.
- البرهان في تناسب سور القرآن، الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (٧٠٨هـ)، تحقيق: د. سعيد الفلاحي، مطبعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ١٩٨٨.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عمر

الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت).

- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧.

- البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قليقلة، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٢.

- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت ١٩٩٩.

- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية مقارنة، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت).

- البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليش، ترجمة: د. محمد العمري، ط١، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء ١٩٨٩.

- البناء الصوتي في البيان القرآني، د. محمد حسن شرشر، ط ١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٨.

- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٨٦.

- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله

والدكتور محمد زغلول، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ط٢، عالم الكتب، ٢٠٠٠م.
- البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٠.
- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: د. عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد ولد أباه المختار، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ٢٠٠١.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. احسان عباس، ط٢، دار بيروت ١٩٧٨.
- تأملات في النحو واللغة، محمد عزيز الحبابي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ١٩٨٠.
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة ١٩٧٧.
- (تفسير) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤.
- تحفة الطالبين، ابن طولون، مجلة المورد، مج ١٧، ع٤، سنة ١٩٨٨.

- التراكيب النحوية من الوجه البلاغية، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، دار الجيل للطباعة، القاهرة ١٩٨٠.
- التركيب اللغوي للأدب، د. لطفي عبد البديع ١٩٧٠.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف بمصر ١٩٥٩.
- التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين ١٩٩٤.
- التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة، جامعة بغداد (د.ت).
- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، د. محمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٩.
- التفسير البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، (د.ت).
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (٦٠٥هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة، بيروت١٩٨١.
- تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف: دراسة تحليلية في التركيب والدلالة، د. حسن الدجيلي.
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (٣٧٠ هـ)، تحقيق: لجنة من المحققين، الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل

العرب، القاهرة (د.ت).

- تيجان البيان في ضوء مشكلات القرآن، محمد أمين الخطيب العمري، مظفر الرزو، ط١، بغداد ١٩٨٥.
- ثلاث رسائل في تحقيق القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى جواد، جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي١٩٥٦.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت١٤٠٥هـ.
- الجانب الروحي في اللغة العربية. د . حسن منديل العكيلي، ط ١، دار الغرب، بغداد ٢٠٠٤ .
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مطابع المكتب المصري الحديث، القاهرة١٩٩٥.

- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف، ط١، دار المكتبي، دمشق١٩٩٤.

- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: د. طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل١٩٧٦.

- حاشية الخضري، محمد الدمياطي الشافعي (١٢٨٧هـ)، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٤٠.

- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١٢٠٦هـ)، دار إحياء الكتب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).

- حركة التصحيح اللغوي الحديث، د. محمد ضاري حمادي، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد.

- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الوحدة للنشر والتوابع، مطبعة دار نشر الثقافة، الكويت١٩٧٧.

- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (د.ت).

- خزانة الأدب ولب لباب العرب، عبد القادر بن عمر

البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخايجي، مصر، ١٩٨٦م.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٥.
- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي (الأخفش- الكوفيون)، د. عفيف دمشقية، ط١، دار العلم للملايين، مطبعة العلوم، لبنان، بيروت١٩٨٠.
- خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس وحوار البابا مع المسلمين، أحمد ديدات، مكتبة ديدات ١٢، ترجمة: رمضان الصفناوي البدري، المختار الإسلامي.
- دراسات بلاغية ونقدية، د. أحمد مطلوب، دار الحرية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عظمية، دار الحديث، القاهرة، المركز الإسلامي للطباعة ١٩٨٠.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد حسين آل ياسين، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت١٩٨٠.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند أبي جني، د. حسام الدين النعيمي، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٠.

- دراسات في اللغة والنحو، د. عدنان محمد سلمان، مطابع دار الحكمة، جامعة بغداد ١٩٩٤.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت١٩٧١.
- درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (٤٠٢هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت ١٩٧٣.
- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٧.
- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧هـ)، ط١، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة بمصر ١٩٦٩.
- دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت١٩٨٤.
- دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ميحان الرويلي، د. سعد البازعي، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د.ت).
- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (د.ت).
- رسائل الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل.

- الرسالة العدوية في الياءات الإضافية، مجلة المورد مج ١٧، ع١٤ سنة ١٩٨٨.
- رسالة في تحقيق التغليب، ابن كمال باشا، تحقيق: د. صاحب أبو جبام، دار الفكر١٩٩٤.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القسيري (٤٦٥هـ)، دا رالتربية للطباعة، بغداد (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الألوسي، (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ)، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٦٤.
- زيادة الحروف بين المنع والتأييد، د. هيفاء عثمان، ط١. بيروت
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، ط ١، تحقيق: محمد إسماعيل وأحمد رشدي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٠.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) تصحيح وتعليق: عبد العال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح

وأولاده، مصر ١٩٥٣.

- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك المسمى: (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي١٩٣٩.

- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري (٩٠٥هـ) وبهامشه حاشية يس العلمي، دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت).

- شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن عصفور (٦٦٩هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (د.ت).

- شرح الكافية، الرضي الاستربادي (٦٨٦هـ)، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت).

- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش (٦٤٣هـ)، مطبعة عالم الكتب (د.ت).

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د.ت).

- صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، مطبعة النهضة، مصر (د.ت).

- (كتاب) الصناعيين، الشعر والنثر، أبو هلال العسكري (

٣٩٥هـ) تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب الحديث، دار الفكر العربي، الكويت ١٩٧١.

- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجسمي (٢٣١هـ)، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٢.
- ظاهرة الحذف في الدرس النحوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٩.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، د. فتحي الدجني، ط١، دار ن والقلم، بيروت، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٤.
- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجار، القاهرة١٩٥١.
- العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية١٩٨٨.
- على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٢.

- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة١٩٩٢.
- علم الدلالة، دراسة وتطبيقا ، د٠ نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي ١٩٩٥.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).
- علم لغة النص، التحليل اللغوي للنّص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس بريذكر، ترجمة: د، سعيد حسن بحيري، ط١، ٢٠٠٥.
- علم المعاني: تأصيل وتقييم، د. حسن طبل، مكتبة الايمان، المنصورة، إمام جامعة الازهر (د.ت).
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٣.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة حجازي، القاهرة١٩٣٤.
- الفتوحات المكية، الشيخ محي الدين بن عربي (٦٧٨هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح خليل بن

كيكلدي العلائي (٧٦١هـ)، ط١، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر، دار البشيرللنشر، الاردن ١٩٩٠.

- الفلك الدائر على المثل السائر، ابن أبي الحديد، تحقيق: أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، ملحق بكتاب (المثل السائر)، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- في أصول النحو، سعيد الافغاني، ط١، مطبعة الجامعة السورية١٩٥٧.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٦، مكتبة الانجلو المصرية١٩٨٤.
- في المصطلح النقدي، د. أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي ٢٠٠٢.
- في النقد اللساني، دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، د. سعد عبد العزيز مصلوح، ط١، عالم الكتب٢٠٠٤.
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت).
- القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير، نقله إلى العربية، رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).
- القرآن وعلم القراءة، جاك بيرك، ترجمة د. منذر عياش، ط

١، دار التنوير، بيروت ٢٠٠١.

- القرآن يتحدى، الشيخ أحمد عز الدين خلف الله، ط١، دار صادر، بيروت ٢٠٠١.
- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعارف بمصر ١٩٨٥.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، القاهرة ١٩٩٠.
- القياس في اللغة العربية، الشيخ محمد الخضرحسين، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة١٣٥٣ هـ.
- القياس في النحو العربي، نشأته وتطوره، د٠سعيد جاسم الزبيدي، ط١، دار الشروق، عمان، الاردن ١٩٩٧.
- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، محمد عاشور السويح، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، دار الكتب الوطنية، بنغازي ١٩٨٦.
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، دار نهضة مصر بالفجالة (د.ت).
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار غريب للطباعة١٩٨٨.

- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر (د.ت).
- الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ط٤، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت١٩٩٤.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري، (٥٣٨هـ)، ط١، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨.
- لسان العرب المحيط، العلامة ابن منظور، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت (د.ت).د
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت١٩٩١.
- اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواحلي، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ط٤،

منشورات عالم الكتب، بيروت٢٠٠٤.

- اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، ط١، بيروت ١٩٨٨.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط٢، دار المعارف، مصر١٩٧١.
- لمسات بيانية في نصوص التنزيل، د. فاضل السامرائي، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد١٩٩٩.
- لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري، تحقيق: سعد الأفغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت١٩٧١.
- ما لا تؤديه الصفة، حاتم الصكر، ط١، دار كتابات، بيروت ١٩٩٣.
- ما يجوز للشاعر من الضرورة، القزاز القيرواني، تحقيق: المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر١٩٧١.
- ما يحتمل الشعر من ضرورة، أبو سعيد السيراغي، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية ن بيروت١٩٨٥.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (د.ت).
- مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط١، نشر الخانجي بمصر١٩٦٢.

- مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد١٩٨٤.
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي، د. بدوي عبد الجليل، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية ١٩٧٥.
- المحاجاة في المسائل النحوية، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: د. بهيجة الحسيني، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٣.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧.
- المخصص، ابن سيدة (٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة، (د.ت).
- مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، سلسلة كتاب الأمة التي تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر.
- مدخل لدراسة النفس – الآلي للحديث، د. التهامي الراجحي الهاشمي، دار النشر المغربي، الدار البيضاء ١٩٨٣.
- مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ترجمة:

عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥.

- المذكر والمؤنث، ابن التستري (٣٦١هـ)، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، تحقيق: د. طارق الجنابي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧.
- المستصفى من علوم الاصول، أبو حامد الغزالي (٥١٥هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (د.ت).
- المستشرقون مناهجهم اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، ط١، دار الملاحي للنشر، اربد، الاردن ٢٠٠٣.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط١، مؤسسة بيروت ١٩٨٨.
- مشكلة البنية، فؤاد زكريا، مكتبة مصر بالفجالة، دار مصر للطباعة ١٩٧٦.
- (كتاب) المصاحف، أبو بكر السجستاني (٣١٦هـ)، تحقيق: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، دولة قطر ١٩٩٥.

- المصطلحات الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد علوش، الدار البيضاء، منشورات المكتبة الجامعية ١٩٨٤.
- المعاني الثانية في أسلوب القرآن، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارض، الإسكندرية ١٩٧٦.
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تحقيق: فائز فارس، ط٢، الشركة الكويتية ١٩٨١.
- معاني القرآن، الفراء أبو زكريا (٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل العرب (د.ت).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبدو، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمان – الأردن ٢٠٠٣.
- معايير تحليل الأسلوب، ريفاتير، ترجمة: حميد الحمداني، دار سال، المغرب ١٩٨٨.
- معترك الأقران، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، (د.ت).
- المعجزات القرآنية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة

إحسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة الرشيد، بغداد ١٩٩٠.

- معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي –عربي، د. محمد عناني، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، بيروت ١٩٩٦.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٨.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة اواندا دانش، طهران (د.ت).
- معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تقديم امين الخولي، وزارة الثقافة، مصر.
- مفاتيح الألسنية، جورج موثان، ترجمة: الطيب البكوش، تونس ١٩٨١.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (٦٢٦ هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد ١٩٨٢.
- المفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني

(٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ١٩٩٦.

- مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٤، بيروت ١٩٩٨.
- مفهومات بنية النصّ، اللسانية، الشعرية، الأسلوبية، التناصية، ترجمة: د. وائل بركات، ط١، دار معن للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٦.
- المقتصد في شرح الإيضاح، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، المطبعة الوطنية، الأردن ١٩٨٢.
- المقتضب، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
- ملاك التأويل، أحمد بن الزبير، تحقيق: محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥.
- من اسس التعبير القرآني، د. عبد الفتاح لاشين، دار عكاظ، المملكة العربية السعودية (د.ت).
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.
- من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، عمان ١٩٨٦.

- من بلاغة القرآن، أحمد بديوي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، القاهرة ١٩٥٠.
- من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت ١٩٨١.
- مناهج وآراء في لغة القرآن، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، شركة الشرق الأوسط، عمان ١٩٨٤.
- المنصف، شرح أبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: د. إبراهيم مصطفى وعبد الله امين، ط١، شركة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٦٠.
- منهاج البلغاء، حازم القرطاجني (٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الخوجة، دار القرب الإسلامية، بيروت ١٩٨٦.
- منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية، د. عبد الأمير الورد، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، دار التربية، بغداد ١٩٨٩.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، د. مصطفى الجويني، ط١، دار المعارف بمصر ١٩٨٤.
- نحو التيسير، د. أحمد عبد الستار الجواري، ط٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤
- نحو القلوب، الإمام أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق: مرسي محمد علي، محمد علي بيضون، دار الكتب

العلمية، بيروت (د.ت).

- نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٧.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، ط٨، دار المعارف بمصر ١٩٨٧.
- النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).
- نظام القرآن مقدمة في المنهج اللفظي، السيد عالم سبيط النيلي، ط٢، مكتبة بلوتو، بغداد ٢٠٠٣.
- نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٩.
- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠.
- نظرية النحو العربي، د. كمال شاهين، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢.
- نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالاسكندرية،

دار بور سعيد للطباعة ١٩٧١.

- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ)، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

- النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا، نصوص، جماليات، تطلعات، د. فؤاد أبو منصور، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٨٥.

- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. نعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٧٨.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٥.

- النيابة النحوية في القرآن الكريم وأنماطها ودلالاتها، د. هادي نهر، ط١، صنعاء ٢٠٠٢.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت).

ثانياً: الدوريات:

- استصحاب الحال بين أصول الفقه وأصول النحو، د. عاطف فضل محمد خليل، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، مج ١٨، ع١٦، ربيع الأول ١٤٢٧هـ.
- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، د. محمد بلوحي، مجلة التراث العربي، ع ٩٥، ايلول ٢٠٠٤.
- إطار التطبيق في الأسلوبية العربية، د. محمد الهادي الطرابلسي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب بدمشق، ع ١٣٥ و ١٣٦ تموز وآب ١٩٨٢.
- إعجاز القرآن وترجمته، د. جعفر دك الباب، مجلة التراث العربي، دمشق، ع٧، س٢، نيسان، ابريل ١٩٨٢.
- أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مج ١٥، ع٢٧، جمادي الثاني ٤٢٤ هـ.
- البناء الفني في سورة مريم، د. حامد عبد الهادي حسين، مجلة قبس العربية، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ع١، ٢٠٠٥.

- التيار القياسي في المدرسة البصرية، د. أحمد مكي الأنصاري، مجلة آداب القاهرة، مج ٢٤، ج٢، ١٩٦٢.

- تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد (عباس حسن أنموذجاً)، د. حسن منديل، مجلة كلية التربية للبنات، مج ١٣، ع ٢، ٢٠٠٢.

- الحمل على النقيض في الاستعمال العربي، د. خديجة أحمد مفتي، مجلة جامعة أم القرى، ج ١٨، ع ٣٠ جمادي الأولى ١٤٢٥ هـ، ص ٣٣٧.

- الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية، إسماعيل معمولي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع ٣٩٣، كانون الثاني ٢٠٠٤.

- رؤية جديدة في قضية السماع والقياس، د. أحمد نصيف الجنابي (مخطوط).

- السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، دأحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، ع ٤، سنة ١٩٧٩.

- القاعدة النحوية في ضوء تقييدها بأمن اللبس أو خشية الوقوع فيه، د.إبراهيم محمد، مجلة التراث العربي، ع ١٨، السنة ٢٦.

- اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان، مجلة فصول، مج

٤، ع٣، ١٩٨٤.

- من أسرار نقدية الفعل في القرآن الكريم، د. يوسف عبد الله الأنصاري، مجلة أم القرى، ج١٥، ع٢٧، جمادي الثاني ١٤٢٤، ص ٧٢٧.
- من أسرار نزع الخافض في القرآن الكريم، د. يوسف الأنصاري، مجلة أم القرى، ج ١٦، ع ٢٨، شوال ١٤٢٤، ص ٧١١.
- الموازنة بين المناهج البصرية، د. أحمد مكي الأنصاري، مجلة آداب القاهرة، مج ٢٤.
- نظرات في إعجاز القرآن، د. حسن منديل، مجلة كلية التربية للبنات، ج٢، ١٩٦٢
- نظرات في كتاب (جناية سيبويه)، د. نبيل أبو عمشة، مجلة التراث العربي، دمشق، ع٩٣ و ٩٤ سنة ٢٤، آذار وحزيران ٢٠٠٤.
- وضع الأسماء والأفعال في غير مواضعها، د. كريم حسين ناصح، مجلة الدراسات اللغوية، مج٢، ع١، مارس ٢٠٠٤، ص٢١.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح:

- الانزياح في الموروث النقدي والبلاغي، عباس رشيد الدرة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٧.

- بنى الجدل في الخطاب القرآني، دراسة أسلوبية، خولة عبد الحميد التميمي، (أطروحة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ٢٠٠٦.

- الحمل على المعنى في العربية، د. علي عبد الله العنبكي، رسالة ماجستير، آداب المستنصرية ١٩٨٦.

- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، حسن منديل حسن، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

- السور المكية، دراسة بلاغية أسلوبية، عروبة الدباغ، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد ١٩٩٧.

- كتاب الإنصاف والخلاف النحوي بين المذهبين، محمد خير الحلواني، رسالة ماجستير، آداب بغداد.

- المعايير النقدية في رد شواهد النحو الشعرية، د. بريكان بن سعد الشلوبي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ١٤٢٣.

- النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع للهجرة، (أطروحة)، د. عبد الهادي خضير نيشان، آداب بغداد ١٩٨٩.

- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تاريخ وتطور، د. عبد الرحمن مطلق الجبوري، (رسالة ماجستير)، آداب

بغداد ١٩٨٦.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية والقراص المدمجة:

- اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٧/١/٤ **www.awa-dam.com**

- علم الدلالة، جليل منقور

- النص والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل

- النقد والإعجاز، محمد تحريشي.

- استراتيجيات المذاكرة **www.schoolareble.com**

- التفكير العبقري

- اللغة العربية وعلم الألسنية، المحرر الثقافي

- مجلة الاغتراب الأدبي ١/ ١٢/ ٢٠٠٦ **http: //alightirab.cib.nt** العدد ٤٨٤ سنة ٢٠٠٠.

- مجلة أفق الإلكترونية

- لغة محمد (ص)، إبراهيم الجبين

- مكتبة صيد الفوائد الإسلامية ٢٠٠٦/٩/٤ **http: //www.rssr.com**

- موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور

- مكتبة المشكاة الإسلامية ٢٠٠٦/٩/٤ **http: //www.almeshkat.net**

- تفسير ابن عرفة، عبد الله بن عرفة المالكي ٢٠٠٦/٤/١٨.

- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي

- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٣/١/ ٢٠٠٧.
http: //www.٥٥.net٢٠٠٥

- شبهات حول القرآن وتفنيدها، د. غازي عناية

- من القرآن إلى الفلسفة، جاك لانغاد، ترجمة: وجيه اسعد

الأقراص المدمجة:

- مكتبة التفسير
- مكتبة التفسير وعلوم القرآن
- مكتبة النحو والصرف

خامساً: المصادر الانجليزية:

- An introduction to modern Arabic, Farahat j. ziadenend R. Bayiy winder, ١٩٥٧, Oxford: Oxford University Press.

السيرة العلمية

الاسم الكامل: أ.م.د. حسن منديل حسن العكيلي محل الولادة: بغداد ١٩٦٢/٨/١٧

التخصص: اللغة العربية / النحو والأسلوبية.

الحالة الزوجية: متزوج عدد الأطفال: (٥) الجنسية: عراقي

السنة التي حصل فيها على الدكتوراه الأولى١٩٩٧ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.

السنة التي حصل فيها على الماجستير: ١٩٩١-١٩٩٢ جامعة الموصل/ كلية الآداب.

السنة التي حصل فيها على البكالوريوس: ١٩٨٥-١٩٨٦ جامعة الموصل- كلية التربية.

السنة التي حصل فيهاعلى الزمالة البحثية (ما بعد الدكتوراه): ٢٠٠٢-٢٠٠٣ جامعة بغداد/ الامر الجامعي٦٣٠٥ف ٢٠٠٤/٤/١٥

السنة التي حصل فيها على الدكتوراه الثانية ٢٠٠٨ جامعة بغداد- كلية

التربية للبنات.

الخبرات العملية:

- عملت مدرسا للغة العربية في المدارس الثانوية ١٩٨٧.
- عملت محاضرا للنحو في قسم اللغة العربية / كلية الآداب / الجامعة المستنصرية ١٩٩٢و٩٣ ومحاضرا في كلية التربية لمادة فقه اللغه سنة ١٩٩٨و٩٩.
- عينت مدرساً للنحو واللغة في كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد سنة ٢٠٠٠.
- أشرفت على عدد من الرسائل الجامعية والأطاريح وناقشت عدداً منها في الكلية نفسها وفي جامعات أخرى.
- انتخبت رئيساً لقسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد في ٢٠٠٣/٥/٢٧.
- رشحتني الجامعة مديرا عاما في مركزالبحوث التربوية في وزارة التربية. ورئيسا لجامعة ذي قار عدد٤٧٧١في ٢٠٠٤/١٠/٢٤.

الشكر والقدم:

١. مكافأة الوزارة لي وذلك لارتفاع نسبة النجاح في مادة (فقه اللغة) في المرحلة الرابعة/كلية التربية للبنات/ ٩٩-٢٠٠٠.

٢. كتاب شكر وتقدير لاجتياز دورة لتعليم طرائق التدريس بامتياز منحت من الجامعة في ٢٠٠٠/١/١٩.

٣. كتاب شكر وتقدير (لحسن سير الدوام في السنة الاستثنائية) بعد الحرب ٢٠٠٣/١٠/٢٠.

٤. وأكثر من خمسين تشكرات لمناسبات علمية وإدارية مختلفة من الوزارة والجامعة والكلية.

الكتب والبحوث:

١. النحو في شروح ديوان المتنبي (رسالة ماجستير).طبع في الأردن-دار الضياء ٢٠٠٦.

٢. الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة (أطروحة دكتوراه). طبع في الأردن دار الضياء ٢٠٠٥.

٣. العدول عن النظام التركيبي في أسلوب القرآن الكريم ؛ (أطروحة دكتوراه/الثانية).

٤. التيسير النحوي بين المحافظة والتجديد، عباس حسن انموذجاً منشور في مجلة كلية التربية للبنات مجلد ١١ العدد٢ لعام ٢٠٠١.

٥. أسس انتخاب الآراء النحوية لدى عباس حسن، المجلة نفسها مج ١٣ العدد ٤ للعام ٢٠٠٢.

٦. نظرات في إعجاز القرآن، بحث شاركت به في ندوة إعجاز القرآن في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد ٢٠٠١/ ٢٠٠٢ نشر في مجلة الكلية مجلد ١٥ عدد ١ للعام ٢٠٠٣.

٧. تحقيق شرح القاشاني على ديوان الحماسة لأبي تمام (مخطوط) تحت الطبع في المغرب العربي.

٨. الجانب الروحي في اللغة العربية، زمالة بحثية لما بعد الدكتوراه سنة ٢٠٠٣. طبع طبعتين دار المغرب، بغداد ٢٠٠٤ودار الضياء،

الأردن ٢٠٠٦.

٩. النظام النحوي للقرآن الكريم، مجلة كلية التربية للبنات٢٠٠٨.

١٠. القياس النحوي بين التجريد العقلي والاستعمال ٢٠٠٨.

التدريس:

- درست في قسم اللغة العربية / الدراسات الأولية: النحو للمراحل كافة ، وفقه اللغة، والمذاهب النحوية، والتيسير النحوي، ولغة الطفل، وتحليل النص القرآني.
- درست في الدراسات العليا المواد الآتية: النحو لقسم الأدب، ومناهج نحوية حديثة، والأسلوبية، تطبيقات في القرآن الكريم والنحو والعلوم الجاورة.

اللجان:

- لجنة الدراسات العليا لمناقشة المناهج وتطويرها . الأمر الوزاري رقم ب ب/٣٣في ٢٠٠٦/١/٣.
- لجنة تحديث المناهج والأساليب الدراسية المر الجامعي عدد ١ء/٩٣٣٢في ٢٠٠٦/٦/٢٢.
- لجنة مقابلة طلاب الدراسات العليا واختبارهم.
- الحلقات النقاشية لإقرار مشاريع البحوث للدراسات العليا.
- لجنة شكلتها الجامعة للنظر في اكتشافات بعض التدريسيين.

- تقويم علمي للرسائل والأطاريح في الكلية وخارجها.
- تقويم النتاجات الأدبية في قسم النشاط الفني والثقافي / جامعة بغداد . عدد ٤٦٤٢١في ٢٠٠٤/٨/٨.
- شاركت في لجان علمية وإدارية ورأست بعضها منها: اللجنة العلمية واللجنة الثقافية ولجنة الدراسات العليا واللجنة الامتحانية في كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية.

الندوات:

- شاركت في ندوات علمية عديدة في جامعة بغداد وغيرها.ورأست لجانها التحضيرية لسنوات عدة مثل ندوة بغداد العلمية وندوة إعجاز القرآن السنويتين في الكلية نفسها.
- شاركت في ندوات ومؤتمرات عديدة مثل مؤتمر جامعة الموصل المنعقد في ١٢-٢٠٠٤/١٠/١٣ وحلقات نقاشية بيت الحكمةفي بغداد . ومؤتمر كلية المأمون٢٠٠٥ وغيرها . البريد الالكتروني: **al_igeali@yahoo.com**

فهرس المحتويات

الإهداء ٥

المقدمة ٧

التمهيد خصوصية أسلوب القرآن الكريم ١١

القراءات القرآنية ١٨

الفصل الأول/ النظام النحوي ٢٤

تمهيد ٢٤

النظام النحوي ٢٧

الفصل الثاني/ النظام البلاغي (أساليب العدول)..... ٤٧

الفصل الثالث/ العدول النظامي في لغة القرآن الكريم ٦٣

النقل..... ٨٣

الفصل الرابع/ العدول الصناعي (النحوي) ١٠٣

الحذف والتقدير..... ١٠٤

الزيادة..... ١١٧

الإلتفات ١٢٦

الفصل الخامس/ العدول في النص القرآني في ضوء الدرس اللساني

الحديث ١٣٤

الأسلوبية والنقد الأدبي..... ١٣٥

الأسلوب ١٣٧

الأسلوبية ١٤٠

الخاتمة ١٧٧

المصادر والمراجع ١٨٣

السيرة العلمية ٢١٧

فهرس المحتويات ٢٢٣